
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي



محتويـــات

الجزء الثالث / المجلد التاسع والخمسون










شعر ألف ليلة وليلة

الدكتور احمد مطلوب
رئيس المجمع العلمي

الملخص :

كتاب (ألف ليلة وليلة) من التراث العربي الاسلامي ، وهذه الصحائف جولة فيما جاء فيه من شعر لتأكيد عروبته ، والوقوف على ما نقل مؤلفه من شعر المتقدمين ، وما اتصل بما سبق من شعر فظهرت فيه ملامحه اللفظية والتركيبية والتصويرية ، وما عرف من فنون في العصور المختلفة .

(١)

كتاب (ألف ليلة وليلة) من التراث العربي الاسلامي الذي صور الحياة بما فيها من رقي وانحدار ، وخلق وابتذال ، وتقوى وانحلال ، ويُعد وثيقة تأريخية مهمة على الرغم مما جال فيه من خيال جامح وتصوير غريب .

أنكر بعض الأجانب والعرب أن يكون هذا الكتاب عربيا ، ولم تسعفهم أدلتهم لأن ما أشاروا اليه لم يكن بين ايديهم بل قد يكون موضوعا ليسلب من التراث العربي هذا الكتاب الطريف .

إن دراسة الكتاب في ضوء الحضارة العربية الاسلامية ، والعهود التي مرت بالفكر والثقافة والأدب تؤكد عروبة (ألف ليلة وليلة) .

وانتهت دراستي السابقة الى أنه عربي إسلامي بدليل :

أولا : إن هدف الليالي هو العبرة والاتعاظ وليس التسلية وتزجية أوقات الفراغ لما فيه من معلومات غزيرة ، وحكايات واقعية وخيالية ترسم كثيرا من معالم الحياة العربية .

ثانيا : إن البيئة التي وقعت فيها أحداث الليالي عربية إسلامية ــ في الغالب ــ وإن ما وقع خارجها انطلق منها أو اتجه اليها .

ثالثا : ورود أسماء الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم – ، واسم عائشة – رضي الله عنها ــ وفاطمة الزهراء ــ عليها السلام .
وبعض أسماء خلفاء بني أمية ، وبني العباس ، والحاكم بأمر الله الفاطمي ، وبعض الأسماء العربية التي كان لأصحابها دور في التأريخ العربي الاسلامي .

رابعا : كثرة ورود أسماء المدن العربية التي وقعت فيها الأحداث أولها علاقة بالقصص والأحداث .

خامسا : الروح والثقافة الاسلامية التي تسود الليالي ، والكلام على القرآن الكريم ، وقراءاته ، وآياته ، وسوره المكية والمدنية ، وما يتصل بالعقيدة الاسلامية من أركان وفروض ، وذكر آراء الفقهاء في المسائل الدينية ، ونحو ذلك مما له تعلق بالدين الاسلامي .

سادسا : ذكر بعض أخبار الأنبياء ولاسيما النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي تحدثت الليالي عن كراماته وأخلاقه ، وما له من فضل على العالم الذي لم يخلقه الله إلا لأجله ، وهذا ما جاء في القرآن الكريم ، وكتب السيرة المحمدية ، وتأريخ العرب والمسلمين .

سابعا : أُسلوب الليالي الذي لا يشبه أَساليب العرب التي قيل إِنها تُرجمت فيها ، وإنما يشبه أُسلوب الفترة المتأخرة من حياة اللغة العربية — فترة المماليك والعثمانيين .

ثامنا : الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والأمثال والاشعار الكثيرة .

تاسعا : سعة ثقافة مؤلفها العربية والاسلامية ، وحسن توظيف الالفاظ والعبارات التي كثرت في الفترة المتأخرة من حياة العرب والمسلمين .

عاشرا : تأخر كتابتها إِذ إنها دُوّنت — في الغالب — في نهاية حكم المماليك البرجية ، وبداية احتلال العثمانيين مصر .[1]

(٢)

يكاد شعر كتاب (ألف ليلة وليلة) يكون ربع الكتاب ، وهذا ما يتضح في (ديوان ألف ليلة وليلة) لعبد الصاحب العقابي .[2]

وزع العقابي الشعر على أَغراض الشعر العربي المعروفة وهي :

١- الغزل والنسيب .

٢- الحكم والمواعظ .

٣- المديح .

٤- الحماسة والفخر .

---

[1] ينظر بحث (عروبة ألف ليلة وليلة) في مجلة المجمع العلمي - المجلد (٥٢) الجزء الثالث سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

[2] صدر في بغداد سنة ١٩٨٠م . في (٥٧٨) صفحة من المقطع الكبير .

٥- الهجاء .

٦- المراثي .

٧- الوصف والمآكل .

٨- الأحاجي والألغاز .

٩- الخَمريات .

وذكر كل غرض أو باب بحسب ورود الشعر في الليالي ، وقدم لـــه بدراسة ضافية تحدث فيها عن :

١ــ أهمية شعر (ألف ليلة وليلة) قال : ((إن أهمية النصوص الـشعرية في الليالي لا تكمن في قيمتها الفنية ، لأن تلك مسألة تتعلق بالكتـــاب ككل ، وإنما في تعبيرها الصادق وواقعيتهـــا وتـــصويرها الـــدقيق للأحداث حتى كأنها جزءٌ منها لصيق لا يقبل الفصل))[٣] وذكر آراء بعض الغربيين في أهمية هذا الشعر كالـــدكتور (مـــاردوس) ـــ صاحب أحدث ترجمة لليالي عام ١٩٠٦م ـــ ، الـــذي عـــاب علـــى (كالان) ـــ صاحب أول ترجمـــة لليـــالي عـــام ١٧٠٤م ـــ بتـــره التفصيلات الجديرة بالتدوين ، وحذفه بعـــض النـــصوص الـــشعرية الرائعة التي تزخر بها الليالي مما أفقد الترجمة قيمتها .[٤]

٢ــ إنها أوحت الى بعض الشعراء الغربيين القصائد التي تتدرج صورها ومضامينها ضمن أجواء الليالي وأنفاسها الباهرة .

---

[٣] ديوان ألف ليلة وليلة ص٤ .

[٤] المصدر نفسه ص٥ .

ومن هؤلاء الشعراء (فوريون) و (لافونتين) و (فكتورهوجو) و (كريستوف ماري فيلند) و (غوته) وغيرهم .[٥]

٣ـ إن شعر الليالي يمثل الروح العربية في العهد الذي كتبت فيه ، وإن معظمه يعود الى شعراء متأخرين .[٦]

٤ـ في بعض النصوص الشعرية كلمات معجمية ، وبعض الكلمات الأعجمية التي كانت شائعة في عهد كتابة الليالي ونظم الشعر.[٧]

كانت مقدمة العقابي تمهيدا لقراءة شعر الليالي ، على الرغم مما نشر عن الكتاب من بحوث ومؤلفات[٨]

(٣)

شعر الليالي أعظم دليل على عروبتها ، وهو لونان :

الأول : متقدم قاله شعراء كبار منذ عصر الجاهلية حتى زمن تدوين الليالي .

الثاني : متأخر عن عصر الشعراء الكبار ، وربما كان بعضه من نظم المؤلف كما كان يفعل أصحاب المقامات كالهمذاني والحريري ، فيأتي الشعر مطابقا للحدث أو المشهد .

---

[٥] المصدر نفسه ص٦ وما بعدها .

[٦] المصدر نفسه ص٦ .

[٧] المصدر نفسه ص١٩ .

[٨] ينظر المصدر نفسه ص٥٧٥ ، وعروبة ألف ليلة وليلة للدكتور احمد مطلوب المنشور في مجلة المجمع العلمي المجلد (٥٢) الجزء الثالث سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

ومن ذلك قصة (كان ما كان) الذي كان هائما على وجهه ، وفي اليوم الرابع من هيامه أشرف على أرض معشبة الفلوات ، مليحة النبات ، وهذه الأرض قد شربت من كؤوس الغمام على أصوات القمريّ والحمام ، فاخضرت رُباها وطاب فلاها ، فتذكر (كان ما كان) بلاد أبيه فأنشد من فرط ما هو فيه :

خرجتِ وفي أملي عودة ولكنني لست أدري متى

وشردني أنني لم أجد سبيلا الى دفع ما قد أتى

فلما فرغ من شعره أكل من ذلك النبات ، وتوضأ ، وصلى ما كان عليه من الفرض ، وجلس يستريح ، فلما جاء الليل نام ، ثم انتبه ، فسمع صوت إنسان يُنشد هذه الأبيات :

ما العيشُ إلا يرى لك بارقٌ

من ثغر مَنْ تهوى ووجه رائقُ

والموتُ أسهل من صدودِ حبيبةٍ

لم يغشني منها خيالٌ طارِقُ

يا فرحةَ الندماءِ حين تجمعوا

وأقامَ معشوقٌ هناك وعاشِقُ

لاسيما وقتُ الربيع وزهره

طاب الزمانُ بما اليه تسابقُ

يا شاربَ الصهباء دونك ما ترى

أرضٌ مزخرفةٌ ، وماءٌ دافِقُ

فلما سَمِعَ (كان ما كان) هذه الأبيات هاجت الأشجان ، وجـرت دموعه على خده كالغدران ، وانطلقت في قلبه النيران ، فقام ينظر قائـل هذا الكلام ، فلم يرَ أحدا في جُنْح الظلام ، فأخذه القلقُ ، ونزل في مكانـه الى أسفل الوادي ، ومشى على شاطئِ النهر ، فسمع صـاحبَ الـصوت يُصَعِّدُ الزفرات ، وينشد هذه الأبيات :

إِنْ كنت تُضمر ما في الحب إِشفاقا

فأَطلقِ الدمـعَ يـومَ البين إِطلاقـا

بيني وبينَ أَحبـائي عهـودُ هَـوًى

لـذا اليهـم أَظـلّ الدهـرَ مشتاقا

يشتاقُ قلبي الى (تَيمٍ) ويُطربنـي

نسيـمُ (تيمٍ) إذا مـا هبَّ أَشواقا

يا (سعدُ) هل ربَّةُ الخلخال تذكر لي

بعـد البعـادِ لنـا عهـدا وميثاقـا

وهـل تعودُ ليالي الوصل تجمعنـا

يوم ويشرح كـلٌ بعضَ ما لاقـى ؟

قالت : فُتنتَ بنا وجـدا فقلتُ لهـا :

كم قد فتنتِ – رعاكِ الله – عشاقـا

لا متَّـعَ اللهُ طرفـي في محاسنها

إِنْ كان من بعدها طيب الكرى ذاقا

يا لسعةً في فؤادي مـا رأَيتُ لهـا

سوى الوصالِ ورشف الثغر ترياقـا

فلما سمع (كان ما كان) هذه الأَشعار من صاحب الصوت ثـاني مرةٍ ، ولم يرَ شخصه عَرَفَ أنَّ القائل مثله عاشقٌ مُنع من الوصول الـى من يحب .[٩]

وهذا الشعر انطبق على حالة (كـان مـا كـان) وهـو هـائم كالمجنون ، ومثل ذلك انطبق على الزاهد الذي خدع المقاتلين :

صلى وصام لأمرٍ كان يطلبه لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما

وما زال الزاهد ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلـب المحتـال للاغتيال ، وكان الوزير نافرا منه منذ أن رآه .[١٠]

قال ابن الخصيب : لما قدموني الى الوالي ورأى على يدي آثـار الدم قال : هذا لا يحتاج الى بيِّنه فاضربوا عنقه ، فلما سمعت هذا الكـلام بكيت بكاء شديدا ، وجرت مني دموعُ العين ، وأنشدت هذين البيتين :

مشيناها خُطًى كُتبت علينـا

ومن كُتبت عليه خُطًى مشاها

ومَـنْ كانت مَنيَّتُه بـأرَضٍ

فليس يموتُ في أَرضٍ سِواهـا

ثم شهقت شهقةً فوقعت مغشيا عليَّ ، فرَقَّ لي قلبُ الجلاد وقـال : واللهِ هذا وجهُ من لا يُقتل .[١١]

---

[٩] كتاب الف ليلة وليلة ج٢ ص٢ – ٣ .

[١٠] المصدر نفسه ج١ ص٢٨٣ .

[١١] المصدر نفسه ج٤ ص٢٦١ ، وينظر ج١ ص٤١ .

كان أبو (قير) يُحَسِّنُ السفر لأَبي (صير) حتــى رَغِــب فــي الارتحال ، ثم إنهما اتفقا على السفر وفرِح أبو (قير) بأنَّ أبا (صــير) رَغِبَ في أنْ يُسافر ، وأنشد قول الشاعر :

تغربْ عن الأوطانِ في طلبِ العلى

وسافِرْ ففي الأَسفار خمسُ فوائـــد

تَفَرُّجُ هَـــمٍّ ، واكتســـابُ معيشـــةٍ

وعلمٌ ، وآدابٌ ، وصحبةُ ماجـــدِ

وإنْ قيل في الأَسفار غمٌّ وكُربـــةٌ

وتشتيتُ شمـــلٍ وارتكابُ شدائـــدِ

فموتُ الفتى خيـــرٌ له من حياتـــه

بدارِ هوانٍ بين واشٍ وحاســـدِ(١٢)

هذه الأمثلة وغيرها تعبر عن المشاهد والقصص في الليالي وهي تدل على قدرة المؤلف في الربط بين الحدث والتعبير عنه شعرا .

(٤)

لا يعرف قائل كثير من شعر الليالي ، لأن المؤلــف لــم يــذكر قائله(١٣) ، ولكن الاطلاع على الشعر العربي متقدمه ومتأخره ، قد يفضي الى الكشف عن الشاعر ، ولشهرة ذلك الشعر يمكن القول إن ما جاء فــي

---

(١٢) المصدر نفسه ج٤ ص٢١٢ .

(١٣) في الجزء الثاني ص (٣١٦) من (كتاب ألف ليلة وليلة) ذكر لأبي نواس ، فــي خبر عن الارسال اليه ليكمل البيت :

نظرت عيني لحيني   وزكا وجدي لبيني

وينظر كتاب ألف ليلة وليلة ج٢ ص٣٣٤ ، ففيها إشارة الى أبي نواس .

الليالي يرجع الى الشعراء : امرئ القيس ، الأعشى ، زهير ، أبو محجن الثقفي ، السموأل ، ذي الرمة ، مسكين الدارمي ، الحطيئة ، عبد الله بن الدمينة ، كثير عزة ، مجنون ليلى (قيس بن الملوح) جرير ، الأخطل ، أبي العتاهية ، هارون الرشيد ، أبي نواس ، ديك الجن ، أبي تمام ، ابن زريق البغدادي ، ابن الرومي ، ابراهيم بن المهدي ، الإمام الشافعي ، الشريف الرضي ، المتنبي ، الوأواء الدمشقي ، ابن زيدون ، ابراهيم بن سهل الاشبيلي ، الصاحب بن عباد ، أبي إسحاق الصابي ، الحريري ، ابن الفارض ، العباس بن الأحنف .

وقد تكشف النظرة الثانية عن شعراء آخرين لتأكيد عروبة الكتاب الذي نسب الى الفرس والهنود من غير دراسة متأنية ، ونظر عميق .

لقد كان مؤلف الليالي ذا ذوق رفيع حين اختار من هؤلاء الشعراء أجمل الشعر وأعذبه ، ووفق بينه وبين المشاهد ، فجاء معبرا عن الأحداث والمواقف .

وفي الليالي من الشعر الذي لا يزال على ألسنة العامة والخاصة ، وقد غناه المطربون من ذلك القصيدة التي مطلعها :

لما أناخوا قُبيل الصبح عيسهمُ

وحملوها وسارت بالهوى الإبلُ

والبيتان :

رأيته يضرِبُ الناقوسَ قلت له

مَن علم الظبيَ ضربا بالنواقيسِ

وقلت للنفس أي الضرب يؤلمها

ضربُ النواقيس أم ضربُ النوى قيسي

والبيتان :

له خالٌ على صفحاتِ خدٍ كنقطةِ عنبرٍ في صحن مرمرْ

وألحـــاظٌ بأسياف تنـــادي على عاصي الهوى الله اكبـــر[١٤]

وقصيدة ابن زيدون التي مطلعها :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا

وناب عن طيب لُقيانا تجافينـــا

وقصيدة ابن زريق البغدادي :

لا تعذ ليه فان العـــذل يولعـــه

قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

والقصيدة التي مطلعها :

وقانا لفحـــةَ الرمضـــاء وادٍ

سقاه مضاعفُ الغيثِ العميمِ

نزلنـــا دوحَـــه فحنا علينـــا

حنوَّ المرضعات على الفطيمِ

وغير ذلك من رائع الشعر الذي غناه المعاصرون .

(٥)

استمد شعر الليالي مادته من القرآن الكـــريم والـــشعر العربـــي ، فالبيت :

وأرجو من الرحمنِ جمعا لشملنا

وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشا

---

(١٤) غنى الاولى محمد القبانجي ، وغنى الثلاثة ناظم الغزالي .

من قوله – تعالى – : ((والله يختصُ برحمته مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم)) (البقرة١٠٥) .

والبيتان :

وحقِّ مَـنْ خلقَ الانسانَ من علَـقٍ
ومن أنار ضياءَ الشمسِ والقمرِ
لئن رجعتَ الى ما أنتَ ذاكره
لا صلبنَّكَ في جذعٍ من الشجرِ

من قوله تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق)) (العلق ١–٢) .

ومن قوله – تعالى – : ((ولأصلبنكم في جُذوعِ النخلِ)) (طه٧١) .

والبيت :

قسما بآيات الضحى مَنْ وجهُهُ
لم أنسَ فيه سورةَ (الاخلاصِ)

من قوله – تعالى – ((والضحى . والليلِ إذا سجى)) (الضحى١–٢) ، وفيه إشارة الى سورة (الاخلاص) .

والبيت :

فكـأنَّ موسى قد أُعيد لأُمـه
أو ثوبَ يوسُفَ قد أتى يعقوبا

من قوله – تعالى – ((فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينُها ولا تحزن)) (القصص ١٣) .

ومن قوله – تعالى – : ((فلما أن جاء البشيرُ ألقاه على وجهه فارتدَّ بصيرا)) (يوسف ٩٦) .

والبيتان :

وعسى الذي أهدى ليوسُفَ أهله

وأَعزَّه في السجنِ وهو أسيرُ

أنْ يستجيبَ لنا ويجمعَ شملنا

واللهُ ربُّ العالمين قديرُ

من قوله تعالى – ((فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال ادخلوا مصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمنين)) (يوسف ٩٩) ، وفي الشطر الثاني إشارة الى دخوله السجن .

والبيت :

ولا يقال عليه ((ألم يجدك يتيما))

من قوله – تعالى – ((ألم يجدك يتيما فآوى)) (الضحى ٦) .

والبيت :

أُعيذها من عيون الناس كلهم

كما أعوذ برب الناس والفلق

اشارة الى سورة (الفلق) وسورة (الناس) .

والبيت :

حرام على رامي فؤادي بسهمه

دم صبَّه بين الحشا والترائب

من قوله – تعالى – ((يخرجُ من بين الصُلب والترائب)) (الطارق ٧) .

والبيت :

ووراء ذياك المعلى موردٌ

حَصْباؤه من لؤلؤٍ مكنونِ

من قوله – تعالى – ((كأنهم لؤلؤ مكنون)) (الطور ٢٤) .

والبيت :

ولو كنت طيرا طِرْتُ في جُنْح ليلةِ

فلم أدرِ طعم المنِّ بعدك والسلوى

من قوله – تعالى – ((وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى)) (البقرة ٥٧) .

والبيت :

وما رميتَ ولكنَّ الإله رمى

سَهْما فطيَّرَ تاجَ الملْك من راسي

من قوله – تعالى – ((وما رميتَ إذ رميتَ، ولكنّ الله رمى)) (الأنفال ١٧) .

والبيت :

ولو أنَّ ما بي بالجبال لهدّمت

وبالنارِ أطفاها وبالريح لم تَسْرِ

من قوله – تعالى – ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خَشيةِ الله)) (الحشر ٢١) .

والبيتان :

الحصنُ طُورٌ ونارُ الحرب موقَدةٌ

وأنت موسى وهذا الوقت ميقاتُ

ألْقِ العصا تتلَقَّفْ كل ما صنعوا

ولا تخفْ ما حبالُ القوم حياتُ

من قوله – تعالى – ((وناديناه من جانب الطُورِ الأيمن)) (مريم ٥٢) ،

وفيهما إشارة إلى عصا موسى – عليه السلام – ((فإذا هي تلقَفُ ما يأفكون))

(الأعراف ١١٧) .

والبيتان :

الناس داء دفيــن	لاتركَنــَنَّ اليهــم
فيهم خداعٌ ومكْرٌ	((لو اطلعت عليهم))

من قوله – تعالى – ((لو اطلعت عليهم لوليت منهم فِرارا ، ولمُلئت منهم رُعْبا)) (الكهف ١٨) .

والبيت :

أَصبحوا في القبور رَهْنا ليوم

فيــه كــل السرائر تبلـــى

من قوله – تعالى – ((يومَ تبلى السرائر)) (الطارق ٩) .

والبيت :

فقبل ارتدادِ الطَّرْفِ من لطف ربنا

فكاكُ أَسيرٍ ، وانجبارُ كسيرِ

من قوله - تعالى - ((أَنَا آتيك به قبل أَنْ يرتدّ إليك طَرْفُكَ)) (النمل ٤٠) .

والبيتان :

وكم ليلةٍ بتّ في كربةٍ يكاد الرضيعُ لها أَنْ يشيب

فما أَصبح الصبحُ إلا أَتى ((نصرٌ من الله وفتح قريب))

من قوله - تعالى - ((وأخرى تحبونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب)) (الصف ١٣) .

وهناك إشارات الى حُسْنِ يوسف - عليه السلام - الذي أصبح مضرب المثل ، من ذلك :

كَذَبَ الذي قال الملاحةُ كلُّها

في يوسُف كم في جمالك يُوسفُ

ومنه :

ولو قسم الجمال لكان خمسا

ليوسف واحدٌ أَو بعض خمسِ

وباقيه لذاتك باختصاص

فكان فدى لنفسك كل نفسِ

وهذا من مبالغات الشعراء ، إذ أَسرفوا في وصف مَنْ أحبوهم مدحا أو غزلا .

وامتد الأخذ من الشعراء المعروفين لفظا وتركيبا ومعنى ، وهذا من ملامح شعر المتأخرين الذين نضبت قرائحهم ، وجف خيالهم ، فلجأوا الى التضمين وإقامة شعرهم على سنن الأولين ، من ذلك :

قل للمليحةِ في الخمارِ الفاختي

الموتُ حقا ، في عذابك راحتي

فهو من بيت مسكين الدارمي :

قل للمليحةِ في الخمارِ الأسودِ

ماذا فعلتِ بناسك متعبدِ

والفاختي نسبة الى لون (الفاختة) وهي نوع من الحمام .

والأبيات :

لقد هتفتْ في جُنْحِ ليل حمامةٌ

مطوقةٌ ناحت فقلتُ لها مهلا

لعمرك لو كانت كمثلي حزينةً

لما لبست طوقا ولا خضبتْ رجلا

وفارقني إلفي فألفيت بعده

دواعيَ هم لا تفارقني أصلا

جوها قريب من جو قصيدة أبي فراس الحمداني وهو في الأسر بعيد عن أهله وأحبائه :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ

أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟

والبيتان :

إِن يوم الفراق قطَّع قلبي

قطَع الله قلبَ يوم الفراقِ

تمنيت الوصال يعود يوما

لأخبره بما فعل الفــراقُ

البيت الثاني مَسْخٌ لقول الشاعر :

أَلا ليتَ الشبابَ يعودُ يوما

لأخبره بما فعــل المشيبُ

والبيت :

وقالوا لعل الصبرَ يُعقبُ راحــةً

فقلتُ : وأَين الصبرُ بعد فراقه ؟

والشطر الأَول من :

لعل انسكابَ الدمع يُعقبُ راحــةً

من الوجد أو يَشفي نجيَّ البلابلِ

والبيت :

إذا كان خصمي في الصبابة حاكمي

لمن أَشتكي خصمي ، لمن أَتظلمُ ؟

من بيت المتنبي :

يا أعــدلَ الناس إلا في معاملتــي

فيك الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ

والبيت :

أنت السعيرُ لقلبي والنعيمُ له

فما أحركِ في قلبي وأحلاكِ

من بيت الشريف الرضي :

أنت النعيمُ لقلبي والعذابُ له

فما أمرك في قلبي وأَحلاكِ

والبيت :

أســتودع الله في أَطنابكم قمــرا

يهواه قلبي وعن عينيَّ محجوبُ

من بيت ابن زريق البغدادي :

أَستودعُ اللهَ في بغدادَ لي قمــرا

بالكرخِ من فلكِ الأَزرارِ مطلعُهُ

والبيت :

من لم يَذُقْ حلو الغرام كمــره

لم يدرِ وَصلَ حبيبه من هجرِه

من بيت ابن النبيه المصري :

من لم يَذُقْ ظُلمَ الحبيب كظَلْمه

حلوا فقد جهل المودةَ وادعــى

ورواية الشطر الثاني ((عذبا فقد كَذَبَ المودةَ وادعى))

والبيت :

ألا في سبيلِ المجدِ ما حلَّ بي منكـــا

بصدك عني حيث لا صبر لي عنكا

من بيت أَبي العلاء المعري :

ألا في سبيلِ المجد ما أَنا فاعـــلُ

عفافٌ ، وإِقدامٌ ، وحزْمٌ ، ونائِلُ

والبيت :

قل للمليحةِ في الخمار الأزرقِ

ناشدتـــك باللهِ أَنْ تترفقــــــي

من بيت مسكين الدارمي :

قل للمليحةِ في الخمارِ الأسودِ

مــــاذا فَعلتِ بناسكٍ متعبـــدِ ؟

والبيت :

شَرِبتُ كأس الجوى من لوعة وضنى

فصرت محـــوا به من رقـــة البـــدن

من بيت المتنبي :

أَبلى الهوى أَسفا يوم النوى بدني

وفَرّقَ الهجر بين الجفن والوسنِ

كفى بجسمي نحولا أنني رجلٌ

لولا مخاطبتي إيـــاك لم ترنـــي

والبيت :

خليليَّ إني قد غشيت من البكا

فهل عند غيري عبرةٌ استعيرها

من بيت العباس بن الأحنف :

مَنْ ذا يُعيرك عينه تبكي بها ؟

أرأيت عينا للبكــاءِ تُعــار ؟

والبيت :

فوجهك كالصبــحِ مهما بــدا

وشعرك في الكون يحكي الليالي

من بيت دوقلة المنبجي :

فا لوجهُ مثل الصبح مبيضٌ

والشعرُ مثل الليل مُسْــوَدٌ

والبيت :

البدر يكمل كــلَّ شهر مــرةً

وجمالُ وجهك كل يوم يكملُ

من بيت ابن النبيه المصري :

يَزيدُ جمالُ وجهك كلَّ يومٍ

ولي جسدُ يذوب ويضمحل

ورواية الشطر الثاني : ((ولي كبد تذوب وتضمحل))

والبيت

قل للمليحة في الخمار المذْهَبِ

ماذا فعلَتِ بعابدٍ مترهبِ

من بيت مسكين الدارمي :

قل للمليحةِ في الخمارِ الاسودِ

ماذا فعلتِ بناسكٍ متعبدِ ؟

والبيت :

ومن يفعل المعروف في غير أهله

يُجازى كما جوزي مجير أم عامرِ

من بيت زهير بن أبي سلمى :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ومن لا يتقِ الشتم يشتمِ

والبيت

لا تجعلني فداك الله من ملك   كالمستجير من الرمضاء بالنار

من البيت :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفي بعض الشعر إشارات الى بعض الاشخاص والقضايا ، ومن ذلك الإشارة الى طب (ابن سينا) والعلاج بالالحان ، في البيت :

زعم (ابنُ سينا) في أصول كلامه

أنّ المحبّ دواؤه الالحانُ

والى جنون قيس بن الملــوح واشتهاره بحب ليلى في البيتين :

ولقيت من حبيك ما لم يلْقه

في حب ليلى قيسُها المجنونُ

لكنني لم اتبعْ وحشَ الفلا

كفعالِ قيس ، والجنونُ فنونُ

والى علم لقمان ، وجمال يوسف ، ونغمة داود ، وعفة مريم ، وحزن يعقوب على ولده يوسف ، وحسرة يونس الذي ابتلعه الحــوت ، وبلــوى أيوب في محنة مرضه ، وخروج آدم من الجنة :

لها عِلْمُ لقمانٍ ، وصورةُ يوسُفٍ

ونغمةُ داود ، وعفةُ مريمِ

ولي حزن يعقوب ، وحسرةِ يونس

وبلوة أيوبٍ ، وقصة آدمِ

والى بلال مؤذن الرسول – صلى الله عليه وسلم – في البيت :

أقام بلال الخال في صَحْنِ خده

يُراقب من لألاء غرته الفجرا

والى المثل (عش رجبا تجد عجبا) في البيت :

عِشْنا الى أَنْ رأينا في الهوى عجبا

كل الشهور وفي الامثال (عِشْ رجبا)

والى الشاعر المتلمس خال الشاعر طرفة بن العبد ، في البيت :

أيا ليت شعري والحوادث جمة

بأي بلاد أنت يا متلمس

وقصة طرفة مشهورة حيث قتل بسبب الصحيفة التي يحملها ، ونجـاة خاله مما جرى له .

والى زرقاء اليمامة وحِدَّة بصرها في البيتين :

لو كنت زرقاءَ اليمامة مارأت
من بارق حبي على (جَيرونِ)

ترمى بعينيك الفجاجَ مقلبا
ذات الشمال بها وذات يَميـنِ

وفي الشطر الأخير إشارة الى قوله – تعالى – في أصحاب الكهف : ((وتحسبهم أيقاظا وهم رقودٌ ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال)) (الكهف ١٨) .

والى الأصمعي المشهور بالرواية في البيت :

أروي الغرام مُسَلسَلا بعجائبٍ
وغرائبٍ حتى كأني الأَصمعي

(٦)

كان الشعر الذي قاله القدماء يمثل قمة ما جاء في الليالي ، وكان الـى جانبه شعر لا يرقى اليه إذ هو يمثل عهدي المماليك البرجية والعثمانيين . ويؤيد هذا أن في الليالي قصائد لا تشبه القصيدة القديمة في بنائها ، وإنمـا تتلون وتختلف قوافي مقاطعها ، وهذا اللون من الشعر جاء متأخرا علـى الرغم من نسبة بعض ما يشبهه الى القدماء .

ومما جاء في الليالي من هذا اللون قصيدة تتألف من مقاطع ، ولكل مقطع قافية خاصة غير أَنَّ الشطر الخامس في جميعها موحد القافية : [١٥]

قل لقوم هم لعشقي جَهلوا | في حبيب ما اليه وصلوا
عن غرامي بين قومي فاسألوا | قد حلا نظمي ورق الغزلُ

في هوى قوم بقلبي نزلوا

وتلتزم القصيدة باللام في الشطر الخامس في مقاطعها كلها (المثل ، يشتعل عدلوا ، نقلوا ، صلوا ، يبخل)

وفي الليالي قصيدة طويلة تتكون من مقاطع وكل مقطع ثلاثة أبيات تتعدد قوافيها :[١٦]

يا عاذلا أصبح في ذاته | منعما يزهو بلذاته
لو عضك الدهر بآفاته | لقلت من ذوق مراراته
آه من العشق وحالاته | أحرق قلبي بحراراته

وتظل التقفية بكلمة (حراراته) خاتمة كل مقطع من القصيدة .

(٧)

وبناء الشعر لونان :

الأول : المنسوب الى الشعراء القدامى ولغته راقية ، وتراكيبه محكمة ، وكلماته معبرة عن المعنى .

---

[١٥] تنظر القصيدة في ديوان ألف ليلة وليلة ص٣٢١ .

[١٦] تنظر في المصدر السابق ص٣٢٣ ، و (كتاب ألف ليلة وليلة ج٤ ص٣٦) .

الثاني : ما كان من العهود المتآخرة ، ولا يرقى الـى الأول فـي لغتـه وتراكيبه وألفاظه ، وكان كثير منه يقبس من الشعر القديم .

وفي شعر الليالي عبارات متداولة لا يزال بعضها معروفا ، مـن ذلك (للضرورة أحكام) في :

وما عن رضى فارقت سلمى معوضا

بديلا ولكنْ للضرورةِ أحكامُ

و (أغار عليك منك) في :

فلا تسمحْ بوصلك لي فاني

أغار عليك منك فكيف مني ؟

و (أغار عليه من نظري) في :

أغار عليه من نظري وفكري

فمن بعضي على بعضي رقيبُ

و (أغار عليك من نظري) في :

أغار عليك من نظري ومني

ومنك ومن مكانك والزمـانِ

و (ما خط بالقلم) في :

يا من يلوم على ما حلّ بي وكفى

أني صبرتُ على ما خُطَّ بالقلمِ

و (إن ربي قد بلاني) في :

يا عذولي لا تلمني إنَّ ربي قد بلاني

و (ضاقت جميع مذاهبي) في :

وفي حبكم ضاقتْ جميعُ مذاهبي

عليَّ فلا أدري الى أين أذهبُ ؟

و (بكيت دما) في :

ولقد بكيت دما لقولِ عواذلي   من جفن مَنْ تهوى يروعك مرهف

وفي :

بكيت دما يوم النوى فمسحته   بكفيَّ فابتلت بناني من دمي

و (جمال يوسف) في :

كَذَبَ الذي قال الملاحـة كلهـا

في يوسُفٍ كم في جمالك يوسُفُ

و (أرعى نجوم الليل) في :

أبيت أرعى نجوم الليل في سهرٍ

والدمع منهمل في الخد كالبـردِ

و (أُراقب نجم الصبح) في :

أُراقب نجم الصبح حتى إذا أتى

أهيم بأشواقي ، ووجدي زائـد

و (فكلي عيون) في :

إن تذكرته فكلي قلوبٌ

أو تأملته فكلي عيونُ

و (أَصابتك عين) في :

أصابتك عينٌ أم دهتك ملمةٌ

فصدك عن باب الحبيب حجابُ

و (على عينيك يا تاجر) في :

فقال ما للناس في ضجة

قلت على عينيك يا تاجرُ

و (قامت عليَّ قيامتي) في :

لقد حملوني في الهوى فوق طاقتي ومن أجلهم قامت عليَّ قيامتي

و (بالعوافي) في :

اشرب الراحَ فائزا بالعوافي

إنَّ هذا الشرابَ للداءِ شافي

ويتلون القسم في شعر الليالي ، ومن ذلـك القسم بـالله – سـبحانه وتعالى : ـ

واللهِ ما كنت طول الدهر ناسيها

ولا دنـوت الى مَنْ ليس يدنيهـا

واللهِ واللهِ العظيم وحـقِّ مـن

يتلو من القرآن سورة (فاطـرِ)

أَمـا واللهِ لـو علـم الأنـامُ

لمـا خلقـوا لما غفلوا ، ونامـوا

تاللهِ ما خامرتني الخمر ما علقت

روحي بجسمي وأقوالي بافصاحي

ولا صبوتُ الى مشمولة أَبدا

يوم ولا اخترت نُدمانا سوى الصاحي

واللهِ ما كنتُ لصا يا أَخا ثقةٍ

ولم أكــن سارقا يــا أحســنَ الناسِ

والقسم بالرحمن :

تحيرتُ والرحمنِ لا شكَّ في أمري

وحلّت بيَ الأحزانُ من حيث لا أدري

والقسم بمن خلق الانسان :

وحقِّ من خاقَ الانسان من عَلَقٍ

ومن أنار ضياءَ الشمسِ والقمرِ

والقسم بآيات الضحى :

قسما بآيات الضحى مَنْ وجهُهُ

لم أُنْسَ فيه سورةَ (الإخلاصِ)

والقسم بالحب :

أقسمتُ بالحبِّ ما لي سلوةٌ أبدا

يمين أهل الهوى مبرورةُ القَسَمِ

والقسم بكلمة (لعمرك) :

لعمرك لو كانت كمثلي حزينةً

لما لبِسَتْ طوقا ولا خضبت رِجْلا

والقسم بالحياة :

وحياةِ مَنْ ملكت يداه قيادي

لأخالفنَّ على الهوى حُسَّـــــادي

وحياة وجهك لا أُحبُّ سِواكا

حتى أموتَ ولا أَخونُ هواكـــا

وحياةِ وجهِك ياحياةَ الأنفس

لا ملتُ عنك يئست أم لم تيأس –

والقسم بكلمة (الحق) :

وحقِّ مَنْ خلقَ الأشياءَ من عدمٍ

وزانَ وجهَ السما بالأنجمِ الزُّهُرِ

وحقِّك لو أنصفتنيْ ما قتلتنـــي

ولكنَّ حكمَ البين ما فيه منصف

وحقِّ الهوى ماغير البعد عهدكم

ولا أنا ممن للعهـــود يخـــونُ

وحقِّ هواكم ما سلوتُ ودادكـــم

ولا تلفت روحي هوى وتشوقا

وحقكم إنَّ قلبي لم يَطْقِ جلـَدا

على الفراق ولو كان الوصال ردى

وحقكم سادتي من يوم فرقتكم

ما لذَّ لي طيب عيش بعدكم أبدا

وتتعدد الأقسام في الأبيات ليصل الشاعر الى :

إِنَّ الشذا قد فاح من أنفاسه

والريح تروي طيبها عن نَشْرِهِ

وتأتي كلمة (قسما) من غير ذكر المُقْسَمِ به :

قسما لقد ملأَت أَحاديثي الفضا

كالشمس مشرقة على ذاتِ الغَضا

ويبدو أَنَّ الشعراء المتأخرين لم يتركوا شيئا إلا أقسموا به ، وجلال القسم وعظمته أَنْ يكون بالله – سبحانه وتعالى – .

(٨)

تتضح في شعر الليالي النزعةُ القصصية وهذه من ملامح الشعر القصصي الذي عُرف به عمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد وغيرهما من الشعراء الذين صوروا المشاهد الغرامية إن صدقا وإن كذبا .

وقد تأتي القصة على لسان الطير ، من ذلك :

نُبئتُ أَنَّ البازَ صادف مرَّةً

عصفورَ برٍ ساقه المقدورُ

فتكلم العصفورُ في أظفاره

والبازُ منهمكٌ عليه يطيرُ

ما فيَّ ما يغني لمثلك شِبْعَةً

ولئن أكلت فانني لحقيرُ

فتبسَّم البازُ المدِلُّ بنفسه

عجبا وأَفلتَ ذلك العصفور،(١٧)

---

(١٧) تنظر في المصدر السابق ص٣٩٨ .

ويقوم بناء الشعر على الحوار أحيانا ، ومن ذلك :

قال الوشاة : قد سلا   قلتُ لحبِ الوطنِ
قالوا : فما أحسنَهُ   قلت : فمـــا أعشقني
قالوا : فما أعزّه   قلتُ : فمـــا أذلنـــي
هيهاتَ أنْ أتركه   لو جَرّعوني شَجني
وما أُطعتُ لائما   في حبه يعذلني[18]

وفي الليالي كثير من الرسائل المتبادلة بين المحبين ، وألغاز مما شاع في العهود المتأخرة :

اسمُ الذي حيرني   حُروفه مشتهره
أربعة في خمسة   وستة في عَشَره[19]

(٩)

لا يخرج شعر الليالي عن الشعر العربي في صوره ، فهي تأتي علـــى وَفْقِ الحواس الخمس :

البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس ، فمن البصرية :

أشرقت في الدجى فلاح النهارُ
واستنارتْ بنورها الأشجارُ

ومن السمعية البصرية :

يترجم طرفي عن لساني لتعلموا
ويبدو لكم ما كان صدري يكتم

---

[18] تنظر في المصدر السابق ص٥٨ .

[19] المصدر نفسه ص٢٦١ ، وتنظر ص٥٦١ وما بعدها .

ومن الشمية :

دونك يا سيدي وردة   تذكرك المسك أنفاسها
كغادةٍ أبصرها عاشِقٌ   غطت باكمامها راسها

ومن الذوقية :

كأنما ريقها شَهْدٌ وقد مُزِجَتْ
به المدامةُ ، لكنْ ثغرها دُرَرُ

ومن اللمسية :

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ومنطِقٌ
رخيمُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

ويأتي التصوير بتعدد الأوصاف ، من ذلك :

القلبُ منقبضٌ ، والفكرُ منبسطٌ
والعينُ ساهرةٌ ، والجسمُ متعوبُ
والصبرُ منفصلٌ والهجرُ متصلٌ
والعقلُ مختبلٌ ، والقلب مسـلوبُ

ومنـه :

والشعرُ أسودُ ، والجبينُ مُشعشِعٌ
والطرفُ أحورُ ، والقوامُ مهفهفُ

ومنـه :

فِراق ، وحزنٌ ، واشتياقٌ ، وغربةٌ
وبُعْدٌ عن الأوطان والشوقُ غالِبُ

ومنـه :

لي في محبتكم شهودٌ أَربعٌ
وشهودُ كـلِّ قضيـةٍ اثنـانِ
خفَقانُ قلبي ، واضطرابُ جوانحي
ونحولُ جسمي ، وانعقادُ لساني

وأكثر وسائل التصوير أُسلوب التشبيه كما في شعر الوصف[٢٠]، ويتصل بالتشبيه التشابه وهو ((أَنْ يتساوى الطرفان المشبه والمشبه به في جهة التشبيه فيترك التشبيه الى التشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به تفاديا من ترجيح أحد المتساويين))[٢١] كقول أَبي اسحاق الصابي :

تشابَهَ دمعي إِذ جرى ومدامتي
فمن مثل ما في الكأس عيني تسكبُ
ووالله ما أَدري أَبا لخمرِ أسبلتْ
جفوني أم من أَدمعي كنت أَشربُ[٢٢]

ومن فنون البلاغة التي لها وجود في شعر الليالي (الاستدراك) وهو ((رفع توهم يتولَّد من الكلامِ السابق رفعا شبيها بالاستثناء وهو معنى ((لكن))[٢٣] ومن أمثلته قول ابن الرومي :

وإِخوان تخذتهمو دروعا
فكانوها ، ولكنْ للأَعادي
وخلتهم سهاما صائباتٍ
فكانوها ، ولكنْ في فؤادي

---

[٢٠] ينظر المصدر السابق ٥٢٧ وما بعدها .

[٢١] مفتاح العلوم ص١٦٤ ، الايضاح ص٢٤٢ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٣٢٢ .

[٢٢] ديوات ألف ليلة وليلة ص٩٠ .

[٢٣] أنوار الربيع ج١ ص٣٨٥ ؛ وينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٧٤.

وقالوا قد صَفَتْ منا قلوبٌ

لقد صدقوا ، ولكنْ عن وِدادي

وقالوا قد سعينا كلَّ سَعْيٍ

لقد صدقوا ، ولكنْ في فَسادي[٢٤]

ومن ذلك التخيير ، وهو ((أنْ يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أنْ يُقفَّى بقوافٍ شتى فيتخير منها قافيةً يُرجحها على سائرها يستدل بتخييرها على حُسْنِ اختياره))[٢٥] ، ومن أمثلته ما نسب الى ديك الجن :

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقتَ (المنام)
كي استريحَ وتنطفي	نار تؤجج في (العظام)
دَنِفٌ تقلبه الأكفُ	على بساط من (سقام)
أما أنا فكما علمتِ	فهل لوصلك من (دوام) ؟ [٢٦]

---

[٢٤] ديوان ألف ليلة وليلة ص٣٤٦ .

[٢٥] خزانة الأدب ص٧٨ ، وينظر أنوار الربيع ج٢ ص١٥٠ ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٢٩٤ .

[٢٦] تنظر في كتاب ألف ليلة وليلة ج٣ ص٢٢٥ ، وفيه أن قصة هذه المقاطع جرت في زمن هارون الرشيد ، وأنها من نظم فتاة كانت تستقي الماء فأنشدته الأبيات وغيرت القوافي ، ونسبتها الى (ديك الجن) غير صحيحة .

وينظر ديوان ألف ليلة وليلة ص٢١٣ – ٢١٤ .

وكانت أم كلثوم قد غنت هذا المقطع والثالث والرابع في فلم دنانير سنة ١٩٣٩م .

وتغيرت القافية :

قولي لطيفك ينثنـــي	عن مضجعي وقت (الوسن)
كي أستريح وتنطفي	نـــار تأجـــج في (البـــدن)
دنفٌ تقلبه الأكـــفُّ	على فـــراشٍ مـــن (شجن)
أما أنا فكما علمـــت	فهـــل لوصلك من (ثمن) ؟

وتغيرت القافية :

قولي لطيفك ينثنـــي	عن مضجعي وقت (الرقاد)
كي أستريح وتنطفي	نـــار تؤجـــج في (الفؤاد)
دَنِفٌ تقلبه الأكـــف	على بســـاطٍ مـــن (سُهاد)
أما أنا فكما علمـــت	فهل لوصلك من (مَعاد) ؟

وتغيرت القافية :

قولي لطيفك ينثنـــي	عن مضجعي وقت (الهجوع)
كي أستريح وتنطفي	نار تؤجـــج في (الضلـــوع)
دَنِفٌ تقلبه الأكـــف	على فـــراش من (دمـــوع)
أما أنا فكما علمـــت	فهل لوصـــلك من (رجوع)

ومنه التشريع ، وهو ((أنْ يبني الشاعر بيته على وزنين مـــن أوزان القريض وقافيتين ، فإذا أُسقط من أجزاء البيت جزءٌ أو جزأين صار ذلـــك البيت من وزن آخر غير الأول))[٢٧] ، ومنه قول الحريري :

يا طالبَ الدنيا الدنية إنها

شركُ الردى وقرارةُ الأكدارِ

---

[٢٧] خزانة الأدب ص١١٩ ، وينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣٥١ .

دار متى ما أضحكت في يومها

أبكت غدا تبا لها من دارِ[٢٨]

والقصيدة من ثاني الكامل ، وتنتقل بالإسقاط الى ثامنه فتصير :

يا خاطبَ الدنيـــا الدنية إنهـــا شَـــركُ الـــردى

دارٌ متى ما أضحكتْ في يومهـــا أبكت غَـــدا

ومنه التفريع وهو ((أنْ يصدر الشاعرُ أو المتكلمُ كلامَه باســـم منفـــي بـــ (ما) خاصة ، ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناســـبة للمقام إما في الحسن وإما في القبح ، ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة مـــن جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بـــ (أفعل) التفضيل))[٢٩] ومـــن امثلتـــه قـــول ابراهيم بن سهل الاشبيلي :

وما وَجْدُ أعرابية بان أهلها

فحنت الى بانِ الحجازِ ورنْدِهِ

إذا آنست رَكْبا تكفل شوقها

بنارِ قِراه والدموعُ بوردِهِ

بأعظمَ من وَجْدي بحبي وإنما

يرى أنني أذنبت ذنبا بودِهِ[٣٠]

---

(٢٨) تنظر في ديوان ألف ليلة وليلة ص٣٩١ .

(٢٩) خزانة الأدب ص٤١٤ ، وينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٦٩٦ .

(٣٠) تنظر في ديوان ألف ليلة وليلة ص٦٨ .

وكان الشعراء المتأخرون قد أُولعوا بالجناس ، وقد حفل شعر الليالي بهذا اللون من الفنون البلاغية والجناس أو التجنيس والمجانسة ، هو الاتفاق في حروف الكلمة والاختلاف في المعنى ، وهو أنواع كثيرة ولكن المشهور منها الجناس التام ، والجناس الناقص[٣١] . ومن أمثلته في الليالي :

ومهفهف يغني النديم بريقه

عن كأسه الملأى وعن إبريقه

فِعْلُ المدامِ ولونُها ومذاقُها

في مقلتيه ، ووجنتيه ، وريقه[٣٢]

ومنه :

لا أُحبُّ السِّواكَ من أَجل أَني

إن ذكرت السواكَ قلت : سِواكا

وأُحبُّ الأراكَ من أَجْلِ إِني

إن ذكرت الأراك قلت : أَراكا[٣٣]

ومن أمثلة جناس الاشتقاق :

إذا أنعمتْ نُعْمٌ عليَّ بنظرةٍ

فلا أَسعدتْ سُعدى ولا أجملتْ جُمْلُ[٣٤]

---

[٣١] ينظر خزانة الأدب ص٢٠ وما بعدها ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٢٦٤ وما بعدها .

[٣٢] ينظر ديوان ألف ليلة وليلة ص٣٢ .

[٣٣] ينظر المصدر نفسه ص١١٥ .

[٣٤] المصدر نفسه ص١٣٠ .

(١٠)

ليست هذه الصحائف دراسة فنيـــة وإنمـــا هـــي جولـــة فـــي شـــعر (كتاب ألف ليلة وليلة) تهدف الى :

١ــ تأكيد عروبة الكتاب من خلال ما استشهد بـــه مـــن شـــعر متقـــدم أو متأخر كما أكده البحثان السابقان : (عروبة ألف ليلـــة وليلـــة) و (لغة ألف ليلة وليلة) .

٢ــ الوقوف على القضايا التي كانت في العهد الذي كتبت فيه الليالي .

٣ــ معرفة مدى استفادة المتآخرين من المتقدمين ، ووسائل الأخذ .

٤ــ قدرة المؤلف على الربط بين الأحداث والـــشعر ، والوقـــوف علـــى أُسلوب الربط والتوافق فيما رمى اليه مؤلف الكتاب .

٥ــ تلمس قيمة شعر الليالي ومقارنته بشعر العهود المتأخرة للوصول الى الصلة بين الأجيال الشعرية .

٦ــ دراسة شعر العهد الذي كُتبت فيه الليالي ومعرفة أهم خصائصه الفنية والموضوعية .

٧ــ الاهتمام بالتراث المعبر عن البيئات الشعبية ورسم صورة واضحة له من خلال كتاب الليالي .

٨ــ التمتع بشعر الليالي لما فيه من صور ومعان ووصف يشد القـــارئ ، وكان من ذلك أن غنى بعضه المعاصرون .

المصـــادر :

١ـ أنوار الربيع في أنواع البديع - علي صـدر الـدين بـن معـصوم المدني - تحقيق شاكر هادي شكر . النجف الأشرف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٢ـ الايضاح - الخطيب جلال الدين القزويني . تحقيق جماعة من علماء الأزهر الشريف - القاهرة .

٣ـ بعض دواوين الشعراء المذكورين في هذه الصحائف .

٤ـ خزانة الأدب وغاية الأرب - أبو بكر علي بـن حجـة الحمـوي - القاهرة ١٣٠٤هـ .

٥ـ ديوان ألـف ليلـة وليلـة - تحقيـق عبـد الـصاحب العقـابي - بغداد ١٩٨٠م .

٦ـ عروبة ألف ليلة وليلة - الدكتور احمد مطلوب .

(مجلة المجمع العلمي - الجزء الثالث - المجلد (٥٢) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) .

٧ـ كتاب ألف ليلة وليلة - نشرة عبد الحميد احمد حنفي - القاهرة .

٨ـ لغة ألف ليلة وليلة - الدكتور احمد مطلوب .

(مجلة المجمع العلمي - الجزء الأول - المجلد (٥٣) ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) .

٩ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - الدكتور احمـد مطلـوب - بيروت ١٩٩٦م .

١٠ـ مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي - القـاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

أثر تدفق القوى العاملة في
هوية دول الخليج العربي

الدكتور داخل حسن جريو
عضو المجمع العلمي

الملخص : ـ

أدت الوفرة المالية المتأتية من الموارد النفطية الهائلة في دول الخليج العربي إلى نهضة عمرانية واسعة ، وإقامة مشاريع صناعية كبيرة ، الأمر الذي تطلب استقدام قوى عاملة من بلدان عديدة ، أغلبها من دول شبه القارة الهندية وبعض دول جنوبي شرقي آسيا ، وذلك بسبب افتقار دول الخليج العربي إلى القوى العاملة الوطنية القادرة على تنفيذ هذه المشاريع . وقد نجم عن ذلك خلل واضح بتركيبة سكان هذه الدول حيث أصبح عدد الأجانب في الكثير منها يفوق عدد سكانها ، ولا يقل عددهم في أي منها عن ثلث سكانها في أحسن الأحوال ، وهو أمر يحمل في طياته مخاطر جمة على حاضر هذه الدول ومستقبلها ، ما لم يتم التصدي الحازم لهذه الحالة عبر سياسات رشيدة تحفظ لها هويتها الوطنية وأرثها الثقافي والحضاري ، وتماسك نسيجها الاجتماعي . تسلط هذه الدراسة الضوء على واقع حال تركيبة القوى العاملة في دول الخليج العربي ، وبيان الجهود المبذولة للحد منها عبر سياسات توطين الوظائف ، أي إحلال قوى عاملة وطنية محل قوى عاملة أجنبية .

المقدمـــة : ـــ

تختلف التركيبة السكانية في دول الخليج العربية عـــن التركيبـــة السكانية في معظم دول العالم الأخرى نتيجة لوجود أعداد كبيرة من القوى العاملة الوافدة لإنجاز خطط التنمية الواسعة التي تشهدها هذه الدول . حيث تشير إحصاءات التعداد السكاني لدول الخليج العربي عام ٢٠١٠ إلـــى أن عدد سكان هذه الدول يبلغ نحو (٤٣) مليون نـسمة ، مـــوزعين بواقـــع (٢٧،١٣٧) مليون نسمة في المملكة العربيـــة الـــسعودية ، و(٧،٥١٢) مليون نسمة في دولة الإمارات العربية المتحدة ، و(٢،٧٧٣) مليون نسمة في سلطنة عمان ، و (٢،٧٣٧) مليون نـــسمة فـــي دولـــة الكويـــت ، و (٢،٧٣٧) نسمة في قطر ، و (١،٢٣٧) مليون نـــسمة فـــي مملكـــة البحرين ، نسبة الأجانب منهم : (٨٧ ٪) في قطر ، و(٨٤ ٪) في دولة الإمارات العربية المتحدة ، و (٦٩٪) في الكويـــت ، و (٥٤ ٪) فـــي البحرين ، و(٣١ ٪) في المملكة العربية السعودية ، و(٢٨ ٪) فـــي سلطنة عمان .

تنفرد دول الخليج العربي بين دول العالم الأخرى ببعض المزايا التي تتمثل في الآتي :

١. حداثة مؤسساتها الاقتصادية .
٢. استخدامها الكثيف للقوى العاملة الوافدة .
٣. تحقيق معدلات تنمية عالية في مدة قصيرة .
٤. امتلاك قدرات مالية كبيرة .

٥. ارتفاع نسبة الأجانب بحيث لا تقل هذه النسبة في أي من هذه الـدول عن ثلاثين من المائة من إجمالي السكان ، وتصل هذه النسبة إلى أكثر من ضعف عدد السكان في بعضها .

تركيبة القوى العاملة في دول الخليج العربي :ـ

شهدت دول الخليج العربي نهضة واسعة في جميع المجالات منذ مطلع عقد السبعينيات من القرن المنصرم بسبب قدراتها المالية الكبيرة المتأتية من عائدات النفط ، ونظرا لحداثة هذه الدول فأنه لم تتوفر لديها القدرات البشرية اللازمة لتنفيذ مشاريعها العمرانية والتنموية ، الأمر الذي دفعها إلى الاستعانة بقوى عاملة وافدة من شتى بقاع العالم .

تشير إحصاءات الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي إلى أن نسبة القوى العاملة الوافدة عام ٢٠٠٦ على سبيل المثال ، كانت فـي مملكة البحرين (٧٩٪) ، وفي المملكة العربيـة الـسعودية (٨٨,٤٪) ، وفي سلطنة عمان (٨١,٥٪) ، وفي دولة قطر (٨٤,٨٪) وفـي دولـة الكويت (٨٤,٨٪) . وفي دولة الإمارات العربية المتحدة (٩٠٪) مـن إجمالي القوى العاملة ، وهي في تزايد مستمر عاما بعد آخر.

تتركز القوى العاملة الوافدة في القطاع الخاص ، وتتفاوت نسبتها كمؤشر عام من دولة لأخرى ، ففي دولة الإمارات العربية المتحدة تشكل نسبتها (٩٨,٧٪) ، وفي سلطنة عُمان (٧٨,٣٪) ، وفي مملكة البحرين (٧٢,٤٪) وفي المملكة العربية السعودية (٨٠٪) ، وفي دولة الكويت

(٩٠٪) ،وفي دولة قطر أكثر من (٩٦٪) من إجمالي القوى العاملة ، وتتصاعد هذه النسب عاما بعد آخر .

تتفاوت نسب القوى العاملة الوافدة حسب جنسيتها ، تشير الإحصاءات إلى أن القوى العاملة الآسيوية هي القوى المهيمنة على سوق العمل وتشكل نسبة (٦٩,٩٪) تليها القوى العاملة العربية بنسبة (٢٣,٢٪) ، أما على مستوى كل دولة من دول المجلس ، فإن سلطنة عمان تستقطب من القوى العاملة الآسيوية نحو(٩٢,٤٪) ، تليها دولة الإمارات العربية المتحدة بنسبة (٨٧,١٪) ، ثم مملكة البحرين بنسبة (٨٠,١٪) ، فدولة الكويت (٦٥,٤٪) ، بعدها المملكة العربية السعودية (٥٩,٣٪) ، وأخيرا دولة قطر بنسبة(٤٥,٦٪) .

تستحوذ القوى العاملة الوافدة على (٦٠- ٧٠٪) من فرص العمل في دول الخليج العربي ، مما يؤدي إلى تفاقم مشكلة البطالة بين مواطني دول المجلس ، التي بلغت كمتوسط عام نحو (٥،٧ ٪) ، بسبب منافسة القوى العاملة الوافدة للقوى العاملة الوطنية في سوق العمل ، وتتفاوت نسبة البطالة من دولة لأخرى ، حيث يبلغ المتوسط العام للبطالة في مملكة البحرين (٦,٣٪) ، وفي المملكة العربية السعودية (٦,٠٥٪) ، ونحو (١,٥٪) في دولة الكويت ، و(٢,٣٪) في كل من دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر . و(١٤٪) في سلطنة عمان عام ٢٠٠٦.

نتناول في البنود اللاحقة تركيبة القوى العاملة في كل دولة من دول الخليج العربي بشيء من التفصيل .

تركيبة القوى العاملة في الكويت

أوضحت دراسة أعدها مركز الدراسات الإجتماعية في مجلس الأمة الكويتي أن عدد الكويتيين بلغ حتى نهاية العام ٢٠٠٨ قرابة (١،٠٨٨) مليون نسمة مقابل (٢،٣٥٤) مليون وافد . وتشير بيانات تطور التركيبة السكانية في الكويت منذ بدايات هذا العقد وحتى العام ٢٠٠٩ إلى أن معدل نمو الوافدين (٦،٦ ٪) سنويا، وهو ضعف معدل نمو الكويتيين(٣،٣) سنويا خلال الفترة (٢٠٠٢ - ٢٠٠٩) .

تتركز قوة العمل الوطنية في القطاع الحكومي (بنسبة ٨٣ ٪) منها ، نتيجة لاتساع فجوة مزايا العمل بين القطاعين الحكومي والخاص (لصالح الأول) ونتيجة لاستمرار سياسة التوظيف المعمول بها التي لا تعتمد على الاحتياجات الفعلية للقوى العاملة في الجهات الحكومية. كما تتركز في الأنشطة الأقل إنتاجية ، كمهنة الكتبة ورجال المطافئ والشرطة والمشرفين والمديرين في حين ، بينما لا تستحوذ المهن العلمية والفنية مثل الأطباء والمهندسين والاقتصاديين والعلميين والقانونيين والفنيين سوى على (١٢،٢ ٪) من إجمالي قوة العمل الوطنية في نهاية العام ٢٠٠٨ ، أما فئة الأعمال الحرفية فلا تستحوذ سوى على (٢،٧ ٪) من إجمالي قوة العمل الوطنية.

تتألف قوة العمل الكويتية حسب المستويات التعليمية في عام ٢٠٠٩ من الفئات الآتية :

(٢٢٪) مؤهلات عليا .

(٤١,٥ ٪) مؤهلات متوسطة .

(٣٣,٤٪) مؤهلات دنيا .

(٣,١ ٪) بدون مؤهل .

ويعني ذلك أن أربعة أخماس القوى العاملة الوطنية تتكون من متوسطي التأهيل ومن غير المؤهلين.

وأشارت الدراسة إلى توجه الطلبة نحو الدراسات الأدبية أكثر من توجههم نحو الدراسات العلمية مما أدى إلى ضعف الاتجاه نحو التعليم التقني، وبالتالي عدم قدرة المؤسسات التعليمية على تخريج ملاكات قادرة فنيا على قيادة عملية التنمية ، كما أثرت سلبا على سياسة القبول في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي ، كما . تعاني مخرجات التعليم من ضعف المستوى ويرجع ذلك إلى قصور في مناهج التعليم وبصفة خاصة في مواد اللغات والرياضيات والحاسب الآلي ، تمثل أعداد المقيدين في الهيئة في الدراسات التجارية ، الشريحة الأكبر من الطلبة ، لهذا تدعو الحاجة إلى خفض أعدادهم، إذ يلتحقون بعد التخرج في الأغلب بالمؤسسات الحكومية المكدسة للقيام بالأعمال الكتابية وخلق المزيد من البطالة المقنعة . مما يستلزم أعادة نظر شاملة وجادة بجميع برامج التعليم في جميع مراحله وتوجهاته لضمان تخريج ملاكات يمكن الاستفادة من مؤهلاتها في التنمية

والبناء ، كما يستلزم اعتماد سياسة توطين القوى العاملة الوطنيـــة عبـــر آليات ومسارات عمل واضحة ومحددة ، ومراجعة هذه السياسات بصورة منتظمة للوقوف على مدى نجاحها وتحقيق الأهداف المرجوة منها.

تركيبة القوى العاملة في الإمارات العربية المتحدة :

يصف الباحث الياباني كوجي هورينوكي الذي أنجـــز أطروحـــة دكتوراه بجامعة كيوتو اليابانية بعنوان : التحولات السياسية والاجتماعيـــة في الإمارات أن كلا من الإمارات والكويت البحرين وقطر، التي تعـــاني من الخلل السكاني "بدول الأقلية المواطنة" ، التي هي على نقيض الدولـــة الحديثة التي تتشكل من الأغلبية المواطنة. ويعتقد هذا الباحـــث إن "دولـــة الأقلية المواطنة" ظاهرة تاريخية وسياسية فريدة من ناحية، وغير طبيعيـــة من ناحية ثانية ، ولا يمكنها أن تستمر طويلا من ناحية ثالثة ، وستضطر عاجلا أم آجلا ، أن تستوعب الأكثرية الوافدة في نـــسيجها الاجتمـــاعي ، وتتحول إلى مجتمعات تضم مزيجا غير مستقر مـــن مـــواطني الأمـــس ، ومواطني اليوم ، ومواطني الغد . المعضلة التي تواجـــه "دولـــة الأقليـــة المواطنة" أن عليها أن تستوعب أعدادا كبيرة من الوافدين الذين هـــم في الطريق أن يصبحوا مواطنين .

تقدر هذه الأطروحة أن إجمـــالي عـــدد ســـكان الإمـــارات بلـــغ (٧،١٠٤)مليون نسمة ، وأن عدد المواطنين في الإمارات هـــو(٩٢٣) ألف نسمة، ما يعني أن نسبة المـــواطنين تراجعـــت إلـــى (١٣٪) عـــام ٢٠٠٩ ، وتظهر البيانات أن الجالية الهندية هي الأكبر عددا، لكن الجالية

الصينية هي الجالية الأسرع نموا في الإمارات حيث بلـغ عـددها نحـو (٢٠٠)ألف نسمة.

وفي الوقت الذي يؤكد كوجي هورينوكي أن هدف تنويع الاقتصاد هدف وطني نبيل ومشروع وضروري ولا بد من السير فيه ، إلا أنه يحذر من النمو الاقتصادي السريع والتحول إلى مركز تجاري ومالي وسـياحي عالمي . هذا النمط من النمو لا يمكن تلبية احتياجاته محليا ، ويحتاج دائما إلى تدفق أعداد متزايدة من القوى العاملة الماهرة والمتخصـصة وأعـداد أخرى من القوى العاملة غير الماهرة والرخيصة من الخارج . فـالمواطن في الإمارات مهما بلغ تعليمه وتدريبه وتراكمت خبراته وتطورت مهاراته لن يتمكن من الانضمام إلى قطاع القوى العاملة غير الماهرة والرخيصة ، كما أنه لا يستطيع الانضمام إلى قطاع الوظائف التي تتطلب خبرات علمية وعالمية متخصصة كل التخصص.

اقتصاد الإمارات ضخم، وهو الأسرع نموا في المنطقة وقادر على خلق نحو (٦٠٠ ألف) وظيفة سنويا في القطاع الخاص وحده، لكن على الرغم من ضخامته ونموه السريع غير قادر على إيجاد وظـائف مناسـبة لنحو (٢٥-٣٠) ألف مواطن يرغبون في العمل ولا يجدون عمـلا فـي القطاع الخاص .

وبعيدا عن مدى دقة البيانات وصحة الإسـتنتاجات ، فـإن هـذه الأطروحة تتوقف بشكل خاص عند قضية التوطين في الإمارات . يقـول كوجي هورينوكي إن التوطين كان دائما من بين أهم أولويـات الحكومـة الاتحادية منذ ولادتها الأولى ، إلا أن شعار التوطين ظل مجرد شعار مـن

دون أن يتحقق على أرض الواقع خلال ثلاثين السنة الماضية . لقد تشكلت مؤسسات وتكونت لجان ، ووضعت الخطط والبرامج والسياسات وعلى كل المستويات من أجل تحقيق التوطين، لكن ظل هذا الهدف الوطني عصيا ومراوغا ويبدو أنه سيظل كذلك على الرغم من النيات الطيبة. فكيف يمكن توطين(٤) ملايين وظيفة في القطاع الخاص ؟ يعزي كوجي هورينوكي إخفاق التوطين في الإمارات إلى مجموعة من الأسباب البنيوية أهمها :

١ . اختلال سوق العمل واختلال التركيبة السكانية وغياب تجربة ناجحة واحدة في مجال التوطين في الإمارات .

٢ . استمرار التركيز على النمو أولا والتوطين ثانيا. هذا التركيز على النمو الاقتصادي يخلق وظائف للوافدين وليس للمواطنين . لذلك إما أن تكون الأولوية للتوطين أو للنمو لكن لا يمكن أن تكون لهذين الهدفين المتناقضين معا.

٣ . خروج القطاع الخاص في الإمارات عن نطاق السيطرة الرسمية. للقطاع الخاص في الإمارات منطقه الخاص ومصلحته الخاصة التي لا تتطابق مع المصلحة الوطنية والمجتمعية.

٤ . الوجود الكثيف والتحكم الضخم للجاليات الأجنبية بالقطاع الخاص . لقد استحوذت هذه الجالية على امتيازات تفوق كثيرا امتيازات الأقلية المواطنة . ومن غير المنطقي توقع أن هذه الجاليات ستتخلى عن امتيازاتها ومصالحها ومواقعها واستثماراتها طوعا. بل من المنطقي

توقع أن هذه الجاليات ستعمل كل ما في وسعها من أجل تأجيل شعار التوطين في مؤسسات القطاع الخاص وتعطيله .

ويخلص الباحث إلى أنه لا يوجد ما يؤكد نجاح سياسة التوطين حيث يلاحظ تراجع الحكومة في أول مواجهة أمام القطاع الخاص الذي يستخدم سلاحا قويا هو سلاح الاقتصاد الحر الذي يحد من التدخل الحكومي في نشاطاتها وقطاعاته ، وتغليب مصلحة السوق على مصلحة الوطن ، وتغليب الاعتبارات الآنية على الاعتبارات الوطنية البعيدة المدى. في الصراع من أجل التوطين في الإمارات انتصر مبدأ الاقتصاد الحر. ومنطق القطاع الخاص الذي لن يصلح حاله طوعا ، ولا توجد قوة قادرة على جعله مرحبا بالتوطين وجاذبا للمواطنين . لقد أغلق هذا القطاع أبوابه أمام المواطنين وسيزداد حكرا على الوافدين ، في حين سيبقى القطاع الحكومي الذي يعاني أصلا من التضخم الوظيفي والترهل الإداري الملجأ الوحيد للتوطين .

تركيبة القوى العاملة في البحرين

يؤكد المحللون الاقتصاديون على الدور السلبي الكبير الذي تؤديه القوى العاملة الوافدة (التي هي في تنام مستمر) في البحرين على التركيبة السكانية وعلى الموارد المائية والاقتصادية الأخرى . تبلغ نسبة الأجانب (٥٤%) من إجمالي السكان . ووفقا لهؤلاء الاقتصاديين فأن تلافي المشكلة أمر ممكن بسهولة إذا توقفت الزيادة في أعداد الوافدين من القوى العاملة الأجنبية وبقيت معدلاتها كما هي عليها اليوم ، ولكن هذا مطلب قد لا يكون ، برأيهم سهل التحقيق في ظل سياسات التنمية الاقتصادية الحالية.

وحسب الأرقام التي نشرت في البحرين مؤخرا فان عدد سكان البحرين تضاعف خمس مرات خلال الخمسين عاما الماضية. وإذا ما استمرت وتيرة أعداد الوافدين إلى البحرين في النمو كما هي عليه الآن فانه بحلول العام ٢٠٢٠ ستطغى أعداد السكان الوافدين على إعداد البحرينيين ، حيث أن معدل النمو في أعداد البحرينيين حاليا يبلغ (٢،٩٪)فيما يبلغ نمو غير البحرينيين(٤،٨٪). وتعزى المعدلات العالية في النمو السكاني في البحرين إلى ارتفاع معدلات الهجرة الوافدة وانخفاض معدلات الوفاة ، حيث إن المجتمع البحريني يعتبر مجتمعا فتيا ترتفع فيه نسبة صغار السن . تمتلك دولة البحرين خصوصية فيما يتعلق بالزيادة السكانية عن سواها من دول العالم الثالث حيث تعتبر الزيادة السكانية غير مرغوبة ، حيث تبلغ الكثافة السكانية في البحرين (٧٣١) شخصا لكل كيلو متر مربع حسب تعداد عام ١٩٩١.

يلاحظ استمرار وتيرة التزايد في استقدام القوى العاملة الأجنبية ، بالرغم من تصريحات المسؤولين والقوانين التي صدرت بهدف تقليل نسبة هؤلاء والتي تمثلت في زيادة كلفة الاستقدام وتحفيز التوطين وغيرها من الوسائل . إن أهم مظاهر الخلل السكاني في البحرين تكمن في التزايد المتسارع في حجم البطالة والهيمنة شبه الكاملة للقوى العاملة الوافدة على النشاط التجاري والحرفي ، وعدم توافر وظائف لمواطنين على درجة عالية من التأهيل في مقابل كثرة الفرص للقوى العاملة الوافدة . لذلك لابد من وضع سياسة واضحة لمواجهة تنامي الأيدي العاملة الوافدة ، لاسيما أن جزءً من أسباب ذلك يعود إلى المتاجرة بالقوى العاملة الوافدة. يعتبر

هذا الوضع فريدا من نوعه بين مجتمعات العالم ، مما يتطلب تحركا جادا لإصلاح الخلل المتزايد في التركيبة السكانية قبل أن يتفجر الوضع وتفوت فرصة الإصلاح .

كما أن المطلوب وضع سياسات عامة للعمل باتجاه تحقيق نوع من التوازن بين النمو السكاني والتنمية الاقتصادية إذا أردنا مواجهة التحديات المستقبلية . إننا نعيش مرحلة صعبة تتطلب عددا من الخطوات الهامة منها التوسع في الأنشطة الاقتصادية وتنويع مصادر الدخل وتوفير المزيد من فرص العمل لأبناء البلاد وتطوير التعليم والتدريب والاستعانة بالتقنية لكل هذه القضايا .

تركيبة القوى العاملة في المملكة العربية السعودية :

بلغ إجمالي عدد سكان المملكة العربية السعودية (٢٧,١٣٦,٩٧٧) نسمة وفقا لنتائج العام للتعداد العام للسكان في العام ٢٠١٠م . وبلغ عدد المواطنين السعوديين (١٨,٧٠٧,٥٧٦) نسمة ، عدد الذكور من المواطنين السعوديين (٩,٥٢٧,١٧٣) فردا ، أي ما نسبته (٥٠,٩) في المائة من مجموع عدد المواطنين ، وبلغ عدد الإناث (٩,١٨٠,٤٠٣) مواطنة ، أي ما نسبته(٤٩,١) في المائة من عدد المواطنين ، وبلغ عدد المقيمين في المملكة العربية السعودية من غير المواطنين (٨,٤٢٩,٤٠١)نسمة ، وبلغ عدد الذكور من المقيمين غير السعوديين (٥,٩٣٢,٩٧٤) فردا ، أي ما نسبته (٧٠,٤) في المائة من إجمالي عدد المقيمين . وبلغ عدد الإناث (٢,٤٩٦,٤٢٧) ، أي ما نسبته (٢٩,٦) في المائة من إجمالي عدد

المقيمين . وتعد مصر من أكثر الدول التي تسهم في الهجرة العامة للمملكة بنسبة (١٦) في المائة ، وتليها الهند وباكستان واليمن والفلبين .

تتوزع قوة العمل السعودية بصفة رئيسة في ثلاثة قطاعات من المهن : الخدمات ، وهي الأعلى بنسبة(٢٨,٦٩) في المائة ، ثم المهن الفنية والعلمية بنسبة (٢٧,٩٨) في المائة ، وأخيرا المهن الإدارية ، وهي الأدنى بنسبة(٣,٥٦) في المائة.ونوعيا ، تتركز النساء من قوة العمل السعودية في المهن الفنية والعلمية.

أما قوة العمل غير السعودية فتتركز في قطاع الإنتاج والتشييد بنسبة (٤١,٧) في المائة ، ثم قطاع الخدمات ، وتأتي المهن الإدارية الأدنى بنسبة (١,١٤) في المائة .

تبلغ نسبة قوة العمل في المملكة العربية السعودية -وفقا للتعداد الصادر عام ٢٠٠٤نحو (٤٨,٣٥) في المائة من إجمالي عدد السكان الذين تتجاوز أعمارهم ١٥ عاما . تصل نسبة البطالة بين قوة العمل في المتوسط إلى (٤,٦٢) في المائة ، وتقل النسبة في قوة العمل غير السعودية إلى ما دون الواحد في المائة ، وتزيد في قوة العمل السعودية إلى (٨,٣٤) في المائة .

تركيبة القوى العاملة في قطر :

بلغ عدد سكان قطر نحو (٢،٧٠٠) مليون نسمة في العام ٢٠١٠ ، نسبة الأجانب منهم (٨٧ ٪) وهي الأعلى في دول مجلس التعاون .يعتبر معدل النمو السكاني في دولة قطر من اعلي المعدلات في العالم و يتجاوز بعدة أضعاف المعدلات العالمية المعروفة حيث يبلغ هذا

المعدل (٠،٥٪) في الدول المتقدمة و(٣،٢٪) في الدول النامية.ومن غير المتوقع أن يشهد هذا المعدل انخفاضا ملحوظا في دولة قطر خلال السنوات القليلة المقبلة نظرا لان كثيرا من المشاريع التنموية الضخمة مازالت في بدايتها كما أن النمو السكاني للمواطنين القطريين لا يشهد سوى تراجع بطيء فضلا عن أن مثل هذا التراجع غير مرغوب أصلا في دولة يصبح مواطنوها أقلية بين مجموع السكان .

كشفت إحصاءات رسمية أن عدد الرجال في قطر يساوي أربعة أضعاف عدد النساء . مما يعني وجود خلل غير طبيعي في التركيبة السكانية.وقد ارجع الخبراء هذا الخلل الكبير لظروف النهضة العمرانية والاقتصادية التي تعيشها قطر حاليا وحاجة البلاد إلى استقدام آلاف العمال سنويا للعمل في مشروعات التنمية .

تتركز القوى العاملة الوطنية في الإدارة الحكومية بنسبة بلغت (٧٣,٦٪) من مجموع القطريين النشطين اقتصاديا ، في حين يتركز وجود القوى العاملة الوافدة في القطاع الخاص وبنسبة كبيرة بلغت (٧٨,٤٪) من مجموع الوافدين النشطين اقتصاديا و (٧٣٪) من مجموع القوي العاملة ، فإذا أضفنا القوى العاملة المنزلية ترتفع النسبة إلي نحو (٩٤٪) من مجموع القوي العاملة في الدولة . أما بالنسبة لمعدل البطالة فما زال منخفضا ، وقد شهد تراجعا في السنوات الأخيرة ، حيث بلغت نسبة البطالة نحو(٤ ٪) في العام ٢٠١٠.

تشير بعض الإحصاءات إلى أن أكثر من ربع القوى العاملة الوافدة إلى قطر عمالة «أمية» لا تجيد القراءة أو الكتابة و(٧٥٪) منها يحملون الشهادة الثانوية وما دونها . و تشير الأرقام الصادرة عن جهاز الإحصاء إلى أن نسبة الذكور من هذه القوى العاملة بلغت نحو (٩٠٪) وهو الأمر الذي يهدد بمشكلات اجتماعية وأمنية كثيرة. تشير بعض الدراسات إلى أن الخلل في التركيبة السكانية في قطر لا يتوقف عند زيادة أعداد الرجال مقارنة بأعداد النساء ولكنه ينسحب أيضا على أن التركيبة السكانية نفسها غير متجانسة.حيث توجد عشرات الجنسيات التي تتحدث بلغات مختلفة وتحمل الكثير من الثقافات المتباينة والسلوكيات التي لا تتفق مع ثقافة المجتمع القطري وهويته .

تركيبة القوى العاملة في سلطنة عمان

تشير إحصاءات التعداد السكاني لسلطنة عمان لعام ٢٠١٠ إلى أن عدد السكان (٢،٧٧٣) مليون نسمة ، نسبة الأجانب منهم نحو (٢٨ ٪). وسلطنة عمان شأنها شأن دول مجلس التعاون تستعين بأعداد كبيرة من القوى العاملة الوافدة ولاسيما في القطاع الخاص .

تشير إحصاءات الإتحاد العام لنقابات العمال بسلطنة عمان لعام ٢٠١١ إلى أن عدد القوى العاملة الوطنية في منشآت القطاع الخاص (٢١٤) ألفا و(٧٥٨) مواطنا ومواطنة . بلغ عدد الاختصاصيين (٢٠٤٦٨) مواطنا ومواطنة وكانت نسبتهم إلى جملة العاملين (٥ر٩) بالمائة ، أما الفنيون فقد بلغ عددهم (١٤٦٢٥) مواطنا ومواطنة ونسبتهم (٨ر٦) بالمائة

وبلغ عدد المهنيين (٦٥٠٧٠) مواطنا ومواطنة ونسبتهم (٣ر٣٠) بالمائة وبلغ عدد العمال المهرة (٣٩٦٧٠) مواطنا ومواطنة ونسبتهم (٥ر١٨) بالمائة أما محدودو المهارة فبلغ عددهم (٧٤٩٢٥) مواطنا ومواطنة ونسبتهم (٩ر٣٤) بالمائة . وعدد القوى العاملة الوافدة في منشآت القطاع الخاص مليونا و(٢٠١) ألف و(١٧٥) عاملا وافدا منهم (٩٧٩) ألفا و(٣٣٧) عاملا من فئة الأعمال التجارية و(٢٢١) ألفا و(٨٣٨) عاملا من فئة أعمال الخدمات الشخصية .

وتشير إحصاءات وزارة القوى العاملة العمانية إلى أن (٨٧ ٪) من القوى العاملة الوافدة لا تمتلك مؤهلات علمية ، وأن تعليمها لا يتجاوز الشهادة الثانوية ، تسعى الحكومة إلى رفع نسبة التعمين في القطاع الخاص مركزة على القطاعات التي تتركز فيها القوى العاملة الوافدة ، حيث أظهرت الإحصاءات أن قطاع الإنشاءات يستحوذ على نحو(٤٣ ٪) من إجمالي عدد القوى العاملة الوافدة . ويرى اقتصاديون أنه من الصعب زيادة نسبة التعمين فيه نظرا لطبيعته ومستويات الرواتب التي يقدمها التي لا تعتبر محفزة للعمانيين . ويأتي قطاع تجارة الجملة والتجزئة والسلع الشخصية والأسرية وإصلاح المركبات في المرتبة الثانية في استقطاب القوى العاملة الوافدة ، و قطاع الصناعات التحويلية في المرتبة الثالثة، وقطاع الأعمال المنزلية في المرتبة الرابعة .

بطالة المواطنين في دول الخليج العربي

تشير التقارير الإحصائية إلى أن نسبة بطالة المواطنين في دول الخليج العربي عام ٢٠١٠بلغت في المتوسط (١١٪) ، أعلاها في سلطنة عمان (١٥ ٪) ، تليها البحرين (١٤ ٪) ، والمملكة العربية السعودية (٥ ، ١٠٪) ، والبحرين (٥ ، ٥ ٪) ،وكل من قطر والكويت (٤ ٪) . ولعلها مفارقة غريبة أن تعاني هذه الدول من بطالة في صفوف مواطنيها في الوقت الذي تستقدم فيه آلاف العمال من الدول الأخرى.تستحوذ القوى العاملة الوافدة على(٦٠- ٧٠٪)من فرص العمل في دول الخليج العربي ، مما يؤدي إلى تفاقم مشكلة البطالة بين مواطني دول الخليج العربي .

ولأجل الحد من تفاقم أعداد القوى العاملة الوافدة وما يمكن أن يترتب عليها من آثار سلبية كثيرة يمكن أن تهدد النسيج الاجتماعي لهذه الدول حاضرا ومستقبلا ، ولأجل توفير فرص عمل مناسبة للقوى العاملة الوطنية بعد أن توفرت لها فرص التعليم والتدريب المناسبة ، فقد اعتمدت الحكومات الخليجية سياسات توطين الوظائف ، أي إحلال القوى العاملة الوطنية في الوظائف المختلفة بدلا من القوى العاملة الوافدة بصورة تدريجية وعلى وفق خطط وبرامج معدة لهذا الغرض . حققت دول الخليج العربي نجاحا متفاوتا ، إلا أن جميعها ما زالت دون المستوى المطلوب ، حيث يلاحظ تزايد أعداد القوى العاملة الوافدة بسبب تزايد الحاجة الماسة لها لتنفيذ خطط التنمية الواسعة التي تشهدها هذه البلدان من جهة ،

وعزوف الكثير من المواطنين من ممارسة الكثير من الوظائف المهنية بأنواعها المختلفة ، كما تواجه دول الخليج العربي مشكلة عدم رغبة أعداد كبيرة من القوى العاملة الوطنية بالانتقال إلى مواقع العمل ، والرغبة في العمل في مواقع قريبة من أماكن سكناها أو بالقرب منها في أحسن الأحوال ، وذلك لأسباب اجتماعية شتى ، مما يؤدي إلى تزايد أعداد الباحثين عن عمل في بعض هذه الأماكن ، ونقص عدد العاملين في أماكن أخرى ، حيث تضطر المؤسسات إلى الاستعانة بقوى عاملة وافدة ، ولاسيما أن هذه القوى متوفرة بكثرة ومستعدة للعمل بأجور متدنية وساعات عمل أطول . وقد ينظر بعض العاملين نظرة دونية إلى بعض المهن أو يعزف عن بعض المهن التي يراها مهنا شاقة كمهن البناء والإنشاءات وما شابهها ، مما يفاقم مشكلة البحث عن عمل .

وهذه أمور جديرة بالاهتمام والتصدي لها بهدف إيجاد حلول مناسبة ، ليس من منظور إيجاد حلول لمشكلة الباحثين عن عمل فحسب ، بل من منظور أمن وطني يستلزم تطوير القدرات الوطنية في جميع المجالات والمهن المختلفة صغيرها وكبيرها على حد سواء ، إذ لا يصح الاعتماد كليا على قوى عاملة وافدة في أي مهنة كانت ، تحت أية ذريعة ولأي سبب من الأسباب . يتحمل القطاع الخاص مسؤولية اجتماعية لتأمين فرص التدريب والتعليم ، وتوفير فرص العمل للمواطنين في إطار تشريعات قانونية تسنها الجهات الحكومية ، ومنح هذا القطاع حوافز مغرية لتوفير فرص تدريبية مناسبة لتأهيل قدرات القوى العاملة الوطنية

وتطويرها حيث يمكن أن تؤدي وزارات القوى العاملة دورا أساسيا في هذا المجال .

ولأجل تحسين فرص عمل القوى العاملة الوطنية لابد من إيلاء التعليم التقني والتدريب المهني ما يستحقه من اهتمام بالغ ، وعدّه من المشاريع الاستثمارية التي يرتكز عليها الاقتصاد الوطني، أكثر من عدّه مشروعا خدميا لتعليم المواطنين . وهذا يتطلب توفير البيئة التعليمية والتدريبية الحديثة المزودة بالأجهزة والمشاغل ومعدات التدريب الحديثة، ورفد الكليات التقنية ومراكز التدريب المهني بالملاكات التعليمية والتدريبية ذات القدرة والكفاءة العالية بتخصصاتها المختلفة ، فاختيار ملاكات تعليمية وتدريبية جيدة، يعني في المقام الأول ضمان منظومة تعليمية وتدريبية جيدة قادرة على أداء وظائفها التعليمية والتدريبية على أحسن وجه ، فضلا عن صرف حوافز مجزية للمتدربين ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلاّ عبر شراكة حقيقية بين مراكز التدريب المهني والمعاهد والكليات التقنية من جهة ومؤسسات القطاع الخاص من جهة أخرى.

الآثار السلبية المترتبة من كثافة القوى العاملة الوافدة

تؤدي القوى العاملة دورا أساسيا في نهضة دول مجلس التعـــاون الخليجي ، ولولا هذا الدور الرائد والمميز ما كان لهذه الدول تحقيق كل ما حققته من إنجازات ماثلة للعيان في مدة وجيزة . ومن المؤكد انه بجانـــب الفوائد والايجابيات التي توفرها القوى العاملة الأجنبية للاقتصاد والمجتمع الخليجي ، فانه توجد بعض الآثار السلبية اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وامنيا وسياسيا يمكن تحديدها بالآتي :

١ . ظهور بعض الممارسات الغريبة على المجتمع الخليجــي وتأثيرهــا السلبي في النشء ولاسيما بين المختلطين منهم بفئــة خــدم المنــازل واغلبهم من الآسيويين.

٢ . دخول الكثير من المصطلحات الغريبة على اللغة العربية ، مــن دول شبه القارة الهندية ودول جنوبي شرقي آسيا وبـــلاد فـــارس والـــدول الناطقة باللغة الإنجليزية .

٣ . تعارض الكثير من معتقدات القوى العاملة الوافدة وتقاليدها وعاداتهــا مع معتقدات المجتمعات الخليجية وعاداتها ، مما نجم عنـــه تـــداعيات خطيرة في منظومة القيم الخليجية العربية والإسلامية بسبب اخـــتلاط هذه القيم المتناقضة وتداخلها مع بعضها ، بات الكثير منها يهدد النسيج الاجتماعي الخليجي وهويته العربية الإسلامية .

٤ . ظهور معدلات بطالة عالية بين مواطني الدول الخليجية ولاسيما بين النساء وشرائح الشباب من خريجي المعاهد والكليـــات والجامعـــات ، بسبب تفضيل استخدام القوى العاملة الأجنبية، لتدني أجورها وجـــودة إنتاجيتها وطاعتها المطلقة لأصحاب العمل.

٥ . ظهور بعض الجرائم الدخيلة على المجتمع الخليجــي مثـــل جـــرائم الخطف والاغتصاب، وصناعة الخمور ، وترويج المخدرات ، وجرائم التزوير في المعاملات المالية وغيرها.

٦ . تنظيم الإضرابات العمالية التي تلجأ اليها أحيانا القوى العاملة الوافدة للحصول على حقوقها المسلوبة والمشروعة ، وهو أمر يهدد أمن النظم الحاكمة واستقرارها في دول الخليج إذا ما انتقلت عدواها إلى القـــوى

العاملة الوطنية ، وربما انحرافها عن مساراتها المهنية إلى مسارات اجتماعية وسياسية .

٧ .التظاهرات السياسية أو الاعتصامات من جانب الوافدين المؤيدة أو المعارضة لأنظمة الحكم في بلدانها وتأثيراتها على الأوضاع السياسية بدول الخليج العربي وعلاقاتها مع الدول الأخرى .

٨ . التأثير السلبي لما يعرف بالاتجار بالبشر التي تمارس على نطاق واسع في السر والعلن بدول الخليج العربي بسبب ملف تجار الاقامات ونظام الكفيل الذي يمثل انتهاكا صارخا لحقوق الإنسان وصون كرامته ، وهو ما تؤكده تقارير منظمات حقوق الإنسان سنويا ، وهو أمر ينعكس سلبا على سمعة هذه الدول في المحافل الدولية .

٩ . توتر العلاقات أحيانا بين دول الخليج العربي والدول المصدرة للقوى العاملة بسبب انتهاك حقوق هذه القوى من قبل مستخدميها ، والدعوة لحماية حقوق رعاياها ومساواتها في الحقوق والواجبات بأقرانهم طبقا لقوانين منظمة العمل الدولية .

توطين القوى العاملة في دول الخليج العربي

حققت سياسة التوطين التي اتبعتها دول الخليج العربي في السنوات الأخيرة درجات متفاوتة من النجاح بين دولة وأخري ، ودرجات متفاوتة من النجاح بين قطاع وآخر في البلد الواحد . ولعل أبرز هذه النجاحات المتحققة ، كانت في القطاع الحكومي حيث تصل نسبة التوطين إلى أكثر من تسعين من المائة أو ربما أكثر من ذلك في بعض الدول الخليجية . ويختلف الحال تماما في قطاع الإنتاج (الحكومي والخاص) الذي يمثل

محور النشاط الاقتصادي ، حيث ما زالت نسب التوطين دون المستوى المطلوب في الكثير من الوظائف والمهن .

يمكن أن تعزى أسباب نجاح الحكومات بتوطين وظائف الخدمة المدنية ، إلى حقيقة أن معظم تلك الوظائف ، وظائف مكتبية لا تتطلب مهارات فنية أو تقنية عالية ، يستطيع خريجو المؤسسات التعليمية ممارستها بلا عناء أو من دون سابق معرفة ، إذ تكفي مؤهلاتهم التعليمية لممارستها .

وفي ضوء تزايد أعداد خريجي المؤسسات التعليمية عامًا بعد آخر ، وافتقار المؤسسات التعليمية إلى مؤشرات تخطيطية واضحة عن حاجة المؤسسات الحكومية لخدمات الخريجين، ولهيمنة الدراسات النظرية والأدبية لنسبة تصل إلى أكثر من ثلثي الدراسات الجامعية كما تفيد بذلك الكثير من التقارير والدراسات الدولية ، فقد أدى كل ذلك إلى تخريج طلبة يصعب الإفادة من مؤهلاتهم في وظائف منتجة وداعمة للاقتصاد الوطني ، واضطرار المؤسسات الحكومية إلى تعينهم ، الأمر الذي نجم عنه بروز ما يعرف بالبطالة المقنعة أي وظائف بدون عمل حقيقي ، وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت أعداد الباحثين عن عمل بالتزايد ، ولاسيما بين النساء الجامعيات وخريجي مدارس التعليم العام .

ولأن المؤسسات الاقتصادية الحكومية والخاصة مؤسسات ربحية تعتمد مبدأ الربح والخسارة ، وتسعى بطبيعتها في عصر الخصخصة والعولمة إلى جذب الاستثمارات المحلية والأجنبية لتعزيز قدراتها التنافسية ، مما يستلزم توفير بيئة اقتصادية سليمة يمكن أن تنهض من خلالها تلك المؤسسات ، لأداء وظائفها بكفاءة عالية وبهيكلية خفيفة غير مترهلة ومثقلة بقوى عاملة راكدة . لذا اتجهت تلك المؤسسات إلى توظيف أعداد أكبر من القوى العاملة الوافدة ذات الخبرة الجاهزة ، مقارنة بالقوى العاملة الوطنية الحديثة التكوين والضعيفة التأهيل والخبرة.

وحيث إن عملية التنمية في تصاعد مستمر في ضوء تصاعد القدرات المالية الكبيرة لدول المجلس ، لذا يتوقع ازدياد الاعتماد على القوى العاملة الوافدة أكثر ، ما لم يتم انتهاج سياسات واقعية وعملية لتشغيل القوى العاملة الوطنية وتدريبها ، من منطلق أن بناء قدرات المواطنين المهارية والتقنية ، إنما يمثل أولوية وطنية مطلقة لبناء اقتصاد وطني مزدهر ينعم الجميع بخيراته ، و يعتمد في المقام الأول على عقول وسواعد المواطنين ، والأخذ في الحسبان الظروف الذاتية والموضوعية لكل بلد من هذه البلدان ، وحقيقة افتقارها إلى ألأعداد الكافية من القوى العاملة الوطنية المدربة والمؤهلة لأداء الكثير من المهن التي تستند إلى معطيات العلوم الحديثة والتقنية المتطورة .

لا يمكن تحقيق هذا الهدف السامي بالتمني ، إنما يتحقق بالجهد الصادق والعمل المخلص المثابر على وفق رؤية علمية واقعية من منطلق دخول هذه الدول ميادين صناعية وإنتاجية ، لا تتوفر لدى مواطنيها خبرات سابقة ، مما يتطلب استحداث برامج تعليمية وتدريبية قد لا تتطابق بالضرورة مع البرامج التعليمية في البلدان الأخرى ، إنما الأهم أنها تستجيب لحاجات المواطنين بتوفير فرص عمل حقيقية تسهم بدعم الاقتصاد الوطني ، وأن تكون هذه البرامج متوافقة مع شروط الجودة والمعايير المهنية المتعارف عليها في الأوساط التعليمية الإقليمية والدولية ، والتركيز على الجوانب العملية والتطبيقية ، ومحاكاة بيئة العمل الحقيقية ، وغرس حب العمل والانضباط في نفوس الطلبة الذين غالبا ما ينحدرون من بيئات ريفية ليست على قدرٍ عالٍ من التعامل مع التقنيات الحديثة، وقد لا يكون لدى الكثير منهم الرغبة بممارسة المهن العملية ، وربما تكون راسخة لديهم النظرة الدونية لهذه المهن عبر السنين .

تشير المعطيات إلى أن منظومات التعليم التقني والتدريب المهني في دول الخليج العربي ما زالت تعاني من قصورٍ واضحٍ في تعزيز

القدرات المهارية والعملية التي يمكن أن تساعد خريجيها على منافسة القوى العاملة الوافدة الأكثر خبرة والأفضل تأهيلا ، إذ ما زال التدريب يمثل الحلقة الرخوة في برامج التعليم التقني والتدريب المهني .

ولمعالجة هذا القصور فأنه يستلزم أن تمارس مؤسسات القطاع الخاص دورًا رئيسًا بتدريب خريجي مؤسسات التعليم التقني من منطلق شراكة حقيقية ومسؤولية مشتركة بينها وبين المؤسسات التعليمة ، وذلك على وفق برامج معدة لتأهيلهم لممارسة المهن التي يحتاج اليها سوق العمل ، كما تفعل ذلك على سبيل المثال المستشفيات والمؤسسات الصحية بتدريب الأطباء والملاكات الصحية فور تخرجها ، إذ لا يكفي تخرجهم في تلك المؤسسات لممارستهم مهنهم ، وإنما يجب أن تتوفر لدى المواطنين الرغبة الحقيقية بتعلم هذه المهن والإجادة في أدائها.

وهذا يتطلب أن تتولى وزارات القوى العاملة مسؤولية تخطيط احتياجات الاقتصاد الوطني من القوى العاملة الوطنية والقوى العاملة الوافدة في إطار موازنة دقيقة بينهما ، مع إعطاء أرجحية واضحة للقوى العاملة الوطنية ، وبما لا يؤثر سلبًا على الإنتاج والإنتاجية ، والسعي الحثيث لتوسيع فرص العمل بكل الوسائل المتاحة أمام المواطنين الباحثين عن عمل ، من منطلق أن استقدام القوى العاملة الوافدة حالة ضرورة طارئة استوجبتها برامج التنمية التي تنفذها البلدان الخليجية في سعيها الحثيث للانتقال بالاقتصاد الخليجي إلى مراحل متقدمة بوتائر متسارعة ، لينعم الوطن والمواطن بثماره . لذا تسعى هذه البلدان إلى توسيع مسارات الاقتصاد الوطني لتسهم بصورة أفضل بزيادة الإنتاجية وتوفير فرص العمل للقوى العاملة الوطنية .

الخاتمــة :

استعانت دول الخليج العربي في بداية نهضتها الاقتصادية بقوى عاملة وافدة بحكم الضرورة التي فرضها واقعها المتمثل بشح القوى العاملة الوطنية القادرة على تنفيذ خططها الطموحة . وبعد أن قطعت شوطًا مهمًا بمسيرتها التنموية ، أدركت حكومات هذه البلدان أن التنمية المستدامة الصحيحة ، لا بد أن ترتكز في المقام الأول على القوى العاملة الوطنية ، تساندها بذلك القوى العاملة الوافدة ، ولاسيما في الحلقات الاقتصادية المهمة التي تتطلب تقنيات متقدمة حديثة . كما أدركت أن تزايد أعداد القوى العاملة الوافدة من جنسيات مختلفة بات يثير الكثير من المخاوف لدى الكثير من مواطنيها مما قد يترك نتائج سلبية على هويتها ونسيجها الاجتماعي على المدى البعيد ، ما لم يتم التصدي لمعالجتها في الوقت المناسب ، فضلا عن التأثير السلبي في فرص العمل أمام المواطنين ، حيث برزت في السنوات الأخيرة ظاهرة تنامي أعداد غير قليلة من خريجي المؤسسات التعليمية الباحثين عن عمل . لذا شرعت هذه الحكومات بانتهاج سياسة توطين الوظائف ، أي إحلال القوى العاملة الوطنية محل القوى العاملة الوافدة، بطريقة منهجية منتظمة ، على وفق برامج وخطط موضوعة لهذا الغرض ، تجري مراجعتها بين الحين والآخر للوقوف على مدى كفاءة تنفيذها وتذليل ما يعترضها من إعاقات .

المصـــادر : ــ

١. التقرير العربي الأول حول التشغيل والبطالة في الدول العربية / منظمة العمل العربية / القاهرة / ٢٠٠٨ .

٢. التقرير العربي الثاني حول التشغيل والبطالـــة فـــي الـــدول العربيـــة (قضايا ملحة) / منظمة العمل العربية / القاهرة / ٢٠١٠ .

٣ . جريو ، داخل حسن / المعرفة للتنمية المستدامة

إصدارات المجمع العلمي العراقي / بغداد /٢٠١١ .

٤ . وقائع أعمال المنتدى العربي حول التدريب التقني والمهني واحتياجات سوق العمل / الرياض / ٢٠١٠ .

٥ . وقائع مـــؤتمر العمـــل العربـــي ، الـــدورة الخامـــسة والثلاثـــون ، منظمة العمل العربية / شرم الشيخ / جمهوريـــة مـــصر العربيـــة ، ٢٣ شباط – ١ / آذار ٢٠٠٨.

٧ . جريو ، داخل حسن

التنمية البشرية المستدامة قي البلاد العربية

مجلـــة المجمـــع العلمـــي العراقـــي/ الجـــزء الأول / المجلـــد الثامن والخمسون /٢٠١١ م .

٨ . تجربة التعمين في سلطنة عمان

دراسة مقدمة من دائرة البحوث الاقتصادية / غرفة تجارة وصـــناعة عمان إلى الملتقى الأول التطبيقـــي للعمالـــة الوطنيـــة / الكويـــت / ٢٠٠٢ م .

الخيال والسرد والتناص في
(جنة أبي العلاء)
لعبد الكريم كاصد

الدكتور سامي علي جبار المنصوري

كلية التربية – جامعة البصرة

الملخــص :

يتعرض البحث للخيال والسرد والتناص لكتاب يكاد يكون معارضة لكتاب (رسالة الغفران) للمعري وقبل أن يدخل الباحث في الموضـوع الأساسي تحدث عن آليات السرد وأغراضه المختلفة مما رصده في كتاب (جنة أبي العلاء) وهي :

١ـ السخرية .

٢ـ السيرة الشخصية .

٣ـ الوصف .

٤ـ النقد اللغوي .

ثم أشار الى قضايا تتعلق بالتناص وأثره في بناء (جنة ابي العلاء) .

المقدمـــة :

ينتمي النص إلى فضاء معرفي بناه المؤلف على وفق أنساق من الخيال الإبداعي ، فهو خزين معرفي تراثي معاصر ، اتخذ السرد والتناص والوصف والنقد الساخر ، ومزج تجربته الذاتية وثقافته النقديّة في تجنيس جمع موضوعية النقد وشعرية السيرة ، وتداخلت الأجناس الأدبية فيه ، بين سرد وشعر وثقافة وسيرة ذاتية ، وقراءة معمقة لتراث المعرّي ولاسيما (رسالة الغفران) واستطاع أن يوظف شخصية أبي العلاء فأنزلها من الجنة إلى الأرض وبعثه مبصرا ليرى مع الشاعر المؤلف جوانب من أحوال المجتمع الغربي ، ليتبادلا السرد المعرفي ، فالمعري راوٍ عليم لإحوال الجنة على وفق خيال إبداعي ، فيما يسرد المؤلف أحوال الأرض لينتقل من بيئة المنفى حيث يعيش المؤلف إلى أحوال العراق بلد الشاعر ، ساردا بعض سلبيات الواقع الثقافي العربي وتناقضاته على وفق ما يراه المؤلف .

إنّ فضاء الخيال استدعى دلالات العنوان وإيحاءاته ، وتجليات السرد وفضاءه المعرفي ومضمون التناص واحالاته على أشكال من النقد الذي تداخلت فيه عناصر المفارقة والسخرية ، والنقد الثقافي ، وجوانبه الإجتماعية والسياسية .

فالفضاء الخيالي جعل المؤلف يبتكرْ شكل السرد واختيار التناص في تداعيات سيرة أبي العلاء وتبادل الأقنعة مع المؤلف ليؤدي كلاهما دور السارد العليم في نص يعد خزينا معرفيا في ضوء إحالاته على الكتب والمواقف والتجارب تعيد إنتاج (رسالة الغفران) بمضمون ثقافي عصري .

عتبة النص :

يشكل العنوان العتبة التي يجتازها الملتقي إلى متن النص وهو المفاجأة الأولى التي تختزل الصورة المتخيلة للفضاء النصي بما ينطوي عليه من دلالات وعوالم ثقافية .

ويدخل العنوان في سلسلة من الوظائف التي تحدد شكل النص وعلاقته بالمتلقي وقد عرض الدكتور خالد حسين[١] وظائف العنوان على النحو الآتي :

١ ــ الكاتب ←—— العنوان = الوظيفة المقصدية

٢ ــ العنوان ←—— القارئ = الوظيفة التأثرية

٣ ــ القارئ ←—— العنوان = الوظيفة التفكيكية

٤ ــ العنوان ←—— النص = الوظيفة الانطولوجية + الوظيفة الاحالية.

٥ – العنوان ←—— النص= الوظيفة الشعرية .

هذه المنظومة التفاعلية تؤكد المسار الذي يهيمن على العلاقة بين أطراف التلقي باعتبار أن النص مشاركة تبادلية لا يمكن فيها إقصاء أي طرف فكل جزء يعمل بمشاركة الأجزاء الأخرى لإعادة إنتاج النص على وفق مسار عملية التلقي .

وتستمد هذه الوظائف صيغتها التنظيرية من الناقد البنيوي (جيرار جينيت) الذي أعطى تصوره النقدي عن هذه الوظائف على النحو الآتي[٢] :

---

[١] نظرية العنوان : ٦٨ .

[٢] العنوان في الرواية العربية : ١٩ ــ ٢٠ .

١ ــ وظيفة تعيينية : من خلالها يعطي الكاتب إسما للكاتب يميزه بين الكتب الأخرى .

٢ ــ وظيفة وصفية : تتعلق بمضمون الكتاب أو بنوعه ، او بهما معا ، أو ترتبط بالمضمون ارتباطا غامضا .

٣ ــ وظيفة إيحائية : ترتهن بالطريقة أو الأسلوب الذي يعين العنوان به هذا الكتاب .

٤ ــ وظيفة غرائبية : تسعى إلى إغراء القارئ باقتناء الكتاب أو بقراءته .

فضاء العنوان (جنة أبي العلاء) يحتجن المفارقة الأولى ، فالعنوان يحيل إلى مفردتين في علاقة نحوية (التضايف) .

فالجنة فضاء مفتوح مزيج من الواقع والخيال . ففي الوقت الذي ندرك فيه فضاء الجنة كما في الموروث الديني، نحتاج فيه إلى شئ من الإدراك لمفردات تجمع تركيب الصورة الحقيقية المدركة بالاعتقاد الديني ، تتراجع الصورة قليلا حين تقترن بمفردة شخص أبي العلاء التي تحيلنا في عملية تناص مع (رسالة الغفران) .

إذ إن الإضافة هنا تمسك علينا الصورة الأولى لتحيلنا إلى فضاء آخر متخيل يرتبط بخيال إبداعي ينسج مفرداته من الواقع المتخيل الأول إلى واقع متخيل ابتكاري صنعه المؤلف عبر إحالة ضمنية إلى موروث أدبي ، لتستحيل صورة الجنة الموروثة إلى صورة جنة متخيلة (جنة أبي العلاء) ، وهنا تحدث المفارقة في إحالة الكاتب إلى مرجعية فنية لا إلى مرجعية دينية ، ويحدث أول تناص بين عمل المؤلف واسترجاع شخصية الراوي الثاني في تحضير سردي لمشهد نصي .

هذا الاختراق الفني ينقل النص من فضاء إلى فضاء آخر ، فالمتن الحالي ينسج فضاءه من متن آخر ويحيله إلى شكل من الفضاء الفني المنتمي إلى الأدب العجائبي ، ليكون شكلا من أشكال كسر أفق المتلقي واستحضار الذهن إلى متن تركيبي يقوم على فضاء يتسع للموروث والمعاصرة والمفارقة الثانية أن المؤلف سيتوارى خلف شخصيته وموروث متخيل ليعيد انتاج النص السابق بمخيلة جديدة ، فهي قراءة جديدة لنص قديم ، ومحاولة ذكية لاستعادة أثر قديم بصياغة عصرية جديدة تعتمد على خيال مركب ، ففي الوقت الذي يتوارى فيه الكاتب خلف شخصية تراثية كشخصية أبي العلاء ، ونص احتمل كثيرا من التأويل كنص (رسالة الغفران) ، ينهض المؤلف متكئا على قدرته وخبرته وثقافته لينتج لنا أثرا جديدا يتناص مع الموروث القديم شكلا ومضمونا ، يعيد فيه صياغة المضامين والمفاهيم والأحداث والشخصيات بمنهج ثقافي تفكيكي انتقادي ساخر موظفا الشعر والخيال السردي ، متخذا أبرز المقولات (السائدة) وسيلة للوصول إلى غايات رئيسة أهمها :

تقمص شخصية أبي العلاء في التواصل الفكري والثقافي بين الماضي والحاضر . واستدعاء (المنهج) في نقد مجمل الثوابت وتفكيكها بأساليب النقد المختلفة ومنها الثقافي واللغوي وإسقاط كثير من سلبيات الماضي على الحاضر الذي يعدّ امتدادا لنقد أبي العلاء الثقافي واللغوي .

وفي الإحالة بين (تناص) العنوان والمضمون نلمح طبيعة النقد الساخر والأسلوب النقدي التهكمي في تفكير المؤلف من تبادل الأقنعة بينه وبين الشخصية الساردة : شخصية أبي العلاء ، إذ يمتزج الذاتي

بالموضوعي ، والتراثي بالمعاصر ، والنقدي الموضوعي بالذاتي الشخصي ، والمحلي بالعالمي .

ومن هنا تبرز وظيفة اللغة في كشف الفجوات بين النص واحالاته وفك شفراته عبر استنطاق النصوص الموازية كالمقابلات الشخصية وسيرة المؤلف لكشف ما سكت عنه المتن ، فاللغة الشعرية تواري كثيرا من جوانب المسكوت عنه في عملية مثاقفة مستمرة بين اللغة والمضامين ، وتداخل اجناسي يظهر النص في مفارقة بين المتن والخيال السردي .

آليات السرد :

السرد في (جنة أبي العلاء) فاعل رئيس في ربط العنوان بالمسار النصي ، فهو بناء فني يسبح في فضاء الخيال ويتواشج مع عتبة النص وينساب عبر تداعيات التناص ، ويتوارى خلفه في كشف نوايا المؤلف ولغته النقدية بأسلوبها الساخر وقصديته في التواري عبر السرد لفضح أشكال السلبية والزيف وتداعيات المثاقفة الأجناسية المختلفة .

وقد ((عرف السرد في المعاجم تعريفات مختلفة : فهو قسم من الخطاب يشتمل على عرض أحداث وهو عرض مكتوب ومفصل لسلسلة من الأحداث في شكل أدبي ، وهو أيضا خطاب (شفوي أو مكتوب) يتميز بزمنية مدلوله واتسامه بالمآل (وهو فضاء للوصف)) [٣].

والوصف ابرز سمات السرد إذ أنه (من الصعب تصور مقطع سردي خالٍ من العنصر الوصفي .. فالوصف خادم للسرد)[٤].

---

[٣] علم السرد : ٢١٣

[٤] بناء الرواية : ٨٣ وينظر : التحليل البنيوي للرواية : ٢٨٨

وتمثل الشخصية في العملية السردية محورا مهما تؤدي وظيفة جوهرية في العمل السردي :

"لا تتمثل هذه الوظيفة في تقديم معارف ومعلومات قد لا تقتضيها حركة القصة ، وإنما تتمثل في الإخبار اللازم لمتابعة السرد ، أي هي ضرب من ضروب التفاعل الجدلي بين هاتين الأداتين القصصيتين ، وفي هذا المعنى جاء في كتاب (النص الوصفي) أن الوصف في جميع القصص يضطلع بوظيفة إخبارية أزاء السرد بقدر ما يضطلع السرد بوظيفة إخبارية أزاءه "[٥]

يعتمد السرد في (جنة ابي العلاء) على شخصيتين محوريتين : احداهما شخصية المؤلف ، وهو الراوي الذي يتشاطرالظهور والتخفي وراء الشخصية المحورية الثانية شخصية ابي العلاء.

فالسرد كله يكاد يكون منقسما على نوعين احدهما التناص الفني مع رسالة الغفران وسيرة ابي العلاء الانتقادية الساخرة ، وثقافته اللغوية والادبية والاجتماعية المعروفة من خلال شعره ومؤلفاته ، اما الجانب الاخر من السرد فهو كشف لما يراه المؤلف من مثاقفة وتداخل أجناسي بين النثر والشعر وقد ابتكر المؤلف اسلوب الحوار تارة على لسان ضيفه ابي العلاء وتارة على لسانه .

ان صورة ابي العلاء مزيج من مكونات الواقع والخيال ففي هذا النص شخصية مواربة لشخصية المؤلف تستنجد به ويستنجد بها تحاوره ويحاورها ، يذكرها . وتذكره تتماهى به ويتماهى بها ، هما شخصيتان

---

[٥] علم السرد : ٣٥٣

متكاملتان وليستا منفصلتين فهما محور السرد وآليته فالاحداث تتداعى وتتكامل وتتفكك بينهما فلا وجود لظل احدهما ، فكلاهما اصل وكلاهما ظل .

اما زمان السرد فهو يتجاوز زمن (رسالة الغفران) ، فالازمنة تبدأ مع شخصيات الجاهلية واغلبهم شعراء ويستغرق الزمن كل العصور وحتى زمن الشاعر المعاصر يبقى مفتوحا لأن الاحداث لم تنته بعد .

اما زمن النص السردي فهو مكون من نهار وليلة ليتجه زمن السرد تارة الى الماضي وامتداداته والى الحاضر وتداعياته .

واذا كان السرد يدخل في تناص مع (رسالة الغفران) فهو على مستوى الزمن يستعيد بعض آلياته من نوعين من الموروث السردي احدهما : بناء الليالي في (الف ليلة وليلة) وصورة التقطيع الفني واللغوي في اسلوب (المقامات) .

وعلى طريقة المقامات يتكون زمن السرد من (نهار وليلة)

"عندما انتصف الليل ، ونام الاهل وكاد الصمت ان يبعث حتى الميت ، فإذا بشيخ يقف امامي كملاك هابط من السماء ، بلحية بيضاء ، وعصا سوداء)) بهذا الاسلوب (المقامي) يبدأ السرد .. ليتوقف عند لازمة اشبه بما يعرف في البلاغة بـــ (حسن التخلص) " قال انا صاحب الكتاب الذي بين يديك" في احالة تناصية على (رسالة الغفران) ثم مفتاح اخر " ولكن لماذا وقع اختيارك علي ؟ "

وجواب ابي العلاء "انما هي قصيدة كتبتها فأعجبتني"

واخيرا الكشف عن الجانب القصدي في اختيار العنوان وآلية السرد " اولم يحمل القادمون قصائد اخرى لغيري ! قال اجل ولكنني وجدت اغلبها الى التظاهر اقرب والتمحل انسب..[٦]

فالمدخل الذي استعار شكل الليالي في عنوانه (االليلة الاولى) ولغة (المقامة) في طريقة السجع البلاغي ، واحالته على الشكل التناصي في (رسالة الغفران) ومؤلفه الذي سيشارك في السرد ، (ابي العلاء المعري) ، والتداخل الاجناسي في الاحالة على (نص) قصيدة المؤلف (يا ابا العلاء) ثم ورود اول اشارة الى طريقة المؤلف النقدية الساخرة .. كل ذلك يعد انتقالة من العنوان الى المتن بما يعرف في البلاغة بـــ (حسن التخلص) مما يسوغ الدخول الى متى االنص السردي .

ونلمح اول تداخل نصي بين (رسالة الغفران) و (جنة ابي العلاء) في خطاب المؤلف لأبي العلاء بـــ (يابت) كناية عن التواصل بين التراث والمعاصرة.

فالخيال السردي يبدأ تشكيله عبر تناغم الشخصيتين في علاقة حميمية تربط الابن مع الاب والنص السارد بأحد مكونات الشخصية (النص الشعري) المحتمي بشخص الضيف (ابي العلاء) المفتاح الذي يبتدئ فيه السرد هو حضور ابي العلاء من خلال (رسالة الغفران) وحضور المؤلف عبر نص الشعري ، وقد استدعى خياله حضور ابي العلاء من (الجنة) الى الارض ليتبادل لغة الاقنعة مع المؤلف .

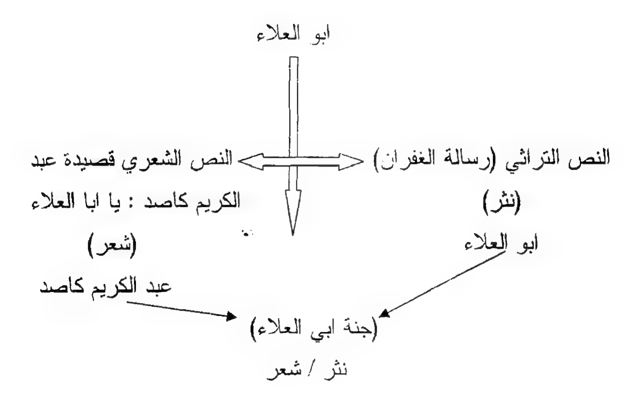
---

(٦) جنة أبي العلاء : ٥ ، ٦ ، ٧ .

وهكذا اصبحت شخصية ابي العلاء لها حضوران : حضور تراثي عبر (رسالة الغفران) وحضور نصي عبر نص المؤلف الشعري ، فحضور ابي العلاء المعنوي استدعى حضوره الجسدي .

وهكذا يمكن القول ان حضور شخصية ابي العلاء لها محوران :

افقي عبر نص المؤلف الشعري ونص (رسالة الغفران) ، وعمودي بإنزاله من الجنة الى الارض ، ولم يكتف بأحضاره جسديا ، بل بعثه مبصرا ليشاركه رؤية الواقع في مكوناته الارضية بعد ان كان روحا في مكوناته السماوية .



ان الجنة التي اختارها المؤلف في علاقة التضايف مع ابي العلاء . تجعل المكان مزيجا من الخيال والواقع فالنص يحيل كثيرا على

(رسالة الغفران) ولكنه في منظور الخيال الابداعي للمؤلف، وهو يستعيد بعض جزئياته في الكلام على احوال الشعراء كالحطيئة والخنساء وامرئ القيس وابي ذؤيب الهذلي والمتنبي والمتصوفة كالحلاج وابي زيد البسطامي وابن عربي بمشاركة شعراء معاصرين كالجواهري والبياتي والسياب وصلاح عبد الصبور .

وهو يعتمد في رسم الشخصيات على اسلوب المفارقة والسخرية في نقد متواصل بأجتزاء حالات معينة ، عبر سؤلات متواصلة يوجهها المؤلف الى المعري : الحطيئة منزو في الجنة والخنساء تذرف الدمع على اخيها صخر حتى يكون معها في الجنة، والمتنبي مشغول بموته ، وامرؤ القيس مازال بعبثه مع صويحباته اللآتي تحولن الى حوريات..

وعدي بن زيد العبادي مازال عاجزا عن وصف الخيل كما تنقل كتب النقد عن الاصمعي (ص٣٦) ، والخليل تارة تنشد الحوريات بعض شعره ، ص(٩-١٠) وتارة مع الاصمعي والاخفش يعلم شعراء الفرنجة العربية .

اما البياتي فهو على صورته لا يكلم احدا ولايكلمه احد ومازال مع خلافه مع الجواهري الذي يلقي احتفاءا في الجنة ويصبح في موكب امرئ القيس ، والسياب لايفارق نهره . (بويب) وصلاح عبد الصبور مازال من مريدي الحلاج .

شخصيات الشعراء هي الاكثر حضورا في نص (جنة ابي العلاء) السردي، وحضورها في الجنة امتداد لحضورها في الارض فأختيار

اللحظات الاكثر تأثيرا يوجه مسار النص نحو خلفية المؤلف الثقافية وهي مزيج من خبرته التراثية ومعايشته الحياتية .

ويمثل الخيال والوصف دورين بارزين في رسم الشخصيات وسرد الاحداث عبر تواصل مستمر بين الماضي والحاضر . وتجري آليات الوصف السردي على وفق نسق مستعار من بناء القصيدة مما عرف بـــ (حسن التخلص) اذ يتم ربط الموضوعات على شكل تعاقب احداث وصور ترتبط بحلقات توصل بعضها ببعض .

فعلى ذكر الحديث عن الحيوانات في الجنة حديث عن الحمير ووصفها بأنها حيوانات وادعة لأنها لم تؤذ احدا ويقارنها بمنظر الشعراء فهم يسيرون مطأطي الرؤوس ثم ينتقل الى جنس ادبي اخر وهو ترجمة الشعر فيأتي على ذكر قصيدة لشاعر فرنسي اسمه فرنسيس جام له قصيدة بعنوان (صلاة من اجل الذهاب الى الجنة مع الحمير) ص٢٠ وعرض نصا مترجما لهذا الشاعر مع نقد لسياسة الترجمة.وكيف انها تهمل المغمورين مع اجادتهم في الشعر ، فتخلص من ذكر الحمير الى الترجمة ، واستطرد الى اهمال المعري لذكر الحمير في كتبه مع اهتمامه بالحيوان كالحمامة والديك والثعلب والاسد والنمل والغراب والذئب والبغل وكأن المؤلف في موضع رصد اسلوبي لأدب المعري .

وتكون هذه الفقرة حلقة للأنتقال الى الشيخ عبد الله العلايلي الذي جعل المعري واقعا تحت تأثير الجاحظ [٧] لينتقل الى نص آخر للعلايلي يصف فيه فلسفة المعري بأنها تنحو نحو وحدة الموجود لاوحدة الوجود

---

[٧] جنة أبي العلاء : ٢٣ ـــ والمعري ذلك المجهول :

ويفسرها بقوله "معناها ان الموجود الذي معنى فساده في تكثره يتحرك الى توحد موجوديته بالله وليس يتحرك الى وحدة وجوده بالله "[٨] فيرد المعري : لم افهم ما يقصد هذا الشيخ .
ويجيبه المؤلف : ولا انا! .

وينتهي في ذكر الحيوانات الى مقطع من شعر المؤلف في الثعلب ثم يأتي على ذكر مناظرة جرت بين المعري وداعي الدعاة ابي نصر هبة الله بن عمران ذكرها ياقوت في (معجم الادباء) وعلى ذكر السياب ونهر بويب ينتقل الى نهر قويق الذي ورد في شعر المعري وفي رسالتيه (الغفران) و (الصاهل والشاحج) ويحيله ذلك الى ذكر الضفادع والاسماك في هذا النهر وذكر الضفادع في شعر المعري ،ويأتي على مقطع من مقصورة الجواهري في وصف الضفادع .

وهكذا تجد السرد عبارة عن سلسلة من الاحداث والانتقالات من حسن التخلص الى الاستطراد .. وقد يترك الحدث بعض الشيئ ليعود اليه مرة اخرى في موضوع اخر.

فذكر رامبو يحيله الى ترجمة خليل خوري قصائده ولكنه يجتزئ نصا ترجمه خوري بعنوان (ديمقراطية) ويضع عنوانا اخر له بـــ (الشورى) ليستطرد قائلا "شارحا هذه اللفظة بلفظة اخرى بـــ (الشورى) وكأنني من اعوان ابن حنبل" لينتقل الى ربط الترجمة بالوضع السياسي في العراق .. ولكنه يؤجل الاجابة عن سؤال المعري عن معرفة المؤلف بخليل خوري الى وقت آخر .. فيذكر كيف التقاه في

---

[٨] جنة أبي العلاء : والمعري ذلك المجهول : ١٥٣ ــ ١٥٤ .

جامعة دمشق ايام دراسته الفلسفة وكيف دعاه خوري للعودة الى بلده ، لكن المؤلف حين التقى خليلا في احد المرابد بالعراق لم يرد على خوري : ماذا تفعل هنا .. عد الى بلدك ، لأنه يعلم ان خليل خوري مثل المؤلف اصبح بلا بلد لكنه يختم المشهد بصوره منقولة عن (احد السجناء الذين التقوا خليل خوري في سجن النظام) وهو موضع سخرية السجان والسجناء ؟

يقول المعري واصفا خليل خوري (وقد لبس قناع المؤلف) "حين وصل خليل الجنة لم اتعرف عليه اول الامر ، ولكنه لم يلفت انتباهك بوجهه الشاحب وعينيه الحمراوين من اثر سكر قديم ونحافة غريبة"..

ولاينسى المؤلف التخلص من ذكر الحمير ان يعرج على وضعه وسيرته الذاتية ، فحين يصطحب المعري في الباص لرؤية احياء لندن، يقارن وضع الباص بوضع انتقاله على جمل في الصحراء بين البصرة والكويت . " كنت اشعر بآلام الخاصرة كأنه قدح حصى" احيانا كنا نفضل المشي جوار الجمال على ركوبها لنريح الخاصرة من الالام ص ٣٩ .

لاشك في ان الوصف والسرد يتعاقبان في عرض الاحداث وعلاقتها بالشخصيات وسلوكياتها رابطا الاحداث عبر سلسلة من (حسن التخلص) وفارشا ساحات لها عبر الاستطراد وذكر الشيء بالشيء .

اغراض السرد وغاياته :

ان سرد الاحداث ووصف الشخصيات يسير عبر قناتين الاولى : النقد الذي وظفه المؤلف عبر تناص (جنة ابي العلاء) مع (رسالة الغفران) و(اللزوميات) لأبي العلاء .

والثانية طبيعة المؤلف الحادة في اقتناص اشد الاوضاع حساسية لعرضها على المتلقي ومن ثم امتزاج الذاتي بالموضوعي في سرد الاحداث . وعبر هاتين القناتين تتكشف اغراض السرد وغاياته واهمها :

١- طابع النقد والسخرية والتهكم :

ينطوي السرد على شكل من النقد يتصف بالحدة والصرامة متخذا طابع السخرية والتهكم من خلال مفارقات شخصية وانطباعات خاصة قد تصل الى اسقاط الشخصية لموقف معين ودون الالتفات الى الحالات الايجابية على كثرتها.

وتسهم اللغة في بيان جوانب السخرية بما تتيح للمؤلف استثمار المفردة في خلخلة الصورة وتفكيك خلفياتها الفكرية والاجتماعية .

وعلى طريقته التي اشرنا اليها يوزع النقد على اكثر من حدث ، فأدونيس وعبد المعطي حجازي يؤول اسماهما الى افتقار معنوي . فأدونيس يوحي بأنه اسم افرنجي يؤول الى اللغة التي يكتب فيها ، وتحدث المفارقة بين الاسم والدلالة فغربة الاسم تعني غربة اللغة التي يكتب فيها . اما عبد المعطي فأسم بلا مسمى اذ هو لاعطاء له ، وصلاح فضل يدعي الفضل ولكنه يوظف نقده في تحكيم اسوأ مسابقه شعرية لكسب المال . اما جابر العصفور فهو لخفته كالعصفور ينتقل بين الجوائز .

وعلى مستوى النقد الثقافي يوظف المؤلف سخريته من محمد النويهي ويختار له وصف الفلاح المتخلف ، ولم ينج السياب من هذا الوصف وكأن وصف (الفلاح) سبة وليس مستوى اجتماعيا ولا ادري كيف سمح انتماء المؤلف الى الشيوعية بتوظيف المستوى الاقتصادي ليكون مثار سخرية في وضع يقتضي نقد الفكر وليس الانتماء ، مع علمنا ان

النويهي ليس بالسيئ وان كان المؤلف اخذ عليه نقده الجواهري في احد المرابد او تأليف كتاب عن ابن الرومي، في حين يشرك المؤلف ناقدا اخر بالسخرية بسبب مدحه للنويهي فالدكتور احسان عباس الف كتابا عنوانه (غربة الراعي) انتقد فيه ناقدا سودانيا (رصينا) بنظر المؤلف ومدح النويهي مما استدعى سخرية المؤلف مسقطا كل تراث احسان عباس وتعدد ثقافته والسخرية تنال صبري حافظ وغيره دون تحليل لشكل الزاوية التي ينظر منها المؤلف .

ولعل اشد انواع النقد الساخر هو الموجه الى ادونيس وعبد الله الغذامي . فأدونيس "شيخ المحدثين والمجددين . الشاعر المستغرب المستعرب . انتهى به البحث في مديح شيخ المتخلفين من وهابية العصر ومن يذكره بذلك ينعته بالتخلف مستخدما العقل وكأن العقل دابة له وحده يسوقها كما يشاء".ص٨٠ ومن هنا اكتملت صورة ادونيس في ربط الدال بالمدلول فاسمه ومؤلفاته اصبحت موضع سخرية ، واذا كنا نتفق مع المؤلف في جانب من نقده، فان مضمون النقد الأحادي الجانب يشاركه فيه خصومه من السلفيين الذين الف فيه كاتب سعودي كتابا في السخرية من كل اشكال الحداثة فيمثله أدونيس* ويشاركه فيه الدكتور عبدالله الغذامي الذي نقد ادونيس في تخصيص كتاب عن محمد بن عبد الوهاب[٩] لكن المؤلف كما أسقط ادونيس يسقط الغذامي مختارا له زاوية محددة دون

---

* ينظر كتاب (الحداثة في ميزان الاسلام) عوض بن محمد القرني – هجر للطباعة – السعودية ١٩٨٨.

[٩] ينظر نقد الغذامي لأدونيس في العدد الخاص من مجلة فصول الخاص بالظاهرة الأدونيسية المجلد ١٦ العدد الثاني – خريف – ١٩٩٧ ص ٩-١٦ .

الاكتراث بجوانبه الايجابية الاخرى، يقول المؤلف عن الغذامي ص٨٠ "اما الاخر فهو ينطبق عليه بحق لفظ الافندي وقد خلع عباءة البداوة ليرطن ببعض مصطلحات حديثة ناعتا نقده بالثقافي" .

وربما تذكرنا سخرية المؤلف بسخرية الآمدي في الموازنة حين اختار بضعة امثلة من شعر ابي تمام ليطلب من القارئ ان يضحك ويسخر من ابي تمام ، يقول المؤلف على لسان المعري ناقدا شعر نزار قباني "او قصيدة اخرى اضحكت شعراء الجنة قاطبة اسمها (حبلى) ولاسيما بشار بن برد الذي قابل انشاد شعره بالقهقهات فلم تنقطع حتى انقطع نزار عن القراءة" ص٥١ .

واذا كان المؤلف انتقد عبد الوهاب البياتي ووصفه بالانكفاء في احد زوايا الجنة بسبب نقده الاخرين فإن سخرية المؤلف قد لاتختلف كثيرا عن هذا السلوك ، فقوله عن ادونيس انتهى به المطاف .. استعملها البياتي في وصف نازك الملائكة في مقابلة معه في بمجلة (الاسبوع العربي) بأنها انتهى بها المطاف معلمة في الكويت .. !! ولم تكن معلمة بل استاذة جامعية!!

لاشك في ان للسخرية دوافعها وغاياتها وكثيرا مااذت ادوارا ايجابية في الاصلاح السياسي والاجتماعي ، ولكنها في الوقت نفسه تصبح مادة للتحليل النفسي ان كانت لاتبحث الا عن اوجه النقص وحين تتحول من مادة للأصلاح الى مادة للانتقاص[١٠] ولعل ظهور جانب التشويه في الدلالة واتخاذ ذلك سبيلا للتقليل من الاخرهو شكل من اشكال العلاقة

---

[١٠] ينظر في ذلك : السخرية في الأدب العربي : ١٦ .

السلبية بين المتعاصرين والمتنافسين وهو وجه من وجوه النقد السياسي الذي يراد به اسقاط الخصم بشتى الوسائل .[11]

وكان تأثر المؤلف برسالة الغفران[12] احد اسباب اتخاذ النقد الساخر ولكن هذا لايمنع من ادخال عنصر الشخصية في الحكم وقد يكون اثرا من الشعور بالتعالي ولاسيما في جانب النقد الثقافي او يكون احد وجوه المعايشة واحتكاك المؤلف بمعاصريه وغير ذلك .

ويتوزع النقد الساخر في (جنة ابي العلاء) على صنوف من الاجناس الادبية فشعر نزار قباني " شعر لايقوله غير السوقة.. " ص٥٠ وكذلك على النقد الموجه الى احسان عباس وجابر عصفور وصلاح فضل وصادق جلال العظم ، وعلى الترجمة كما في ترجمة حسن عثمان (الكوميديا الالهية) لدانتي ففيه "لغة انشائية .. مترجمنا المأخوذ المعطل العقل عن النقد" ص٥٢ وعلى مترجم الشعر كما عند من ترجم قصائد لأليوت " هذا الناقد مع جهله بأبسط قواعد الترجمة يدعي انه ضالع من الحداثة واهلها وربما كان المقصود "رشاد رشدي او صبري حافظ وغيره ، وفي نقده ترجمة خليل خوري لأشعار رامبو يقول المؤلف ص٣٠ : " قرأ لي في الحقيقة قصيدة لارأس لها ولاذنب وحين رآني اهز رأسي من دون ان يفهم القصد ، اعتذر ايضا ، فقلت له : يا خليل لا تكلف نفسك مالاتطيق " فالمؤلف في الغالب لم يذكر الاسماء لكننا استعنا

---

[11] السخرية السياسية العربية : ٢٦ .

[12] ينظر : السخرية في رسالة الغفران ضمن كتاب (السخرية في الأدب العربي) ص ٢٤٩ ـ ٢٥٧ .

بالقرائن والمؤلفات في كشفها فغالبا مايذكر قرينه تدل على من ينتقده مثل كتاب (غربة الراعي) او (النقد الثقافي) او صاحب مجلة (الكلمة) وغير ذلك .. وربما صرح بالأسماء في مقابلاته المجموعة * او في كتاب (غبار الترجمة) وغير ذلك .

ولعل اشد عبارات السخرية ماقاله في احدهم ص٥٤ "ولعل اشد اخطائه شناعة وجهلا وباعثا على الهزء" وقوله ص٥٥ "ولو تصفحت كتبه لرأيت السفاهة والجهل على اوضح مايكونان" .

وفي النقد مجال للموازنة بين الحسنات والاخطاء وبين الهفوات والإجادة ولكن المؤلف يركز على جوانب معينة ليفرغ في نقده شتى الالفاظ التي لاتبني ثقافة بديلة عن أساءتنا الظن في الثقافة السائدة .

واشد انواع السخرية ذلك النقد الذي وجهه المؤلف لشاعر يلتقي معه في التوجه السياسي والشعر فضلا عن كونه استاذا اكاديميا وهو الدكتور حسن البياتي واذا قلنا ان البادئ اظلم فقد كان البياتي سباقا في هجاء المؤلف بأبيات هي اقرب الى النظم[١٣].."

ولا شك في ان هذا النقد وهذه السخرية لاتتعلق بالبياتي شاعرا وجامعيا بقدر تتعلق به شخصا أختزل في موقف محدد ، على الرغم مماعرف به البياتي من موقف ايديولوجي يجمعه بالمؤلف !

---

* ينظر (عبد الكريم كاصد) من (الحقائب) الى (رقعة الشطرنج) – حوارات مع الشاعر جمعها عبد الباقي فرج – دار تموز – دمشق – ٢٠١١ .

[١٣] ينظر(وجوه بصرية) : شعر حسن البياتي ص٤٩ .

ويوجه نقده الى مواقف شعراء السلطة متنقلا من نقده شعر خليل خوري ص٣٦ "وليس هذا بملمح خاص بخليل وحده فأنت تجده لدى شعراء عديدين ولاسيما شعراء السلطة من حزبيين وغير حزبيين".

لكن هذا الموقف السياسي يحيلنا على موقف اخر ينتقص من الشخص بسبب انتمائه الطبقي والمؤلف ادرى بأن العقيدة التي ينتمي اليها تخالفه الرأي ، فهو حين يصف النويهي بأنه فلاح متخلف ، ويقول عن السياب "لولا الشعر لظل فلاحا متعلما او متعلما فلاحا لايعرف من دنياه غير بيته او المقهى ص٥٩ . يجعل السخرية غير ذات جدوى فما بالنا نبحث عن الاصل وقد وصل السياب الى ذروة مجده الشعري ، ولم يعد فلاحا ، وهبه كذلك فالشعر لا يعرف المهن والانتماءات الطبقية ، الم يكن الخبزارزي شاعرا ؟ وكم من الحرفيين كابن دانيال الكحال والجزار وعشرات غيرهم كانوا شعراء .

ولا شك في ان وصف المؤلف الشاعر سعدي يوسف بأنه "شيخ طاعن يحارب طواحين الهواء" وماذكرناه من نقد الآمدي ومواقف الشاعر عبد الوهاب البياتي تعطينا صورة من ان النقد الشخصي لايتجاوز موقف الناقد لأنه لايتعلق بالادب بقدر مايتعلق بالمواقف الشخصية وهو امر خارج عن سياق الابداع الفني .

العصور المتأخرة ممن اصبح شعرهم وثائق اجتماعية فضلا عن فنيته ومادة لرسائل وكتب بل فضله دارسون لأنه كان اصدق في التعبير غير الواقع .[١٤]

---

[١٤] ينظر كتاب الدكتور عبد اللطيف الراوي (المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري) مكتبة النهضة – بغداد – ١٩٧٢ وكتاب (ادب الحرف).

وثمة جوانب ايجابية ربما تعود الى ذوق المؤلف في معرفة الشعر وسيرورته ففي اشارة الى موقف رضوان حارس الجنة من الشعر الحر وشعر البياتي نفسه ، نجده يورد ابياتا شعرية للخليل تغنيها حوريات الجنة وتنشد شعرا واضحا في (التلبية) لأبي نواس ممايؤكد ان الشعر الاخلاقي هو الاكثر سيرورة في الجنة.

٢- السيرة الشخصية :

يعد السرد في (جنة ابي العلاء) وسيلة من وسائل المؤلف لعرض سيرة المؤلف من خلال ذكر معاناته في بلده وهجرته الى بلاد المنفى مرورا ببعض البلدان العربية ، وذكر دراسته الجامعية ، وعلاقته ببعض الشخصيات كالبياتي وخليل خوري وعلي الجندي .

وعبر السيرة السردية تتجلى ثقافة المؤلف شاعرا ومترجما من خلال ايراد مقاطع من شعره المؤلف والمترجم ، فهو مثقف متعدد الاتجاهات يعرض محصوله الثقافي والنقدي وقراءاته من خلال ذكر المؤلفات امثال معجم الادباء والشخصية المحمدية وشرح نهج البلاغة وعصر السريالية وغربة الراعي وكنت شيوعيا .. فضلا عن مؤلفات المعري كرسالة الغفران واللزوميات ورسالة الملائكة والصاهل والشاحج وغير ذلك.

٣- الوصف :

يقترن السرد بالوصف في جنة ابي العلاء فهو يورد خصائص الشخصيات في وصف دقيق فثمة وصف لشخصية خليل خوري وابي نواس والسياب ، فأبو نواس "حسن الوجه، رقيق اللون ، ابيض ، حلو

الشمائل، حسن الجسم ، وكان ألثغ على الراء، يجعلها غينا ، وكان نحيفا في حلقه بحة لا تفارقه" . ص٤٩

اما السياب "فهو يحب الماء الذي كان يتردد في شعره نهرا اوغيمة او زرعا فقد يعوض الماء عن جفاف حياته القصيرة التي لم تشهد خصبا قط". ص٥٩

واغرب من ذلك وصفه الحمير في الجنة "انهم يسيرون مطأطئي الرؤوس، مطرقين كالشعراء وقد ارتسم الحزن على وجوههم لايكترثون للرائح والغادي ونادرا مايحدثون راكبهم" ص١٩ ويضيف "لأنها لم تسئ لأحد ، ولم ترتكب معصية او حماقة وهي الى الوداعة اقرب ولعلها اقرب المخلوقات الى الاطفال"، ص١٩

ووصف العبور على السراط واهواله ص٩ فهو يصف حال الشعراء في الجنة ونسيانهم الشعر الذي قالوه في العاجلة "كيف لا ينسون وقد رأوا من الاهوال مايشيب لهم الولدان بعد ذلك الحساب العسير والوقفة التي ترتج لها حتى الافلاك ، وبعد ذلك العذاب الذي وقع لهم قبل مجيئهم الجنة ، ولعل أخف الاسباب عبور السراط الذي يكاد يكون مستحيلا ... تعبره فتخال نفسك تسير فوق هوة لاقرار لها وانت تهتز ذات اليمين وذات الشمال، لاتدري ألك رأس حقا او قدمان ؟ "

اما شعراء بني عذرة فحالهم يخالف ماكانوا عليه في الارض "لقد جعلهم كثرة الأكل بطينين متكئين على الارائك مسرفين في لهوهم ، مثلما اسرفوا في وجدهم من قبل ، وبدوا كأن لم يكتبوا الشعر يوما وقد نسوه" . ص٦٩

اما وصف مايحيط بمنزل المؤلف في لندن فجاء على النحو الآتي "سكارى يأتون في الليل ، مراهقون عابثون ، امرأة ترفع الهاتف وتحدث نفسها وكأنها تحدث شخصا آخر ، ثم تخرج من كشك الهاتف محتدمة لتعود اليه بعد قليل ، تراها فتنسى ضيقك بضجيج الساحة وتشعر بالاشفاق على البشر" . ص٧٣

ان الوصف يسير مع السرد لتحقيق غرض مهم لدى المؤلف في التقليل من حدة السرد لأضفاء مسحة شعرية على النص بما يجعله بعيدا عن التجنيس التقليدي فضلا عن نصوص الشعر من القديم والحديث التي تنقل القارئ من الاحداث المباشرة وحدة النقد الساخر الى جو من الشعرية بما تضيفه من خيال وسعة أفق .

٤- النقد اللغوي

يعد النقد اللغوي في (جنة ابي العلاء) اثرا من آثار (رسالة الغفران) خاصة والمعري بصورة عامة . ويتداخل النقد اللغوي في حوار الشخصيتين بما يؤول الى انطباعات المؤلف عن قيمة النص من الناحية اللغوية واثر الظواهر اللغوية في تلقي الشعر.

ولعل من سمات ذلك ان المعري يرفض انشاد قصيدة له لوجود بعض الازاحات النحوية فيها ، وهو انطباع المؤلف عما قرأه من شرح ديوان المعري ، ففي بيت المعري :

وما تركت بذات الضال عاطلة من الظباء ولاعار من البقر

شُغل شراحه : التبريزي والبطليوسي والخوارزمي على الإشكال النحوي في قوله (ولاعار)[١٥] يقول المؤلف على لسان المعري "لاحبها ..

---

[١٥] ينظر شروح سقط الزند ١ / ١٢٥ .

ربما لما فيها من مبالغة في المدح، ولما فيها من جواز نحوي متعسف" . ص٧٢

وينتقد اسكان ياء الفعل (نودي) في بيت الشبلي : ص٦٥

واذا كان في القيامة نودي   اين اهل الهوى؟ تقدمت وحدي

ويذكر ظاهرة خطاب الواحد بضمير المثنى في قول الشاعر: ص٦٦

فأن تزجراني يابن عفان أنزجر   وان تدعاني أحم عرضا ممنَعا

فضلا عن ذكره بعض الظواهر الصوتية كقلب الشين سينا، وقلب الجيم كافا في اللهجة اليمنية ، واستعمال عنترة لفظ (المحب) ص٦٥ واستعمال صلاح عبد الصبور لفظ (الباخل) وغير ذلك. ممايعطي انطباعا ان المؤلف يحتفل بالنص ولغته وان الثقافة اللغوية والنحوية جزء من نقده عامة والنقد اللغوي خاصة وهو احد غايات السرد عنده .

التناص واثره في بناء (جنة أبي العلاء) :

يمكن أن نلمح ثلاثة أنواع من التناص في جنة أبي العلاء :

الأول : تناص العنوان فجنة أبي العلاء تتناص من حيث الدلالة مع رسالة الغفران باعتبار أن الغاية واحدة هي وصف المكان الذي يضم من غفر لهم وادخلوا الجنة .

الثاني : تناص المضمون فالموضوعات المشتركة بين العملين ضمت الموضوعات التي سبقت الإشارة إليها وأبرزها: الخيال والوصف والنقد الساخر والنقد اللغوي وامتزاج الخبرة الذاتية بالمعرفة الموضوعية .

الثالث : تناص المؤلف ذلك أن عبد الكريم كاصد يدخل في تناص مع شخصية أبي العلاء ساردا وموجها وناقدا ، فأبو العلاء له حضور في شعر عبد الكريم كاصد وحضوره محاورا يتبادل الأقنعة مع المؤلف في اندماج وتناغم ولكنه مفارق لا محايث .

تناص العنوان :

إن العنوان إذ يتوسل بالتناص ليوسع من افقه الدلالي إنما يقع رهين (اللاحسم) الدلالي ، حيث الدال في العنوان يكتسب في جولته التناصية آثارا دلالية من ذلك الركام الثقافي الذي يحاصره عبر التماس معه : محاكاة أو تقليدا أو معارضة أو .... الأمر الذي يجعل من إمكانيته حسمه دلاليا أمرا لا مسوّغ له ، لأنه في الأصل (لا يمكن للنص أن يقرأ خارج علاقاته مع نصوص سابقة له في الوجود ، لا النص ولا قارئه يمكن أن يغيّب الشبكة التناصية لتلك العلاقات التي تجعل القارئ ان يحدس بتوقعات محدودة حول محتوى الأعمال والأشكال التي يقرؤها).[١٦]

إن جنة أبي العلاء ورسالة الغفران يوحي كلاهما بأمور منها : تواصل المؤلف مع أثر أدبي سابق ، واحتفاؤه بقيمة هذا الأثر ومؤلفه ، وتراسل في المضمون بما يحمله من دلالة غرائبية وخيال إبداعي وتوجه إلى تقمص شخصية المعري ورسالة غفرانه . ولهذا فالعنوان يتضمن

---

[١٦] الأعمال الشعرية الكاملة : نزار قباني : ٦٩/١

الدلالة والإحالة وتوقع القارئ فك طلاسم العنوان بما يتخيله من معاينة مضمون الأثر السابق ومكونات المؤلف الشخصية والثقافية .

٢ ـ تناص المضمون :

(من الوظائف الأساسية التي يؤديها مفهوم التناص في النظرية النقدية الحديثة هي الوظيفة التحويلية والدلالية إذ أن الأمر لا يتعلق بإعادة انتاج المادة المقتبسة بحالتها القائمة الأولى ، ولكن بتحويلها ونقلها وتبديلها).[١٧]

وقد أكد منظرو التناص أن الأعمال تحيل وتوسع وتمتص النصوص السابقة وتعدل منها فالتناص عند (كريستيفا) (أحد مميزات النصوص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها ، أو معاصرة لها ... ويرى (فوكو) بأنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرا آخر، ولا وجود لما يتولد من ذاته ، بل من تواجد أحداث متسلسلة ومتتابعة، ومن توزيع للوظائف والادوار).[١٨]

وحين نواجه نص (جنة أبي العلاء) نستحضر نص (رسالة الغفران) على الرغم من إشارات المؤلف المتكررة إليه عنوانا وفقرات ،

---

[١٧] في نظرية العنوان : ٨٨ ــ ٨٩

[١٨] التناص في الخطاب النقدي والبلاغي : الدكتور عبد القادر بقشي ص٢٤ ، التناص في شعر أبي العلاء ص١١ . والتناص نظريا وتطبيقا – احمد الزعبي – مكتبة الكتاني – إربد ــ ١٩٩٥ ص٩ وقاموس السرديات : ٩٧ ــ ٩٨ .

فإن غاب العنوان المشار إليه حضر النص المقتبس أو المرسل بالحوار ، أو المعدل بالنقد ، أو المتخفي بسرد المؤلف .

ومن هنا يحدث التفاعل بين القارئ والنصين المتناصين والنصوص الموازية من شعر المؤلف ، أو النص المحفز ، ونعني به استرسال المؤلف في سرد أحداث عصره وتجربته وذخيرته المعرفية وبعض سيرته الشخصية وهو ما يتضمنه مصطلح (ذخيرة النص) الذي اطلقه (ايزر) وهو ما يتيح للقارئ التفاعل مع المرسل في بناء النص والتواصل معه (إن الفجوات الفارغة أو عناصر اللاتحديد الموجودة في النصوص هي ما يثير القارئ ويدفعه إلى التفاعل وبناء المعنى ، فيملأ بالمحتوى ما هو فارغ ، ويحدد كل ما هو غير محدد ، فهذا العمل ما يسميه (ايزر) ذخيرة النص ، ويقصد بها كل النصوص السابقة التي يمتصها النص ، يحاورها فتترسب في فضائه ، بالإضافة، إلى ما يحيل عليه من أوضاع وقيم وأعراف اجتماعية وكل ما له علاقة بالثقافة التي ظهر منها ، وبأيجاز إلى ما تسميه مدرسة براغ البنيوية (الواقع الذي هو خارج النص) .[١٩]

يتداخل نص (جنة أبي العلاء) في تناص مع (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري ، ففي الوقت الذي يدخل المؤلف في تناص سردي مع

---

[١٩] معجم المصطلحات الأدبية : ٢١٥ والتناص في شعر الرواد : ١٥ .

شخصية أبي العلاء ، بعد أن جعله في النص الشعري موضوعا ، يكون ساردا في (جنة أبي العلاء) ، والتناص هنا مفارق لا محايث .

فالشخصية المحورية في (رسالة الغفران) هي شخصية السارد أبي العلاء وهي كـذلك في (جنة أبي العلاء) لكنها تتبادل الأدوار والأقنعة مع شخصية المؤلف في (جنة أبي العلاء) من خلال الحوار الأليف الحوار المتضاد .

فالشخصيتان المتحاورتان تخففان على المتلقي عبء رتابة السرد لتنقلاه إلى أسلوب الحوار الذي يفكك الزمان والمكان ويضفيان جوا من التخييل الشعري ينقل المتلقي من المباشرة إلى التخيل المقنّع بما يتيح المجال للمؤلف أن ينقل القارئ من حدث إلى آخر بل ويضيف أحداثا ومعارف دون أن يشعره بالملل .

إن (ذخيرة النصوص) في جنة أبي العلاء لا تشتمل على (رسالة الغفران) فحسب بل أن التناص يتحول في بعض الأحيان إلى جملة إشارات وإحالات مضمونية ربما تكون مجتزأة أو منتقاة على وفق سياق الحوار دون التدخل في التفاصيل سوى أننا نلمح طابع الأسلوب الساخر أو الإحالات التي تقترب من موضوعة تداعي الأفكار أو ذكر الشيء بالشيء .

وابرز ما نلاحظه في التناص مع رسالة الغفران جملة نصوص وإحالات اختارها المؤلف لتكون موضوع حوار مع أبي العلاء مثل أبيات

الخليل المنسوبة إليه وهي مما تنشده الحوريات في الجنة [٢٠] وذكر ضرورة شعرية في شعر الشبلي [٢١] .

وذكر حال الحطيئة في الجنة وسؤال المؤلف (وهل لا يزال يعوي في آثار القوافي كما يعوي الفصيل في آثار الإبل)[٢٢] وحال الخنساء وهي تندب أخاها صخرا[٢٣] وتذكيره بقول المعري (ان الله غلط في الأعشى فأدخله الجنة)[٢٤].

فضلا عن إحالات على رسالة الغفران في ذكر بعض اللهجات واستعمال عنترة لفظ (المحب) وغير ذلك [٢٥] واحالاته على شعر المعري فيما يتعلق بالسياسة ونقد المجتمع وذكر الجن ونقد بعض الجوازات النحوية في شعره وموضوعات الحيوان[٢٦] وقد يكون التناص والإحالة على أكثر من مؤلف للمعري كشعره في (سقط الزند) ورسالة

---

[٢٠] النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري : ص ٣٦ والمعنى الأدبي : ٦٤ .

[٢١] جنة أبي العلاء : ٩ ورسالة الغفران : ٢٧٩ .

[٢٢] جنة أبي العلاء : ٦٥ ورسالة الغفران : ٥٨٢ .

[٢٣] جنة أبي العلاء : ٧ ورسالة الغفران ٣٠٧ .

[٢٤] جنة أبي العلاء : ٨-٧ ورسالة الغفران : ٣٠٨ .

[٢٥] جنة أبي العلاء : ٣٨ ورسالة الغفران : ٧٢ .

[٢٦] جنة أبي العلاء : ٤٣ ، ٦٥ .

الغفران ورسالة الملائكة والصاهل والشاحج مثل تذكيره بوصف نهر (قويق) على ذكر نهر (بويب) في شعر السياب .[٢٧]

وهكذا يمكننا القول إن (رسالة الغفران) للمعري ، فضلا عن مؤلفات المعري الأخرى ، أصبحت المقصد التأليفي لاختيار عنوان (جنة أبي العلاء) ، والدليل المعرفي الذي شكل البناء النصي ، والمحفز السردي في تناغم أفكار المؤلف مع توجه المعري المعرفي والتخيلي .

ويمكننا إيجاز أهم المشتركات التناصية بين (جنة أبي العلاء) و (رسالة الغفران) والمتن النصي للمعري عامة بما يأتي :

١ـ الفضاء المتخيل فكلاهما يعتمد النص العجائبي االمتخيل وغرائبية السرد ففيه يستحضر المؤلف (غائبا لأنه ينتمي إلى عالم الماضي والموت ، ولإنه أصبح موجودا بفعل التذكر والكتابة .. يستحضره من خلال الذاكرة الإبداعية التي تضيف وتحذف وتتخيل وتصور ..).[٢٨]

٢ ـ يعتمد النصان اللغة المتخيلة في تغريب اللغة والشخصيات وانتاج نص عبر لغة تفكك الحدث والزمان والمكان .

٣ ـ اعتماد النقد الساخر وعناصر المفارقة بين الواقع والصورة المنتجة في النص ، والمفارقة ناتج السخرية والتهكم تؤول إلى بعض الفكاهة

---

(٢٧) جنة أبي العلاء : ٥ ، ٢٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٨٠ .

(٢٨) جنة أبي العلاء : ٥٩ ويمكن مراجعة فهارس رسالة الغفران ورسائله لمعرفة أماكن ورود لفظة (قويق) .

فالإضحاك بقصد التخفيف من آليات السرد ، والتهكم مكون تصويري وتكاد السخرية والتهكم تقارب المفارقة كما نصت عليه كتب البلاغة في موضوعات (المدح بما يشبه الذم) و (تجاهل العارف) وغير ذلك وقد تكون المفارقة اعم من التهكم والسخرية .. فليس كل تهكم وسخرية مفارقة (بمعنى أن التهكم الذي لا يقوم على إبراز التناقض بين طرفيه ، تهكم لا يتصل بالمفارقة ..) .[٢٩]

ولعل النقد الساخر في (جنة أبي العلاء) انطلاقا من نقد المعري اتخذ له مسارات مختلفة منها موضوعية ومنها ذاتية شخصية اصبحت شخصية أبي العلاء حافزا للمؤلف في دخوله في (تناص نقدي) معه .

وهكذا راح المؤلف يمطر معاصريه من شعراء ونقاد ومؤلفيين بوابل من نقده لم يسلم منه الصديق وغير الصديق مثل سعدي يوسف ونزار قباني وعبد الوهاب البياتي وحسن البياتي والنويهي وصلاح عبد الصبور وجابر عصفور وصلاح فضل والرصافي وصبري حافظ وخليل خوري وحسن عثمان وعبد الله العلايلي فضلا عن الشخصيات والمرويات التاريخية وتراث التصوف .... ألخ .

٤ ــ التداخل الأجناسي : على الرغم من أن (جنة أبي العلاء) كتاب نثري فأن تضمنه أجناسا أخرى كالشعر ، والترجمة ، يجعله عصيا

---

[٢٩] الغرابة : المفهوم وتجلياته في الأدب : ٢٤٥ .

على التجنيس والمحور المشترك فيه هو الفضاء السردي الذي تداخل فيه أشعار القدماء والمحدثين وشعر المؤلف عنه ، ونصوص الترجمة ، فهو جنس من الأدب الإبداعي السردي يتداخل فيه المعرفي الموضوعي والذاتي السيري والتجارب الشخصية ، ويمكننا القول (أن التقارب بين الأجناس الأدبية واستضافة بعضها بعضا ، يضيق مساحة الاختلاف بين عناوينها ولاسيما أن العنوان قد أضحى لعبة مثيرة في الكتابة الأدبية) .[٣٠]

٥ ــ ولعل التناص بين المؤلف وضيفه أبي العلاء ليس دائما في حالة تطابق فالاختلاف حاصل في كثير من الجوانب منها افتراق شخصية المؤلف عن المعري في إتقانه لغة ثانية وأورد نصوصا من ترجمته انطلاقا من تناصه مع المؤلف في النقد عامة ، ليتحول من نقد النص المؤلف إلى نقد النص المترجم فضلا عن افتراق المؤلف عن المعري في جعله (جنة أبي العلاء) صورة من السيرة الذاتية بجوانبها الذاتية والموضوعية ، فهو يدخل في تناص مع المعري في الجانب النقدي الموضوعي لكنه يختلف معه في الجانب الذاتي الذي يحيل فيه على سيرته وشخصه في بلده أو المنفى ، ولعل أبرز ما يميزه قوله :

---

[٣٠] ينظر في ذلك : المفارقة : الدكتور سي . ميوميك : ٨٢ ، وبناء المفارقة : ٣٦ ، وبلاغة النادرة : ٥٢ .

(ليس ما أفعله مايستحق الذكر ولكني اقطع سأم الاقامة وبرد شتائهم المتجهم بالترحال ورؤية الأهل بين آونة أو أخرى ، ولولا عنايتهم لكنت أعمى منذ سنين ، وهذا ما منّ به عليّ المنفى) .

ولعله يشير هنا إلى إلى مفارقة بينه وبين المعري ، وهو أنه لم يعد (رهين) المحبسين كما هو حال المعري بل أن بصره جعله بصيرا بالحياة ولاسيما حياة النفي ، ولولا ذلك ما استطاع أن يجاري ضيفه أبا العلاء في النقد ويحاوره ويخرج عن دائرته التناصية إلى دائرته الخاصة .

المصــادر : ـــ

- الاعمال الشعرية الكاملة : نزار قباني ، منشورات نزار قباني – بيروت – لبنان ط١٤ – ١٩٩٨ .
- بناء الرواية : الدكتور سيزا قاسم – الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٤ .
- بناء المفارقة : دراسه نظرية تطبيقية : ادب ابن زيدون انموذجا – احمد عادل عبد المولى – مكتبة الاداب – القاهرة – ٢٠٠٩ .
- بلاغة النادرة : الدكتور محمد مشبال – افريقيا الشرق – الدار البيضاء –المغرب ٢٠٠٦ .
- التحليل البنيوي للرواية العربية – الدكتور فوزية لعيوس غازي الجابري – دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان – الاردن – ٢٠١١ .
- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي – عبد القادر بقشي – افريقيا الشرق – الدار البيضاء – المغرب – ٢٠٠٧ .
- التناص في شعر ابي العلاء المعري : ابراهيم مصطفى محمد الدهون – عالم الكتب الحديث – اربد – الاردن –٢٠١١ .
- التناص في شعر الرواد – احمد ناهم – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ٢٠٠٤ .
- جنة ابي العلاء – عبد الكريم كاصد – دار التكوين – بيروت – ٢٠١١ .

- رسالة الصاهل والشاحج – المعري – تحقيق عائشة عبد الرحمن – دار المعارف – مصر – ط٢ – ١٩٨٤ .
- رسالة الغفران : ابو العلاء المعري (٤٤٩هـ) تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف – مصر – ط١٠ –١٩٩٧.
- رسالة الملائكة – المعري – تحقيق محمد سليم الجندي – دار صادر – بيروت – ١٩٩٢ .
- السخرية السياسية العربية – خالد القشطيني – نقله الى العربية – كمال اليازجي – دار الساقي – بيروت ط٢– ١٩٩٢ .
- السخرية في الادب العربي – نعمان امين طه – دار التوفيقية – القاهرة – ١٩٧٨ .
- شروح سقط الزند – التبريزي واخرون تحقيق مصطفى السقا وأخرين الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٦
- العجائبي في الادب من منظور شعرية السرد – حسين علاّم – منشورات الاختلاف – بيروت – ٢٠١٠ .
- العجائبي في الرواية العربية – نوره بنت ابراهيم العنزي – المركز الثقافي العربي – بيروت – النادي الادبي بالرياض – ٢٠١١ .
- العنوان في الرواية العربية – عبد المالك اشهبون – دار محاكاة – دمشق – ٢٠٠٧ .

- علم السرد : المحتوى والخطاب والدلالة – الصادق بن الناعس قسومة – جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية – السعودية – ٢٠٠٩ .
- الغرابة : المفهوم وتجلياته في الادب – شاكر عبد الحميد سلسلة عالم المعرفة – الكويت – ع ٣٨٤/ك٢/٢٠١٢ .
- في نظرية العنوان : خالد حسين حسين – دار التكوين – دمشق – ٢٠٠٧ .
- قاموس السرديات – جيرالد برنس – ترجمة السيد امام – ميريت – القاهرة – ٢٠٠٣ .
- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة – سعيد علوش – دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٨٥ .
- المعري ذلك المجهول – الشيخ عبد الله العلايلي – دار الجديد – بيروت ط٣ – ١٩٩٥ .
- المعنى الادبي (من الظاهراتية الى التفكيكية) وليم رايت – ترجمة يوئيل يوسف عزيز – دار المأمون - بغداد .
- المفارقة – سي ميوميك – ترجمة عبد الواحد لؤلؤة – موسوعة المصطلح النقدي – ١٣ – دار الرشيد – بغداد – ١٩٨٢ .
- النص وتفاعل المتلقي : الخطاب الادبي عند المعري – حميد سمير – منشورات اتحاد الادباء العرب – دمشق – ٢٠٠٥ .

مدلولات رمز الجوارح في الشعر الجاهلي

الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد – كلية الآداب

الملخــص :

القصيدة العربية الناضجة المستوفية لتقاليدها الفنية ؛ تبدأ بمقدمة ثم تنفتح على الجزء الثاني منها المتمثل بلوحة الرحلة ؛ ولوحة الرحلة تمثل الجسر الرابط بين طرفي القصيدة (المقدمة والغرض) ؛ والرحلة بمعناها الظاهر تمثل الانتقال من مكان إلى آخر ؛ وفي القصيدة من المقدمة إلى الغرض ؛ وهذا الانتقال بحاجة إلى واسطة لكي تقطع الصحراء ورمالها المترامية الأطراف ؛ والناقة هي الحيوان المثالي الذي يصلح لمثل هذه الرحلات ؛ لذلك شبهوها بسفينة الصحراء ؛ لما يتوافر فيها من القوة والصبر على تحمل المشقات ؛ والمطلوب من هذه الناقة أن تقطع الفيافي والقفار الموحشة في الحر والبرد ؛ وتحت وطأة الجوع والعطش ؛ بسرعة كبيرة لتصل بمن ارتحلها إلى شاطئ الأمان والنجاة ؛ لذلك دأبوا على تشبيه تلك الناقة بالحيوان المطارد والمستفز ؛ الهارب من قبضة الموت المتمثل على هيئة الضواري المفترسة (الكواسر) السباع والذئاب ، فضلا عن الصياد وكلابه ؛ فيشبهونها بالبقرة المسبوعة التي افترس السَبُعُ صغيرها تارة ؛ وأخرى يشبهونها بالحمار الوحش وأتنه ؛ وأخرى بثور الوحش وصراعه الدموي مع الصياد وكلابه ؛ ورابعة بضواري الطير (الجوارح) وهي تطارد فرائسها ، والجوارح هي الرمز الذي سيكون محورا لهذا البحث .

المقدمـــة : ـــ

القصيدة العربية الناضجة المستوفية لتقاليدها الفنية ، تبدأ بمقدمة ثم تنفتح على الجزء الثاني منها المتمثل بلوحة الرحلة ، ولوحة الرحلة تمثل الجسر الرابط بين طرفي القصيدة (المقدمة والغرض) ، والرحلة الفنية نوعان : فالأولى تمثل رحلة بسيطة تكتفي بالناقة من غير أنْ تشبهها بحيوان آخر ، والثانية تمثل رحلة مركبة وهي التي تتكون من أكثر من لوحة ، إذ تشبه الناقة خلال هذه الرحلة بعدة حيوانات ؛ والرحلة بمعناها الظاهر تمثل الانتقال من مكان إلى آخر ، وهو ما يقوم به الشاعر على أرض الواقع في الأغلب الأعم ، وفي القصيدة العربية رحلة من المقدمة إلى الغرض ، وهذه الرحلة بحاجة إلى واسطة لكي تقطع الصحراء ورمالها المترامية الأطراف ، والناقة هي الحيوان المثالي الذي يصلح لمثل هذه الرحلات ، لذلك شبهوا الناقة بسفينة الصحراء ، لما يتوافر فيها من القوة والصبر على تحمل مشقات الرحلة ، والمطلوب من هذه الناقة قطع الفيافي والقفار الموحشة في الحر والبرد ، وتحت وطأة الجوع والعطش ، بسرعة كبيرة لتصل بمن ارتحلها إلى شاطئ الأمان والنجاة ، لذلك دأبوا على تشبيه تلك الناقة بالحيوان المطارد والمستفز ، الهارب خوفا من قبضة الموت المتمثل على هيئة الضواري المفترسة (الكواسر) : السباع والذئاب ؛ فضلا عن الصياد وكلابه ؛ فيشبهونها بالبقرة المسبوعة التي افترس السَبُعُ وليدها تارةً ، وتارةً أخرى يشبهونها بحمار الوحش وأُتنه ؛ وتارة ثالثة بثور الوحش وصراعه الدموي مع الصياد وكلابه ، وتارة

رابعة بضواري الطير المفترسة (الجوارح) ، وهي تطارد فرائسها ، والجوارح هي الرَمز الذي سيكون محورا لهذا البحث .

الجوارح عرفها الإنسان العربي منذ القدم في كلِّ بيئاته الجغرافية ، في السهل والجبل ، في البادية والريف والحاضرة ، والجوارح أنواعٌ مختلفة من حيث الشكل والحجم ، فمنها : العِقاب ، والصقَر ، والباز ، والنَسْر، والشاهين ، وقد استخدم العرب هذه الجوارح في الصيد والطرد للتسلية واللهو ، وقد عنوا بتربيتها وتدريبها عناية كبيرة ، فهي منقادة لمدربيها ومالكيها انقيادا مطلقا ، تأتي بصيدها وتضعه أمامهم ، وقد أعْجِبَ الإنسان العربي بها قديما وحديثا ، مثلما أعْجِبَ بطرق قنصها ، فشبه ناقته المسرعة في مجاهل الصحراء ومفاوزها بسرعة هذه الجوارح حينما تنقض على الطريدة ، لذا فهم عندما يشبهون خيولهم بالجوارح ، يعبرون عن قوة خيولهم وسرعتها ، فهي تركض بسرعة كبيرة ، كأنــّها حيوان مستفز مرعوب يطارده الموت ، فهي في الكرِّ تدرك العدو إنْ لحقته ، وتنجو بفارسها في الفرِّ إنْ أراد أنْ ينجو بحياته حين يرفرف الموت فوق رأسه في ساحات الوغى ، فإذا كان ثور الوحش وحمار الوحش يمثلان رمزا لقوة الفارس العربي وبطولته ، فالجوارح تمثل رمزا لقوة الفرس وسرعتها ، فهي إذا رمز القوة والسرعة في الكرِّ والفرِّ ، والجوارح التي عرفتها الجزيرة العربية هي ما يأتي :

١- **العقاب** : العقاب هو أكبر الجوارح حجما ، والعقاب اسمٌ يُطلق على الذكر، أما الأنثى فيقال لها لقوة ، وهي أشدُ شراسة وضراوة من الذكر ، وذلك لكونها هي التي تقوم بتربية الصغار وإطعامهم ،

والعقابُ طائرٌ من العتاق ، قال ابن الأعرابي : عتاقُ الطيرِ ، العـقُبان وسباعَ الطير التي تصيد [1] ، واللقوة هي العقاب الخفيفة ، السريعة الاختطاف ، قال أبو عبيدة : سُميت العقابُ لـقَـوْةً ، لسعة أشداقها[2] ، وقد ورد ذكر العقاب في الشعر العربي كثيرا ، فهذا عَـبيدُ بن الأبرص يقصُ علينا رحلة تحرر قبيلة بني أسد من نير عبودية الملك حجر بن الحارث وظلمه وحكمه الجائر ، فبدأ رحلته على ظهر ناقة تَوية بازلة ، لا يتجاوز عمرها التسعُ سنوات ، ونلحظ في هذه القصيدة مفارقة رائعة تمثلت في تشبيه ناقته الفتية بحمارٍ أبيض يعيش مطمئنا في غابة ، وهو في عنفوان قوته وفتوته ، يأكل ويرتع وينام ، وقد ظهرت عليه آثار عضُّ الحمير الأخرى ، الأمر الذي يؤكد أنَّ الفصل هو فصل الربيع ، لأنَّ الحمير لا يعضُّ بعضها بعضا إلا في فصل الربيع ، لأنـــه فصل التزاوج ، والصراع حول الأتن ، وهذا الحمار القوي المترف لا يعرف غير الأكل والنوم ، والمفارقة تكمن في أنَّ هذا الحال يشبه حال بني أسد في قوتهم ولكنهم يعيشون في ظلٍّ حكم الملك الظالم الجائر حجر بن الحارث الكندي ، فهم مثل البهائم لا يمتلكون مشاعر ، وإلا ما رضوا بهذا الظلم والذلِّ ، ثم سرعان ما يعود ليشبه تلك الناقة بفرسٍ ضخمةٍ طويلةِ الظهرِ ، متناسقةٌ أعضاءُ جسمِها ، لها شعرٌ ناعمٌ قد تدلى على

---

[1] لسان العرب ، مادة : عقب .

[2] لسان العرب ، مادة : لقا .

رقبتها ، ثم عاد ليشبه تلك الناقة باللقوة (أنثى العقاب) المتأهبة للانقضاض على فريستها فقال [٣] :

كـأنـهـا لقـــوةٌ طلـــوبٌ	تخزنُ في وكرِها القلـــوبُ
باتـــتْ على إرمٍ رابئـــة	كأنـــها شيخـــةٌ رقـــوبُ
فأصبحتْ في غداةِ قـــرَّةٍ	يسقط عن ريشها الضريبُ
فأبصرتْ ثعلبا مـــن ساعـــةٍ	ودونـــهُ سـبَبٌ جديـــبُ
فنفضتْ ريشها وانتفضـــتْ	وهي مـــن نهضةٍ قريـــبُ
فاشتالَ وارتاعَ من حسيسِها	وفعلهُ يفعـــلُ المـــذؤوبُ
فنهضتْ نحوَهُ حثيثـــةً	وحردتْ حـــردةً تسـيـــبُ
فدبَّ مـــن رأيهـــا دبيبـــا	والعـــينُ حملاقها مقلوبُ
فأدركتـــــهُ فطرحتـــهُ	والصيدُ من تحتها مكروبُ
فرنحتـــهُ ووضعتـــــهُ	فكدحـــتْ وجهـــهُ الجبـــوبُ
فعاودتـــهُ فرفعتـــــهُ	فارسـلتهُ وهـــو مكـــروبُ
يضغـــو ومخلبها في دفِّـــهِ	لابدَّ حيـــزومهِ منقـــوبُ

رسم لنا عبيدُ بن الأبرص قصتين منفصلتين تداخلتا فيما بينهما ولكنهما تشابها في النهاية ، لذلك اشتركتا بذات الكلمات والمسار، لذا فهي قصة مزدوجة ذات مسارين متوازين وبكلمات موحدة ، وقد لاحظنا كيف شبه الشاعر قومه بالحمار الذي لا همَّ له إلا الأكل والنوم ، وهم تحت وطأة الذل والظلم ، وذلك للدلالة على خنوع القوم وخضوعهم المطلق للملك حتى عرفوا بعبيد العصا ، ولكنَّ الظلم مهما

---

[٣] ديوانــــه : ١٨ – ٢٠ .

طال أمدهُ ، لابدَّ للمظلوم أنْ ينتفض ويكسر قيده ، وهذا ما حدث فعلا ، إذ انتفض الأسديون على الملك الظالم فقتلوه ، وبذلك عـتُقتْ رقابهم من ذلِّ العبودية ، وقد شبه الشاعر ثورة قومه على حجر بن الحارث ، بثورة اللقوة وصولتها على الثعلب ، فاللقوة مثلت رمزا لشباب بني أسد المتحفزين للثورة على الملك الظالم ، فيما كان الثعلب رمزا للملك الظالم حجر بن الحارث ، والوكر هو بيت اللقوة الذي تملئه قلوب فرائسها ، والوكر في الوقت نفسه يمثل ديار قبيلة بني أسد ، والقلوب ترمز إلى الآهات والآلام والجراحات التي ملأت قلوب الأسديين ، وكان بنو أسد مثل تلك اللقوة يتحينون الفرص للإنقضاض على الملك الثعلب ، وقد شبه الشاعر قبيلة بني أسد بامرأةٍ عجوزٍ فقدت ولدها الوحيد ، وهذا اللون من الفقد هو الأشدُ إيلاما على المرأة في مثل هذا العمر المتقدم ، فهي إنْ فقدت وليدها لا تلد غيره ، على العكس تماما من المرأة الفتية ، وهي في مقتبل عمرها ، فهي إنْ فقدتْ ولدها ، تلد ولدا غيره ، واللقوة وهي تقف على مربأ عالٍ ترصد الأحداث في جوٍ بارد قارس ، تحولت قطراتُ نداهُ إلى حبيباتِ لؤلؤ من شدة التجمد وسرعته ، لذا فهي تنفضهُ عن ريشها بين الحين والآخر ، وهذا يعبر عن صبر بني أسد وتحفزهم للانقضاض على الملك بين الحين والآخر بحثا عن الفرصة المناسبة ، وكان الفرجُ قريبا منهم ، فاللقوة في هذه لحظة أبصرت ثعلبا ، خرج من مغارته يلهو ويلعب ، وهو مزهوٌ بنفسهِ في أرض منبسطة ، والثعلب يرمز إلى الملك الذي خرج هو الآخر مزهوا في موكبه الملكي في أرض

مستوية ، ومن هنا بدأت ساعة الصفر ، فانقضت اللقوة على الثعلب ، فيما انقض فرسان بني أسد ورجالهم على الملك الظالم وموكبه ، فلما شعر الثعلب الملك بالموت قد أحاط به ، وأخذ يرفرف فوق رأسه ، ارتعب وامتلأ قلبه رعبا ، وتحملقت عيناه مثل الذي أصبح في قبضة الموت يائسا مستسلما ، وكذلك امتلأ قلب الملك رعبا وخوفا من رجال بني أسد بعد أنْ أحاطوا بموكبه من كل مكان ، فأيقنَ أنــَّهُ الموت ولا مفر منه ، فأسرع الثعلب الملك لعلَّ في السرعة نجاة ، ولكنَّ اللقوة أدركتْ الثعلب ، فغرست مخالبها في جسمه ، مثلما أدرك فرسان بني أسد الملك ، وطعنوه بالرماح في جنبه ، فتجدل الثعلب الملك مصروعا تحت مخالب اللقوة ، وأقدام الفرسان ، فأصبح الثعلب يعوي من شدة آلامِ مخالب اللقوة التي انغرست في جسمه ، والملك يصرخ من طعنات الرماح التي مزقت جنبيه ، وهذه القصة على الرغم من قصرها وازدواج مدلولها ، إلا أنــَّها مثلتْ ثورة المظلوم على الظالم ، وصــولة الحق على الباطل ، فوجدنا الطغاة في ملكهم أقوياء ، ولكنَّ قوتهم في واقع الحال هشة لأنــَّها مستمدة من البطانة المحيطة بهم ، لذا فعندما تتمزق تلك البطانة ، يظهر الظالمون على حقيقتهم ضعفاء مثل الثعالب التي لا حول لها ولا قوة ، واللقوة وهي أنثى العقاب ، كانت خير رمز لقبيلة بني أسد الثائرة بوجه الذل والاستعباد ، فيما كان الثعلب هو الرمز المناسب للملك الظالم الطاغي .

بعد أنْ اقتصتْ قبيلة بني أسد من الملك الظالم ، استعادت حريتها بعد أنْ كسرت قيد الذل والعبودية ، هنا ثارت ثائرة امرئ

القيس الوريث الشرعي للملك الظالم المقتول ، فتوعد بني أسد بالإقتصاص منهم ، طلبا لثأر أبيه الملك ، فردَّ على عَبيد بن الأبرص ناقضا قصيدته ، مشبها نفسه بالعقاب ، فيما شبه قبيلة بني أسد بالذئب الهارب المذعور الذي تطارده عقاب ((لقوة)) ، فقال امرؤ القيس [٤]:

كأنَّــها حــين فاض الماءُ واحتفلتْ	صقعاءُ لاحَ لها بالسرحةِ الذّيبُ
فأبصرت شخصهُ من رأس مرقبةٍ	ودون موقعها منهُ شــناخيبُ
صُبَّتْ عليه وما تنصبُ من أمـــمٍ	إنَّ الشقاءَ على الأشقينِ مصبوبُ
كالدلوِ بتتْ عُراها وهي مثقلــةٌ	وخانها وَذَمٌ منها وتكريـــبُ
ويلــمَّها من هواء الجوِّ طالبةً	ولا كهذا الذي في الأرضِ مطلوبُ
كالبرقَ والرِّيحِ شدًّا منهما عجبا	ما في اجتهادٍ عن الإسراعِ تغبيبُ
فأدركتـــهُ فنالتـــهُ مخالبهـــا	فانســلَ من تحتها والدَّفُ منقوبُ
يلوذُ الُّصخر منها بعــدما فتــرتْ	منها ومنهُ على العقبِ الشــآبيبُ
ثم اســـتغاث بدحلٍ وهي تعفــرهُ	وباللســـانِ وبالشــدقينِ تتريبُ
مــا أخطأتهُ المنايا قيس أنملةٍ	ولا تحــرزَ إلا وهــو مكروبُ
فظلَ منجحرا منهــا يراقبُهـــا	ويرقبُ العيشَ إنَّ العيشَ محبوبُ

أراد امرؤ القيس أنْ يقول لعَبيد بن الأبرص إذا كانت قبيلة بني أسدٍ من وجهة نظرك لقوة شرسة مفترسة ، فأنا أيضا عقاب مفترس ، وشتان بين منْ يطاردُ ثعلبا وبين منْ يطاردُ ذئبا ، فعقابي أكبر صبرا من لقوتك ، وإذا شبهت أبي الملك بالثعلب الضعيف ، فأنتم عندي

---

[٤] ديوانـــــــــه : ٢٢٦ – ٢٢٩ .

ذئبٌ ، ولكنـــّهُ ذئبٌ بائس عفـــّرهُ العقاب بالتراب ، فمرغ كبرياءهُ بالرمال ، فانجحر منه ، يطلبُ ملجا يحميه من قبضة الموت الزؤام الذي أحاط بحياته ، فجعل ينظر الى الحياة فيراها حلوة ، وهو يحبها ولا يريد أنْ يفارقها فيموت ، فلاذ بالصخور محتميا من انقضاضها ، وكانت العقاب قد أدركته ونشبت مخالبها في جسمه ، ولكنـــّهُ أفلت من قبضتها ، وهو يشخبُ دما عبيطا ، لينجوَ بحياته ، إذ كان بينه وبين الموت قيد شعرة ، فظل مختبئا بين الأحجار والصخور حتى حجز الظلام بينهما ، فانفتل هاربا من شرّها ، والشاعر هنا يريد القول : إنـــّهُ أدرك بعضَ ثأرهِ ولم يدركه كاملا ، وهذا هو طلسم نجاة الذئب الجريح من العقاب .

وفي ديوان الشماخ بن ضرار عقاب لها أفراخٌ صغار ، تطارد مجموعة من ثعالب ، فضلا عن قصيدة أخرى فيها عقابٌ يطارد أرانبا [٥]، فيما طارد عقاب الأعشى قطيعا من البقر الوحشي[٦]، فضلا عن العقبان التي وردت في شعر سلمة بن الخرشب [٧]، وامرئ القيس[٨] ، ودريد بن الصمة [٩]، والعرب تحبُّ العقابَ لأنـــّهُ كريم لا يأكل لحوم الحيوانات الميتة ، ولا يأكل إلا مما يصطاد ، لذلك كثر في أشعارهم .

---

[٥] ديوانـــه : ٢٢٨ .

[٦] ديوانـــه : ٢٩ .

[٧] شرح اختيار المفضل : ١ / ١٧١ – ١٧٢ .

[٨] ديوانـــه : ٣٨ .

[٩] ديوانـــه : ٣٨ .

٢- **الصقرُ** : طائرٌ من الجوارح يُصادُ به ، قال ابن سيدة[١٠]: (كلِّ شيءٍ يصيد من البُزاة والشواهين ، والقطامي نوعٌ من الصقور ، وقال ابن الأعرابي :

كأنَّ عينيهِ إذا توقــدا عينا قطاميٌّ من الصُقــر بدا

والعرب تسمي الصقر أجدلا [١١]، والصقر يعدُّ من أصغر الجوارح حجما ، والصقر ونظرا لصغر حجمه فهو لا يصطادُ إلا القطا ، والحمام ، والفرائس الصغيرة الحجم ، وقد شبه شعراء العرب خيولهم التي انفتحت عن لوحات الناقة ، بالقطاة التي يطاردها صقرٌ ، فقد شبه زهير بن أبي سلمى سرعة فرسه بقطاة أبصرها صقرٌ فارتعبتْ منه فأسرعت بطيرانها لعلها تنجو من مخالبه القاتلة ، والمعروف أنَّ الخائف يعدو بأقصى سرعته ولا يشعر بالتعب فقــال [١٢] :

كأنّــها مــن قطا مــران جانئــة
فالجدُ منها أمام السّرْبِ والسَّرَعُ
تهوي كذلك والأعداد وجهتُــها
إذ راعها لحفيفٍ خلفها فَزَعُ
من عاقصٍ أمغر الساقينِ منصلتِ
في الخدِّ منهُ إذا استبقتهُ سفــعُ

---

[١٠] لسان العرب ، مادة : صقر .
[١١] الأنوار ومحاسن الأشعار : ٣٠٣ .
[١٢] شــعره : ٢٥١ – ٢٥٣ .

مستجمعٍ قلبهُ طــرق قوادمــهُ

يدنو من الأرضِ طورا ثم يرتفعُ

أهوى لها فانتحتْ كالطَّرفِ جانحة

ثم اســتمر عليها وهو مُختضِعُ

من مرقبٍ في ذرى خلقاءَ راسية

حُجنُ المخالبِ لا يغتالهُ الشـــبعُ

جُــونيَّة كــقري السَّلم واثقــةٌ

نفسا بما سوف تــُوليهِ وتتـــدّعُ

ما الطرفُ أسرعُ منها حينَ يرعبها

جدٌّ المُرجي فلا يأسٌ ولا طمـــعُ

حتى إذا قبضتْ أولى أظفــارهِ

منها وأوشـــكَ بما تخشــهُ يقعُ

حثَّ عليها ، بصكٍّ ، ليس مُؤتليــا

با، هــو لأمثالها مــن مثلهِ بــدعُ

كذاك تيكَ وقــد جدَّ النجاءُ بها

والخيلُ تحت عجاج الروعِ تمتزعُ

شبه زُهير بن أبي سلمى فرسه التي أعــدها للحرب بقطاة تطير مطمئنة مع سربٍ من قطا مران وهي عطشى وقد اقتربت من الأرض (القطا من الطيور التي ترتفع عاليا في طيرانها) لتشرب الماء ، مع سربها ، فسمعت في هذا الوقت حفيفَ جناحي صقرٍ خلفها ، فتخلت شرب الماء ، وأسرعت تطير مسرعة أمام السرب ، لأنَّها تعرف أنَّ

الحفاظ على الحياة أهم من شرب الماء ، فالمرعوب الذي يرفرف الموت فوق رأسه لا يشعر بالعطش والجوع ، بل يواصل عدوه أو طيرانه حتى يتوارى عن مواضع الخطر ، لأنَّ إرادة الموت والخوف أقوى من إرادة التعب والجوع والعطش ، وهكذا كانت فرس زهير تعدو بهذه السرعة ، لكي تنجيه من الأعداء إنْ أراد النجاة ، وتمكنه من إدراك عدوه إنْ أراد اللحاق به.

وهناك كثير من الشعراء شبهوا خيولهم بالصقر لسرعة انقضاضه على فريسته من أمثال : الحارث بن حلزة الذي شبه فرسه بصقر يطارد حماما وذلك للدلالة على قوته وضعف أعدائه[١٣]، والنابغة الذبياني الذي شبه فرسه بقطاةٍ يطاردها صقر، للتعبير عن شجاعته وفروسيته وسرعة فرسه [١٤] ، وغيرهما كثير من الشعراء .

٣- **البـــاز** : من الجوارح الكبيرة الحجم ، التي تطير عاليا بسرعة الفائقة ، كأنـــها في سرعة طيرانها تقفز مسافات طويلة[١٥] ، والباز أو البازي أذكى الجوارح فؤادا ، وأسرعها إنقبادا ، وأحسنها منظرا ، وأكرمها مخبرا ، وآلفها للناس ، وأسرعها إلى الإستئناس[١٦]، وقد جاء تشبيه الفرس بالباز عند كثير من الشعراء ، وذلك لسرعتها

---

(١٣) ديوانـــــه : ٢٢ .

(١٤) ديوانـــــه : ١٧٦ – ١٧٨ .

(١٥) لسان العرب ، مادة : بأز .

(١٦) الأنوار ومحاسن الأشعار : ٢٨٠ .

لفائقة ، وهي عند العرب سرعة كبيرة لا تجاريها سرعة ، فهذا امرؤ القيس يشبه فرسهُ بباز ٍ ينقضُ على أرنبٍ فقال[١٧]:

كأنَّ غلامي إذ عــلا حالَ متنهُ على ظهر باز ٍ في السماءِ مُحلقِ
رأى أرنبا فانقض يهوي أمامــهُ إليها ، وجلَّاهــا بطــرفٍ مُلقلقِ

أراد امرؤ القيس بالباز نفسه ، وبالأرنب قبيلة بني أسد ، وهي كناية عن ضعف الخصم ، فامرؤ القيس حينما شبه فرسه بالباز ، أراد سرعة انقضاضه على عدوه بسرعة هذا الباز ، ثم نلحظ قوله (يهوي أمامه) وهو السقوط من أعلى فلا يحجزه عن الأرض مانع ، فهو يسقط بسرعة ، والباز يهوي إلى فريسته بذات السرعة ويكون موقع سقوطه أمام الفريسة التي ستكون مسرعة نحو حتفها ، وهو في انتظارها ، وكذلك نلحظ أنَّ امرأ القيس قال عن بازه (جلاها بطرف) ، أي رآها من شاهق مرتفع ، فمن المعروف أنَّ البزاة تمتاز بحدة النظر وهي تحلق بأعالي الجو ، وهي كناية عن رؤية امرئ القيس لبني أسد أينما كانوا . فالأعشى شبه فرسه بباز يطارد أسرابا من الحمام ، ليقول لنا أنــهُ فارس شجاع تفرُّ من بين يديه جموع الأعداء ، مثلما تفر أسراب الحمام من الباز [١٨]، أما فرس كعب بن زهير فكانت تعدو بأقصى سرعتها ، كأنها قطاة أرعبها باز ، فهي تطير بسرعة عالية جدا لتنجو من براثن الموت الذي تمثل لها على هيئة باز فقال[١٩]:

---

[١٧] ديوانــه : ١٧٣ .

[١٨] ديوانــه : ٢١ .

[١٩] ديوانــه : ١٧٣ – ١٧٤ .

تـنجو نجاةَ قطاة الجوِ أفزعها بذي العضاهِ أحســّتْ بازيـا طرقا
شهمٌ يكبُ القطا الكُدريّ مختضبُ الـ...أظفارَ حُرُ ترى في عينهِ زرقا
باتتْ لـهُ ليلـة جـمٍّ أهاضبهـا وبات ينفض عـنه الطـل واللثـقا
حتى إذا مـا انجلتْ ظلماء ليلتهِ وانجابَ عنه بياضُ الصبحِ فانفلقـا
غـدا على قـدرٍ يهوي ففاجأهـا فانقضَّ وهو يوشك الصيد قد وثقـا
لا شـيءَ أجودُ منها وهي طيّبـةٌ نفسـا بما سوف يُنجيها وإنْ لحقا
نفَّرها عن حياضِ الموتِ فانتجعتْ ببطن لينـة مـاءَ لـم يكـن رقـا

وورد ذكر الباز عند عدد آخر من الشعراء منهم : المزرد بن ضرار وقد شبه فرسه بباز قانص[٢٠] ، وغيره كثير .

٤- **النسر** : وهو طائر معروف من العتاق ، قال الجوهري [٢١] : (النـسْرُ لا مخلب له ، وإنما له ظـفُـرٌ كظفر الدجاجة والغراب والرخمة) وهو معروف بطيرانه العالي ، والنسور من الجوارح التي تعتاش على الصيد الجاهز ، وهي تأكل لحوم الأموات ، وما تخلفه الحروب والغزوات من أشلاء القتلى ، لأنـها لا تكلفُ نفسها عناء القنص والمطاردة ، لذا فهي معروفة عند العرب بضباع الطير ، لأنَّ ضباع الكواسر هي الأخرى تأكل لحوم الموتى وأشلاء القتلى ، وقد أكد هذه الحقيقة الشعراء العرب ، فهذا المهلهل بن ربيعة التغلبي يتوعد أعداءه من قبيلة بكر بن وائل ، بأنْ يجعل رجالهم طعاما للنسور والغربان فقال[٢٢]:

---

[٢٠] ديوانـــه : ٣٦ .

[٢١] لسان العرب ، مادة نسر .

[٢٢] المهلهل التغلبي : حياته وشعره : ٣٤٥ .

ولأتركنَّ رجــالَ بكرٍ كلهــم   صرعى بكلِّ قرارةٍ ومكــانِ
قتلى تباكرُها النسور وتمتلي   منها خماصَ حواصلَ الغربانِ

وهذا بشر بن أبي خازم يفتخر بشجاعة قومه في الحروب ويشير إلى قوة فرسان قومه وشجاعتهم ، وما يخلفونه وراءهم من قتلى ليكونوا جزرا لضباع الجوِّ وأراد بذلك النسور فقال[٢٣]:

فلــو عاينتنا وبني كــلابٍ   ســـمعتَ لنا بعقوتِهم زئيرا
وكم من جمعِ قومٍ قد تركنا   ضباعَ الجوِ فيهم والنســورا

وهذا المهلهل بن ربيعة التغلبي ثانية وهو يفخر بقتله بجير بن عباد وهمام ابن مرة البكريين وتركهما طعاما للنسور فقال[٢٤]:

وهتكتُ بهِ بيوتَ بني عبادٍ   وبعضَ الغشمِ أشفى للصدورِ
وهــمام بن مرة قد تركنا   عليه القشــمعانِ من النسور

وقد ورد ذكر النسر والنسور في شعر عدي بن زيد [٢٥] ، وزيد الخيل الطائي [٢٦]، وعند غيرهما من الشعراء .

٥- الشاهين : إذا كانت النسور تعدُّ من ضباع الطير ، فالشواهين تعدُّ من سباع الطير ، والشاهين ليس عربيا ويسمى بالسَوْذانِق [٢٧]، وقد ورد

---

[٢٣] ديوانــــه : ٩٣ .

[٢٤] المهلهل التغلبي : حياته وشعره : ٢٥٨ .

[٢٥] ديوانــــه : ٧٩ .

[٢٦] ديوانــــه : ٢٩٦ .

[٢٧] لسان العرب ، مادة : شهن ، الأنوار ومحاسن الأشعار : ٢٩٨ .

ذكر الشواهين في الشعر العربي ، فقد أسماها المهلهل بن ربيعة بسباع الطير فقال [٢٨] :

حـــتى أبيــدَ قبيــلةً وقبيـــلةً ‏ ‏ ‏ وقبيــــلةً وقبيلتين جميعـــا
ونرى سباعَ الطيرِ تنقرُ أعينـــا ‏ ‏ ‏ وتجرُ أعضاءً لهم وضلوعا

وهذا الشاعر الضبّي ، أبـــيُ بن سُلمي بن ربيعة ، يشبه سرعة فرسه وهي تعدو مسرعة وهي تطارد أعداءه كأنّـــها شاهين يحلق في أعالي الجو ، وقد أبصر من شاهق أرنبا خرج يسرحُ ويمرحُ ، فانقض عليه ، وفرس أبي بن سُلمي هي أسرعُ من الشاهين نفسه ، حينما يمتطي صهوتها ، ويطارد عدوا ، ونلحظ هنا أنَّ أبيا بن سُلمي استعمل الإسم الفارسي للشاهين ، وهو السوذنيق بدلا من الإسم العربي ، فقال[٢٩]:

فـلوْ طارَ ذو حافـرٍ قبلها ‏ ‏ ‏ لطارتْ ولكنـــهُ لـمْ يـطـرْ
فـمــا ســوذنيقُ على مربــأ ‏ ‏ ‏ خـفـيـفُ الفـؤادِ حديدُ النظرْ
رأى أرنب سنحتْ بالفضا فبادرها ‏ ‏ ‏ ولجـــات الخـمـــــــرْ
بأســرعِ منهــا ولا منـــزعٌ ‏ ‏ ‏ يقـمُـصُها ركضــةُ بالــوتــرْ

فالشاعر يقول : إنَّ الطيران هو خاصية من خواص ذوات الريش ، أما ذوات الحوافر من الخيل والحمير والبغال ، فهي تعدو على الأرض ، وفرسه من شدة سرعتها الكبيرة ، كأنّـــها تطير مثل الشاهين الذي أسماه بالسوذنيق ، وتشبيه الفرس بالشاهين قليل جدا في الشعر العربي القديم ، ذلك لكون الشاهين غير عربي ، لذا لم يكثر التشبيه به

---

[٢٨] المهلهل التغلبي : حياته وشعره : ٢٨٢ .

[٢٩] قبيلة ضبّة : أخبارها وأشعارها : ١٢٦ .

إلا في العصر العباسي ، عندما استقرت المدَنية ، وكثُــر عدد الفرس ، فالفرس هم الذين جلبوا الشواهين من بلاد فارس إلى قصور الخلفاء العباسيين وأمرائهم ووزرائهم وولاتهم ، فأصبح الخلفاء والأمراء والوزراء حين يخرجون للصيد والقنص يصطحبون معهم الشواهين بدلا من الصقور والعقبان لأنَّــهما أكبرُ حجما منهما ، وأجمل شكلا ، وأسرعُ طيرانا في الوصول إلى الطرائد .

وخلاصة البحث أنَّ العرب ، ولاسيما الفرسان منهم شبهوا أنفسهم وخيولهم بالجوارح ، فقد شبهوا أنفسهم بالعقاب والباز والصقر والشاهين للتعبير عن فروسيتهم وشجاعتهم في الحروب ، أما النسر فلم يستشهدوا به إلا للتعبير عمّا تتركه المعارك والغزوات من قتلى وأشلاء لتكون طعاما للنسور ، لأنَّ النسور (ضباع الطير) تأكل اللحوم الميتة ، والعرب تأنف من ذلك ، وأما تشبيههم لخيولهم بالحيوانات المرعوبة التي تطاردها الجوارح ، فهو للتعبير عن إعجابهم بسرعة خيولهم في الكرِّ والفرِّ .

المصــادر : ـ

- الأنوار ومحاسن الأشعار - لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي ، تحقيق صالح مهدي العزاوي ، دار الحرية للطباعة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، بغداد .

- ديوان الأعشى الكبير - شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠م ، مصر .

- ديوان امرئ القيس - ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٨٤م ، مصر .

- ديوان بشر بن أبي خازم - تحقيق د . عزة حسن ، وزارة الثقافة ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، دمشق .

- ديوان الحارث بن حلزة - تحقيق هاشم الطعان ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٩م ، بغداد .

- ديوان دريد بن الصمّة - جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- ديوان عبيد بن الأبرص – تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م ، مصر .

- ديوان للشماخ بن ضرار – حققه وشرحه صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، ١٩٦٨م ، مصر .

- ديوان المزرد بن ضرار – تحقيق خليل ابراهيم العطية ، مطبعة أسعد ، ط١ ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م ، بغداد .

- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، مصر .

- شرح اختيارات المفضل – للتبريزي (ت ٥٠٢هـ) تحقيق فخر الدين قباوة ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، دمشق .

- شرح ديوان كعب بن زهير – رواية أبي سعيد السكري ، شرح نخبة من الأدباء ، دار الفكر للجميع ، ١٩٦٨م ، بيروت .

- شعر ديوان زهير بن أبي سلمى – صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، بيروت .

- قبيلة ضبّة أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام – جمع وتحقيق ودراسة د .عبداللطيف حمودي الطائي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، بيروت .

- لسان العرب – لابن منظور (ت٧١١هـ) دار لسان العرب ، بيروت (د.ت)٠

- المهلهل التغلبي : حياته وشعره – دراسة وتحقيق نافع منجل شاهين الراجحي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدّمة إلى مجلس كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

صورة الملك في الموروث
الشعري الجاهلي

الاستاذ المساعد سعد خضير عباس
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة ديالى

الملخص :

يتحدث هذا البحث عن صورة الملك في الموروث الشعري الجاهلي ويتعرض لموقفين :

الأول : الملك رمز الرهبة والسلطة والقوة والمكانة العالية .

الثاني : الملك رمز الكرم والخير والعطاء .

وفي ضوء هذين الموقفين تعرض البحث للقضايا التي تتصل بهما .

المقدمة :

تمثلت في حياة الجاهليين مكانةٌ عالية مميّزة ، كان الملكُ سمع أهل الجاهلية الذي يسمعون به ، وبصرهم الذي يبصرون ، ملأ نفوس هؤلاء عزّا وكبرياء ، وصار فرحهم الذي يفرحون ، وحزنهم الذي يحزنون ، هو آلامهم وآمالهم ، بعين الملك رأوا الدنيا ، فهو الذي يغذّيهم روحيّا وماديا ، اختصروا فيه حياتهم ، فهو المعطي والموهب ، وهو المانح والحاجب ، وهو الرأس والربيع والخصب ، وهو الملك الذي يقود مواطنيه ، والعمود الذي عليه العماد ، والمعقل الذي إليه يلجأ العباد وهو الكاشف للكروب ، بيده البؤس والشقاء ، وبيده النعيم والعطاء فهو مقصد

الفقراء في المحل والجوع ، فهو البحر الزاخر ، والنهر في تدفقه وعطائه ، فهو كرم الحياة ومصدر الجود ، فالفقرُ والموتُ وحش ينهشُ بأنيابه الضارية أرواح مواطنيه ، ويقرع بأصابع لا لحم عليها أقدارهم ، وليس سوى رحمة الملك تمتدُ لتسدّ رمقهم ، وتطرد غائلة الجوع عنهم ، وينفخ فيهم روحا تَقوى بهم على الحياة ، وكأنّ بكرم الملك قد صار عرفا في حياتهم سجلّه الشعراء بحروف مضمّخة بكرم الملوك ، ودعاء الفقراء ، وإقرارهم بأنّ رحمة الملك قد وهبت لهم الحياة ، وأنّ كرم الملوك هذا قد رفعهم إلى مصاف الآلهة التي تهب الحياة والخير والروح ، فهو المالك للدنيا ، والامتلاكُ شعورٌ بالفخر والمكانة والزهو والإعجاب والعظمة والأمان ، يحجّون إليه ويطوفون بأبوابه للعطاء ، ولا فخر ، فالملك قريب من الإله في ما يحتاج إليه الأفراد من رُبيع وشجاعة ومكانة وولاء وحماية ، وقد نوّع الشعراء في رسم صورة الملك المقدسة ، المستمدّة من الواقع الحياتي للشاعر وقومه ، فالملكُ القوةُ أمام الضعف والعطاءُ أمام الجدب ، والأمنُ والأمان أمام الخوف والاضطراب ، فكانت هذه الصورة ماثلة في شعر الشاعر الجاهلي خالدة بخلود هذه الأمة وأبنائها .

صورة الملك في المدح :

الملكُ مِن أبرز الشخوص التي نظر إليها الناسُ نظرة إكبار وتعظيم ، وقد رسم الشعر هذه الصورة الملونة تعبيرا عن هذه النظرة ، وهذا الإعجاب فهو السجل لهذه الصفات التي وضعتهم في كثير من الأحيان في مصاف الآلهة ، كما وضعتهم موضع المثال والقدوة ، والمدح الذي تحدّث فيه معظم الشعراء إعجابا بشخصية الملك ورغبةً في الفضيلة ، وتقرُّبا من

الملك الممدوح حيث أفاض الشعراء بالمدح فأجزل الملك العطاء ، وكان لا بدّ للشاعر وهو يقف بين يدي الملك العظيم أن يسجل ما لاقاه في رحلته إلى الملك الممدوح من عنت ، وما كابده من مشقّات ، وما اجتاز من مفاوز مهلكة ، كل هذا ليكون الشاعر جديرا بالعطاء .

فهذا عمرو بن قميئة يصف رحلته ، وقد قطع مفاوز مخيفة يتراءى له فيها السراب ، فيزيدها وحشةً ورهبةً وخوفا ، يقطعها على ظهر ناجيةٍ قوية صلبة سريعة الجري ، لا يثنيها شيء ، وكأنّها أتان وحشية تفرّ من صياد ، وهذه الرحلة لطولها وشدّة أهوالها تكاد تزهق ناقته ، حتى يصل إلى المنذر ملك الحيرة ، فيخفّف بعطائه ما لاقاه من أهوال ، فيقول[1] :

وبيــــداءَ يلعـــب فيها الســـرا	بُ ، يخشى بها المدلجون الضلالا
تجاوزتهـــا راغبـــا راهبما	إذا ما الظبــاء اعتنقـت الظِبـلالا
بضامــرة كأتــان الثميــل عير	انـــةٌ ما تشكّـــى الكـــلالا
إلى ابــن الشقيقـــةِ أعملتهـــا	أخــفُ العقــابَ وأرجـــو النولا
إلى ابــن الشقيقــةِ خيرِ الملوكِ	أو فاهــمُ عنــد عقــدِ حبـــالا[2]

وشأن عمرو بن قميئة شأن الأعشى الذي يسجل ما عاناه من خوف وتعب في سبيل الوصول إلى الملك قيس بن معد يكرب ، فهو قد قطع صحراء موحشة مضلة ، فوق ناقة ضخمة ، سلسة القياد ، تنطلق مسرعة

---

(1) الديوان : ٦٩ .

(2) المدلجون : السائرون من أول الليل . وأتان الثميل : الصخرة الضخمة في باطن المسيل لا يرفعها شيء ولا يحركها . والعيرانة : الإبل الصلبة النشيطة . لسان العرب : مادة (دلج) ، و(أتن) ، و(عور) .

هو جاء تعتسف الطريق اعتسافا ، فتضطرب السيور التي تشد جوانب الرحل إلى أرساغها ، تاركة وراءها أثر أخفافها مطبوعا في الرمال ، وهي ناقة ليست بحاجة إلى مَنْ يستحثها ، ولم يزل يُعملها حتى تركها كهالك هزالا ، كل ذلك من أجل أن يلقى رجلا كريما ذا مكانة ومنزلة عالية ، فيقول[٣] :

وجزور أيسار دعوتُ لحتفها ونياطِ مقفرةٍ أخافُ ضَلالها
بهماءَ موحشةٍ رفعتُ لعَرْضها طرفي لأقدر بينها أميالها
بجلالةٍ سرحٍ كأنّ بغرزها هِرّا إذا انتعل المطيّ ظلالها
عَسْفا وإرقالِ الهجير ترى لها خدٌ ما تُساقطُ بالطريق نِعالَها
كانتْ بقية أربع فاعتمتُها لمّا رضيتُ مع النجابة آلها
فتركتُها بعدَ المراحِ رذيّةً وأمنتُ بعد ركوبها إعجالها
فتناولتْ قيسا بحُرِّ بلاده فأتته بعد تنوفة فأنالها
فإذا تجوّزها حبالَ قبيلةٍ أخذتْ من الأخرى إليكَ حبالها
قبل امرئٍ طلقِ اليدين مُباركٍ ألْفى أباهُ بنجوةٍ فسَما لها[٤]

وكانت الرحلةُ عند علقمة الفحل صعبة طويلة ، حتى أنها تثني النواجي وتهزلها على الرغم من قوتها . رحلةٌ قام بها على ناقة سريعة تشبه البقرة الوحشية المذعورة من الصيادين ، قطع في أثنائها الفلوات المخيفة ، والطرق الوعرة والأماكن الغليظة غايته منها الوصول إلى الملك الحارث بن أبي شمّر الغسّاني .

---

[٣] الديوان : ٢٧ .

[٤] الجزور : من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى . ونياط الصحراء بَعْدَ طريقها ، فكأنّه نيطت بصحراء أخرى ، فلا تكاد تقطع . لسان العرب : مادة (جزر) .

وقد تجشّم مصاعب الرحلة أملا في الحصول على ما كان يرجو مِن معروفهِ ، وفضله ، فيقول[٥] :

وناجيــة أفنى ركيبَ ضلوعِهــا	وحاركَهــا تهجّــرٌ فـدؤوبٌ
وتصبحُ عن غبّ السُّرى وكأنّها	مُولّعــة تخشى القنيص شَبوبُ
تعفّف بالأرطى لهــا ، وأرادَهــا	رجــالٌ فبــذّتْ نَبْلَهم وكَليــب
إلى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي	لكلكلهــا والقُصريين وجيـب
لتُبلغنــي دار امــرئ كان نائيــا	فقد قربتنــي من نداك قَــروب
إليك – أبيتَ اللعنَ – كان وجيفها	بمشتبهــات هولهُــنَّ مَهيــب
هداني إليــكَ الفرقــدان ولاحِبٌ	له فوق اصــواءِ المِقانُ غُلوبُ[٦]

فالرحلة طويلة ، والطريق صعبة وشاقة ، والرغبة في لقــاء الملــك عارمة قويّة ، تحتاج إلى ناقة قوية سريعة تنقل الشوق إلى الممدوح .

ويبدأ الشاعر في وصف الملك بالكرم والجود فهو الربيع ، وهو الخير والعطاء وبهجة النفس ، جوده يرتبط بشجاعته وحزمه وقوّته ، فهو بسيفه وكرمه استطاع أن يقطع دابر الفقر ، فيقول النابغة مادحا الملك النعمان بن المنذر ، ومعتذرا إليه ، هاجيا مُرّة بن ربيع ابن قريع . وكان النعمانُ قبل ذلك غاضبا عليه[٧] :

---

[٥] الديوان ٢٥-٢٧ .

[٦] الناجية : الناقة السريعة . ركيب ضلوعها : ما ركبها من الشحم واللحم . الحارك : فرع الكتفين ، ومقدم السنام . مولعة : بقر الوحش . شــبوب : المُــسنّة . لــسان العرب : مادة (نجا) ، و(ركب) ، و(حرك) ، و(ولع) ، و(شبب) .

[٧] الديوان ١٢٧ .

وأنتَ ربيـــعٌ ينعشُ الناس سيبُه وسيفٌ أعيرتْهُ المنيّةُ ، قاطـــعُ

وهلاكُ الملكِ هلاكٌ للناسِ جميعا ، كما صوّر ذلك النابغة ، وقد وَفَـدَ على النعمان بن المنذر إبّان اشتداد مرضه ، فقال[٨] :

فإنْ يهلكْ أبو قابــوس يهلِكْ ربيــعُ الناس ، والشهرُ الحــرامُ

فأبو قابوس يعطي المحتاجين ، فهو بمنزلة الربيع في الخصب لكثرة عطائه وفي الوقت نفسه يحمي من يحتاج إلى حماية ، فهو موضـــع أمــن لكل خائف أو مستجير ، مثل الشهر الحرام . والملك في عطائـــه يغنــي ويحمي ، ويفيض هذا العطاء كثيراً ويزيد . يقول الحــارث بــن حلــزة اليشكري مادحا قيس بن شراحيل بن همام بن ذهل بن شيبان[٩] :

أفـــلا نعدّيهـــــــا إلـــى ملك شِهـــمِ المقَـــادةِ ماجـــدِ النفسِ

وإلى ابن ماريـــةَ الجواد وهلْ شِروى أبـــي حسّان في الأنسِ

يَحْبوك بالزغْفِ الفيُوض على هميانهـــا والدُهْــم كالغـــرسِ

وبالسبيكِ الصفـــرِ يعقّبهَـــا بالآنسات البيــض واللُّعــسِ[١٠]

ومن بلوغ الكرم والجود الغاية والأصالة في الملك النعمـــان ، حتـــى نسب الأعشى إليه ذلك بقوله[١١] :

---

[٨] الديوان ١٦٩ .

[٩] الديوان ٨٢ . وينظر : المفضليات قصيدة ٢٥ ، صفحة ١٣٣ .

[١٠] الزغف : الدرع المحكمة اللينة . الفيوض : السابغـــة . الهميان : كيس تجعل فيـــه النفقة ويُشدّ على الوسط .

الغـــرس : ما يغـــرس في الأرض . اللعس : الســـواد . لسان العـــرب : مـــادة (زغف) ، و(فيض) ، و(همن) ، و(غرس) ، و(لعس) .

[١١] الديوان ٧ .

فرعُ نهرٍ يَهْتَزُ في غُصنِ المجـ ـدِ غزيرُ النـدى شديـد المِحالِ

ويعمد الشاعر إلى تأكيد هذه الصفة – صفة الكرم – في الملك الأسود ، فأنّه يتسّع بمدلولها ، ويعرضها في صور شتى ، ومنها صلته الدائمة بذوي القربى ، وهي الصفة التي عرف بها واشتهر بين الناس ، والعطاء الدائم في الوقت الذي يعتذر منه الآخرون ، وكذلك عفوه عن العاني ، والفداء ، يقول الأعشى[١٢] :

وصلاتُ الأرحـام قـد علِمَ النا سُ وفكّ الأسـرى من الأغـلالِ

وعطـاءٌ ، إذا سألتَ ، إذ العـذ رةُ كانـت عطيّـةَ البُخّـالِ

ويلتقي حسان بن ثابت مع الأعشى في مدحه النعمان بن المنذر فيقول[١٣] :

وألفيتـه بحـرا كثيـرا فضوله جوادا متى يذكر له الخيـر يزدد

فالنعمان هو البحر في جوده ، بل ويزيدُ عن ذلك . وحسان بن ثابت نفسه يمدح الملك جبلة بن الأيهم بعطائه وجوده ، فيقول[١٤] :

يُعطـي الجزيلَ ولا يَراهُ عِنْدَه إلاّ كبعْـضِ عطيّـه المذمـومِ

وجود الملك متدفق ، لا ينضب ، يبحرُ في عبابه النـاس ، ينهلـون منه ، فالملك هو النهر الفرات المتدفق يمنح الخصب ويبث في الناس الحياة ، فيقول النابغة واصفا عطاء النعمان من قصيدة مدحه بها واعتذر له عمّا رماه به المنخل اليشكري وأبناء قريع مبرئا نفسه من أكاذيبهم[١٥] :

---

(١٢) الديوان ٩ .

(١٣) الديوان ١١٢ .

(١٤) الديوان ٣٢١ .

(١٥) الديوان ٥٨ . أواذيه : أمواجه . العِبرين : الشاطئين . الزبد : ما يطرحه الوادي إذا جاش ماؤه واضطربت أمواجه . لسان العرب : مادة (أذذ) ، و (عبر) ، و(زبد) .

فما الفراتُ إذا هبّ الرياحُ له ترمــي أواذيــه العِبْرين بالزبَدِ

إلى أن يقول :

يوما ، بأجودَ منــه سَيْبَ نافلةٍ ولا يحُولُ عطاءُ اليوم دونَ غدِ

أمّا الملك عند الشاعر عبيد بــن الأبــرص فجــوده وكرمــه غيــر محدودين ، بل هُما نبع متدفق يرفد الفرات فيزيده عطاءً ، يقول في الملك شراحيل بن عمرو بن معاوية الجون آكل المرار[١٦] :

وإلى شراحيل الهمام بنصــرِه نصـْـرَ الأشــاءِ سَرِيُّهُ مُسْترغَدُ

مَنْ سَيْبُه سَحُّ الفــراتِ وحملُهُ يَــزنُ الجبــالَ ونيلهُ لا يَنْفَــدُ

ويصوّر حسان بن ثابت كثرة جود ملوك الغساسنة وكرمهم ، فمنازلهم مفتوحة للأضياف والطرّاق والعُفاة ، حتى لتأنسَ كلابهم بالقصّاد ، فلا تهرّ على أحد ، وهم لا يسألون من يقبل عليهم أو يؤم ديارهم ، فيقول[١٧] :

يَغشَــون حتى ما تهــرُّ كلابهم لا يسألون عــن الســواد المقُبلِ

يسقون مَنْ وردَ البريص عليهم " بردى " يصفّق بالرحيق السلسلِ

ومن كرم الملوك وتواضعهم ، يحكّمون العربي الشقيق الضيف فــي أموالهم ، ويقربونــه في ضيافتهم ، فيشعر أنّه ربّ المنزل ، وأنّه انتقــل من أهل إلى أهل ، فهذا النابغــة الذبيانــي يمدح الملك النعمان فيقول[١٨] :

ملوكٌ وإخــوانٌ ، إذا ما أتيتَهم أُحَكَّمُ فــي أموالهم ، وأُقــرّبُ

---

[١٦] الديوان قصيدة ١٣ صفحة ٤٥ .

[١٧] الديوان ٢٤٧ . وينظر : الشعر والشعراء ٢٩٦-٢٩٧ .

[١٨] الديوان ٢٤ وينظر : نشوة الطرب ٢/٥٦٨ .

فالملوك هم الذين يهبون العطاء ، وهم مصدر الدفء والضياء ، فالملك هو الشمس في كرمها وفيضها على الوجود وهكذا كان النعمان ، فهو شمس العطايا والأنعام على الناس ، وهو يدرك كل شيء ، ولا يفوت فضله إنسان ، فهو المنّة الإلهية والهبة الربانيّة ، يعبّر عن ذلك النابغة مادحا النعمان بن المنذر[١٩] :

ألم تَـرَ أن الله أعطاكَ سورَةً ترى كلَّ ملك دونها يَتذبذبُ

فأنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهُنّ كوكبُ

ويقرر النابغة الذبياني من خلال مدحه الملك عمرو بن الحارث الأصغر ، بأنّ كرم الملوك وجودهم شيمة يتفردون بها ، بل يرى أن الله قد اختصّهم بهذه الصفة دون غيرهم من الناس ، فانفردوا بها ، يقول[٢٠] :

لهم شيمة لم يُعطِها الله غيرَهم من الجود ، والأحلامُ غيرُ عَوازبِ[٢١]

ولم تكن صورة الملك في جوده وكرمه وعطائه فقط ، بل كانت صورة الشجاعة ماثلة أمام الشاعر الجاهلي ، فلا يعوقه الليل عمّا يهمّ به من أمر ، ولا يحول دون إنفاذه ، فهو كثير الخروج ، كثير الهجر لفراشه الناعم . وإذا كشّرت الحرب عن أنيابها لم يكن متوانيا ، وبقوته وشجاعته يكيد الأعداء ويطأهم بقوة وطء البعير المقيد الذي يدوس بكلتا يديه ، يقول الأعشى في النعمان بن المنذر[٢٢] :

---

[١٩] الديوان ٢٥ . وينظر : شعراء النصرانية قبل الإسلام ٦٥٦ .

[٢٠] الديوان ٣٤ .

[٢١] الأحلام : العقول ، العوازب : الواحد عازب وهو الغائب . لسان العرب : مادة (حلم) ، و(عزب) .

[٢٢] الديوان ١٨٩ .

إلى ملك لا يقطـع الليـلُ همّـه   خـروج تـروكٌ للفراش الممهّدِ
طويـل نجاد السيـف يبعثُ هَمُّهُ   نيـام القطـا بالليل في كل مهجد
فما وجدَتْك الحـرب إذ مُرَّ نابُها   على الأمر نعّاسا على كل مَرْصدِ
لعمـرُ الذي حَجّـتْ قريشٌ قطينَهُ   لقد كدتهم كيـد امرئ غير مُسْنَدِ

فهو الشجاع لديه من الجرأة والبسالة ما يجعله يقتحم ميدان الحرب بلا ترس يحميه ، بيده السيف يضرب به الأقران تاركا فيهم آثـاره ، وهـو لقوته ، حين يدخل المعركة لا يهجم إلاّ على رئيس القـوم ، وشـجاعته بلغت حدّا يفوق العادة ، أنه يخوض المعركة دون خوف أو وجل ، وإذا ما توسطها ترك الضعيف فيهم إلى القوي ، يقول حسان بن ثابت مادحا ملوك الغساسنة ، وهو في حضرة الملك الغساني عمرو بن الحارث[٢٣] :

للهِ درّ عصابـة نادمتُهـم   يومـا بجلقّ فـي الزمـان الأولِ
الضاربون الكبش يَبْرقُ بَيْضُه   ضربـا يطيـح لهُ بنـان المِفصل
والخالطـون فقيرهم بغنيّهـم   والمنعمون على الضعيف المُرمِل[٢٤]

فهم لكرم أخلاقهم لا يفرقون بين الغنى والفقر ، فهم يخـالطون مـن تواضعهم الفقير المعدم .

وامتدّت الشجاعة من الملك إلى جيشه ، فجيشه قوي قادر على إبـادة الأعداء ، فهو غضب القدر ، بل أن الثقة بشجاعة الملك وجيشه امتدّت إلى

---

[٢٣] الديوان ٢٤٧ .

[٢٤] جلقّ : موضع قرب دمشق . البيض : جمع بيضة وهي الخوذة . بنان المفصـل : أطـراف الأصابـع .

لسان العرب : مادة (جلق) ، و(بيض) ، و(بنن) .

طيور السماء التي تصاحبهم في غزواتهم ، لثقتها الأكيدة في انتصار الملك على أعدائه ، وقد سجل ذلك النابغة في مدحه عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمرٍ ، حين توجّـــه إلـــى الشام ، فهو يقول(٢٥) :

وثقتُ له بالنصرِ إذ قيل قد غزَتْ ... كتائبُ من غسّـــان غيـــرُ أشائبِ
بنو عمّه دُنيا ، وعمرو بن عامر ... أولئك قـــومٌ ، بأسُهم غيـــرُ كاذبِ
إذ ما غـــزوا بالجيش حلّق فوقهم ... عصائبُ طير ، تهتدي بعصائـــب
تراهُنّ خلفَ القوم خُزْرا عيونها ... جلوسَ الشيـــوخ في ثياب المرانب
جوانـــــحَ قـــد أيقـــنَّ أن قبيلـــه ... إذا ما التقى الجمعان أولُ غالـــبِ

ومن مكانة الملوك وعظمتهم وسيادتهم التحياتُ المقدّمة لهم ، إذ كانت لهم تحيات تختلف عن تحيات سائر الناس ، تدلل على مكانتهم وتليق بهم ، ولها ألفاظها الخاصة بها . فقد كان العرب في الجاهلية يخصّون ملـــوكهم بـــ ((أبيتَ اللعن)) ، أي أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تُلعن ، وهي تحية ملوك لخم وجذام . وكانت تحيّة ملـــوك غـــسان ((يـــا خيـــرَ الفتيان)) ، وتحيّة بعض القبائل ((أسلم كثيرا)) ، من ذلك قول النابغـــة مخاطبا النعمان بن المنذر(٢٦) :

أتاني – أبيت اللعن – أنك لمتني ... وتلك التي أهتمُّ منها وأنْصَـــبُ

---

(٢٥) الديوان ٢٩-٣١ .

(٢٦) الديوان ٢٣ .

ويقول في موضع آخر[٢٧] :-

أتاني – أبيتَ اللعن – أنّك لمتني   وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامـــعُ

ويقول الأعشى مادحا الأسود بن المنذر اللخمـي لإطـلاق سـراح قومه[٢٨] :

أريحِـــيٌّ صَلْتٌ يظلُّ لــه القــو   مُ ركــودا قيامَهــم للهــــلالِ

وفي ألقاب الملوك ما يدل على المنزلة والمكانة العالية ، فقـد كـانوا يلقبون بالأرباب . وقرّر امرؤ القيس هذه الحقيقة حين أسبغ هذه التـسمية على عمّه الملك شرحبيل في معرض هجائه من كان سببا في الإحجام عن نصرته ، وذلك في قوله[٢٩] :

ألا قبـــحَ الله البراجـــمَ كلّها   وجـدّع يربوعـا وعفّـر دارما

فما قاتلــوا عن ربّهــم وربيبهم   ولا آذنــوا جارا فيظعنَ سالمـا

ويقول الحارث بن حلزّة في معرض مدحه الملك عمرو بن هند[٣٠] :

وهــو الربُّ والشهيــدُ على يو   م الحِياريـــن والبــلاءُ بــلاءُ

ومن الإقرار بمكانة الملوك أن يوصفوا بالاقتدار على ما يعجز عنـه الناس ، وقد عبرّ الملوك أنفسهم والشعراء عن هذا التمايز في المكانة بين الملوك والعامة ، فهذا امـرؤ القيس يفتخر بنسبه الملكي فيقول[٣١] :

---

[٢٧] المصدر نفسه : ١٢٣ .

[٢٨] الديوان قصيدة رقم ١ صفحة ٩ . وينظر : جمهرة أشعار العرب ١٢٣ .

[٢٩] الديوان ١٩ .

[٣٠] الديوان ٥٥ .

[٣١] الديوان ٢٧٩ .

ما يُنكــر الناس منّا حين نملكهم　　كانوا عبيــدا وكنّا نحــن أربابا

نحن الملوك وأبناء الملوك لنــا　　ملك عاش به هذا النــاس أحقابا

ويقرّ عدي بن زيد بأن الملوك أخذوا هذه المكانة بقــضاء مــن الله ، ومنهم النعمان بن المنذر ، الــذي خـصّه الله وفـضّله علــى النــاس ، فهو يقول(٣٢) :

أجــــــل أن الله قــد فضّلكــم　　فــوق مــن أحكأ صُلْبــا بأزارِ

وللملوك على الناس أياد عظيمة ، لا يقدر على مثلها أحد من الناس ، فهذا النابغة الذبياني يقول في النعمان بن المنذر(٣٣) :

ولا أرى فاعلا في الناس يُشبهه　　ولا أحُاشي من الأقــوام من أحدِ

إلاّ سليمــانَ إذ قــال الإلــهُ له :　　قمُ في البريّــة فاحدُدها عن الفندِ

فالنعمانُ ملك ارتضي لحكم الناس ، فقام بأعمال تشبه أعمال الأنبياء المكلفين من الله بإقامة العدل ، وبعمران الأرض ، وإصلاح المجتمع ولأنّ النعمان كذلك ، فقد بوّأه الله هذه المنزلة العظيمة .

وأسبــغ علقمة الفحل على الحارث بن جبلة صفات مغايــرة لصفات البشــر ونسب إليه صفات الملائكة ، فهو يقول(٣٤) :

ولســتَ لأنسِــيّ ولكن لمَــلاكٍ　　تنزلَ من جــوّ السماء يَصُوبُ

---

(٣٢) الديوان قصيدة ١٧ صفحة ٩٤ .

(٣٣) الديوان ٥٢ . وينظر : شعراء النصرانية قبل الإسلام ٦٦٣ .

(٣٤) الديوان ٨٣ .

فالحارث ليس بولد إنسان ، وإنما هو ملك نزل من السماء ، فِعاله عظيمة لا يقدر على مثلها أحد . أنّه وجود مغاير للبشر ، فيه طهارة الملائكة وقدسيّة التنزيل من السماء .

صورة الملك في الحكمة :

أدرك الشاعر الجاهلي أنّ الموت نهاية الحياة ، هذا الموت الذي يفسد اللذّات ، وينهي الحياة ، فوقف مستسلما أمامه باحثا لنفسه عن فلسفة في الحياة ، وقد رأى الشاعر الملوك والعظماء الذين كانت في أيديهم كلّ أسباب الحياة ، ورأى أسباب المنعة والقوة عندهم ، كما رآهم وهم يعجزون عن حماية أنفسهم من الموت ، فكيف به وهو لا يملك شيئا ؟ ! .

وهذا لبيد بن ربيعة يتفكر في حياة الملوك الذين كانوا قبله ، ثم عدت عليهم عوادي الدهر ، فكان لابُدّ أن ينظر إلى الأمم السابقة ، لاسيما العظماء والملوك ، فهو يقول[٣٥] :

له الملك في ضاحي مَعدّ وأسلَمتْ	إليه العبادُ كلّها ما يحاولُ
إذا مسَّ أسار الطيور صفت له	مشعشعةً مما تُعتَق بابلُ
وغسانُ ذلّت يومَ جلّق ذلّةً	بسيدّها والأريحيّ المنازلُ
رعى خرزات الملكِ عشرين حجة	وعشرينَ ، حتى فاد والشيبُ شاملُ
فبادوا فما أمسى على الأرض منهم	لعمرك إلا أن نُخبرّ سائل
وأمسى كأحلام النيام نعيمُهم	وأي نعيم خلته لا يُزايل

---

[٣٥] الديوان ١٤٥ ، ١٤٩ . وينظر : شعراء الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنيّة ١٧ ، ١٨ .

ويقول أيضا ذاكرا جبروت الموت آخذا العبرة ممنّ فنى من الملوك[٣٦] :

غلَبَ الليالي خلْفَ آل مُحرّقٍ ... وكما فعلْن بتُبّع وبهرقلِ
وغلبنَ أبرهةَ الذي ألفيته ... قد كان خلّد فوق غُرفة موكل
والحارثُ الحرّاب خلّى عاقلا ... دارا أقام بها ولم يتنقّلِ

وينظر الأسود بن يعفر في حياة الملوك الذين تخيّروا أجمل بقاع الدنيا وأطيبها ، فسكنوها وشيدّوا القصور فيها ، واقتنصوا من متاع الحياة ولذتها ما شاء لهم وما استطاعوا . عاشوا وتمتعوا بملك عظيم ، ثم راحوا وتركوه أطلالا تذروها الرياح ، فإذا النعيم يصير إلى فناء ، فهو يقول[٣٧] :

ماذا أؤمّل بَعد آلِ مُحرِّقٍ ... تركوا منازِلهم وبعدَ أيادِ
أهلِ الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشُرفاتِ من سنداد
أرضا تخيرها لدارِ أبيهم ... كعبُ بَنُ مامَة وابنُ أمِّ دؤادِ
جَرت الرياحُ على مكان ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعادِ
ولقد غنّوا فيها بأنْعم عيشةٍ ... في ظلّ ملْكٍ ثابت الأوتادِ
نزلوا بأنْقُرةٍ يَسيلُ عليهم ... ماءُ الفرات يجيءُ من أطوادِ
أين الذين بنوا فطال بناؤهم ... وتمتعوا بالأهل والأولادِ
فإذا النعيمُ وكلّ ما يُلهى به ... يوما يَصيرُ إلى بلِى ونفَادِ

---

(٣٦) الديوان ١٧١ ، ١٧٢ .

(٣٧) الديوان ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . وينظر المفضليات ٢١٧ .

وما دام الأمرُ كذلك ، ولأنّ الموت نهاية كل إنسان ، فلابدّ من الزهد في الحياة ، ولابُدّ أن يكون الملوك العظماء القدوة في ذلك ، وإياهم عنى عدي بن زيد ، فهو يقول عن النعمان بن المنذر(٣٨) :

وتأملْ ربَّ الخورنق إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكيرُ
سرَّه مالُه وكثرة ما يملـ ـكُ والبحرُ مُعْرِضاً والسدير
فارعوى قلبُه وقال وما غبـ ـطةُ حيّ إلى الممات يَصيرُ

ويؤكد ذلك زهير بن أبي سلمى في رثائه للنعمان بن المنذر ذاكرا ما به من بأس وقوة وشجاعة ، ومتعظا بالملوك السابقين فيقول(٣٩) :

ألم ترَ أن الله أهلك تبّعاً وأهلك لقمان بن عاد وعاديا
وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى وفرعون ، جبّارا طغى والنجاشيا
ألا لا أرى ذا إمّةٍ أصبحتْ به فتتركه الأيام ، وهي كما هيا
ألم ترَ للنعمان ، كان بنجوة من الشرّ ، لو أنّ امرأ كان ناجيا

صورة الملك في الهجاء :

لم تكن صلة الشاعر بالملك صلة ولاء وانتماء دائما ، بل كان هناك من الشعراء من أعلن تمرده على الملوك وجعل من فنه الشعري وسيلة للنيل من الملك ومكانته . وقد تعدّدت دواعي هجاء الملوك في العصر الجاهلي ، ومن ذلك الظلم والجور الذي يمثله عمرو بن هند الذي كان شديد الزهو بنفسه مغاليا في ازدراء الناس ، حتى قسّم حياته يومين : يوم

---

(٣٨) الديوان القصيدة رقم ١٦ صفحة ٨٩ .

(٣٩) الديوان ١٠٧ ، ١٠٨ .

بؤس يركب فيه للصيد يقتل أول من يلقاه . ويوم نعيم يخلو فيه لنفسه ، والناس تقف ببابه ، فإن اشتهى حديث رجل منهم أذن له . هذا الظلم كان مدعاة لتمرّد العامة عليه ، ومن ضمنهم شاعرنا طرفة بن العبد الذي وصفه بالحمق والظلم واللؤم ، وشكا ما كان يلقى منه ، ومن قسمته الزمان بين النحس والسعد على نحوٍ أرعن فهو يقول[٤٠] :

قسَمْتَ الدهرَ في زمنٍ رخيّ   كذاك الحكمُ يَقْصِدُ أو يَجُورُ

لنا يومٌ وللكروان يومٌ   تطيرُ البائساتُ ولا نطيرُ

فأما يومُهنّ فيومُ نحسٍ   تُطارِدُهنّ بالحدبِ الصقُور

وأما يومُنا فنظلُّ رَكْبا   وُقوفا ما نَحُلُّ وما نَسيرُ

وهذا الظلم دفع بالشاعر عمرو بن كلثوم للتمرد على الملك عمرو بن هند ، وقتله حين حاولت أم الملك إذلال أمه من قصيدته[٤١] :

بأيِّ مشيئة عمرو بن هند   تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزدرينا

ويصف سُويد بن حَذّاق الشّنّي قصر عمرو بن هند بأنه مليء بالبقِ والحُمى والمصائب ، ثم يصف جوره وظلمه ، فهو يقول[٤٢] :

فآليتُ لا آتي السدير وأهله   وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ

به البقّ والحُمى وكلّ مصيبة   ولو جاء منه بالحياة بشيرُ

---

(٤٠) الديوان ١٠٨ وينظر : شعراء النصرانية ٣٠٥ ، طرفة بن العبد شاعر البحرين ١٧٧ .

(٤١) الديوان ٧٩ .

(٤٢) الشعر والشعراء ٣٧٥/١ ، نشوة الطرب ٢٧٩/١ .

واتّخذ الملوك الترهيب وسيلة للسيطرة على العامة ، فهذا عمرو بن هند يحرق بني تميم بالنار ، وكان بنو دارم قد قتلوا أخاه أسعد بن المنذر ، فحلف أن يقتل منهم مائة بالنار ، فهجم عليهم يوم أوارة الثاني ، وحُمل له تسعة وتسعون فرماهم في النار ، فعلا لهبها ودخانها ، فرأى ذلك أحد البراجم ، فظنّ أنها قِرى ، فأقبل إليها ، فجيء به إلى عمرو ، فتمّم به المائة ورمى به في النار[٤٣] وكان هذا ظلما عظيما أصاب العامة وأحسوا به وسجّله عامر بن الطفيل في وصف ملك الحيرة[٤٤] :

أنْحى علينا بأظفارٍ فطوّقنا   طوق الحمَامِ باتعاسٍ وإرغامِ

ومن ظلم الملوك إجبارُ الناسِ على دفع الضرائب والإتاوات المرهقة لهم وقد عبّر عن هذا الظلمِ جابر بن حنّي التغلبي ، فهو يقول[٤٥] :

وفي كلّ أسواقِ العراقِ إتاوة   وفي كلّ ما باع امرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

ألا تستحي مِنّا ملوكٌ وتتّقي   محارِمَنا لا يَبْوُؤ الدمُ بالدمِ

فكان شعره صرخة استنكار وصيحة تهديد للملوك ، فعزة العربي وأنفته لا تقبل الخضوع والذل وفي ذلك يقول يزيد الشنّي يخاطب النعمان بن المنذر[٤٦] :

---

[٤٣] نشوة الطرب ٢٧٨/١ .

[٤٤] الديوان ١٥١ .

[٤٥] ينظر : المفضليات ٢١١ ، شعراء النصرانية ١٩٠ .

[٤٦] المفضليات ٢٩٨ . وينظر : الانتماء في الشعر الجاهلي ٢٩٦ .

أكلُّ لئيم منكم ومعلهج   يَعُدُّ علينا غارةً فخبُوسا
ألا ابن المعلى خلتنا وحسبتنا   صراريّ نُعطي الماكسين مُكوسًا[٤٧]

ومن فعل الملوك إثارةُ الفرقة بين العامة وزرع بذور الفتنة بينهم حتى ينشغلوا بمشاكلهم ، ويصرفوا طاقاتهم في النزاعات الداخلية بينهم ، ويبقى الملوك في أمان من باب فرّق تسد . وقد أدرك الشعراء هذا المغزى ، فألهب في صدورهم كراهية الملوك . وهذا سويد الشُنّي يهجو عمرو بن هند وقابوس بقوله[٤٨] :

جزى الله قابوس بن هند بفعلهِ   بنا ، وأخاه غَدْرةً وأثاما
بما فجرّا يومَ العُطيف وفرّقا   قبائل أحلافا وحيًّا حَراما
لعلّ لبُونَ المُلكِ تمنعُ دَرَّها   ويَبْعَثُ صرفُ الدهر قوما نياما

وهذا طرفة بن العبد يهجو عمرو بن هند ويصفه باللؤم ، ويعبِّرُ عن لؤمه من خلال بخله ، إذ يبقى سرباله نظيفا ، وفي هذا كناية عن عدم إكرام الضيف ، وتقديم الطعام له ، فهو يقول[٤٩] :

إن قُلْتَ : نصْرٌ ، فنصرٌ كان شرّ فتى   قِدْما وأبيضَهُمُ سربالَ طبّاخِ
ما في المعاني لكم ظِلٌّ ولا ورَقٌ   وفي المخازي لكم أسناخُ أسناخ

---

(٤٧) المعلهج : الذي ليس بخالص . والخبوس : الظلم . الصراري : الملاحون . الماكس : الجاني . لسان لعرب : مادة (علهج) ، و(خبس) ، و(صرر) ، و(مكس) .
(٤٨) الشعر والشعراء ٣٧٥/١ .
(٤٩) الديوان ١٥٠ ، ١٥١ .

إن قُسّـمَ المجد ، أكدى في سراتكم أو قُسّـم اللؤم ، فضلْتُـم بأشيـاخ

ويتأصل اللؤم في النعمان بن المنذر ممتدا إليه من أخوالـهِ ، وكأنّـه رضعه من لبان أمه في وصف عمرو بن كلثوم لهذا الملك ، ويتصفُ من جهة الأب بالعجز والهوان ، فيقول في هجائه[٥٠] :

لحـا اللهُ أدنانـا إلـى اللؤم زُلفـةً وألأمنـا خـالا وأعجزنـا أبـا

وهذا المتلمس الضبعي يهجو عمرو بن هند بالغدر والخيانـة وعـدم الوفاء بما قطع من عهد للناس ، واصفا أخلاق عهده[٥١] :

شـرُّ الملـوك وشرّهـا حسبـا في النـاس من علمـوا ومن جهلوا

الغـدرُ والآفـاتُ شيمتـهُ فافهـم فعرقـوبٌ لـه مَثَـلُ

ومثله فعل الشاعر يزيد الشنّي في وصف الملك النعمان بن المنـذر ، ونعته بالخيانة والغدر والخداع ، فهو يقول[٥٢] :

نعمـانُ إنـك خائـنٌ خـدِعٌ يُخفـي ضميـركَ غيـر ما تُبـدي

ويؤكد أبو قردودة الطائي في رثائه لابن عمـار ، نـديم النعمـان ، وقتيله ، أن الملوك لا يؤمن جانبهم في قوله[٥٣] :

إنـي نهيـتُ ابن عمّـارٍ وقلتُ له لا تأمنـن أحمـرَ العينين والشَعَـره

أنّ الملوك متـى تنـزل بساحتهـم تطِـر بنارك من نيرانهـم شـرَرَه

---

[٥٠] الديوان ٢٥ .

[٥١] الديوان ١٢٩ .

[٥٢] المفضليات ٢٩٦ .

[٥٣] البيان والتبيين ١/٢٢٣ .

صورة الملك في الرثاء :

الرثاء من فنون الشعر الصادقة ؛ لأنّه يخاطب عزيزا فارق الحياة ، أو ملكا كان ملء السمع والبصر ، فهو ينبع من حزن الشاعر على إنسان قطع الموت صلته بالأحياء ، وقد يكون الرثاء نابعا من الإحساس بالضعف أمام الموت .

وقد عجب الشعراء بالملوك فمدحوهم ووضعوهم في مصاف الآلهة ، كذلك أنزلوهم تلك المنزلة في الرثاء ، فرثوهم بالصفات نفسها التي مدحوهم بها ، وكأنّي بهم حين يذكرون هذه الصفات في الرثاء يرثون الصفات نفسها ، فكأنّ الصفة تموت بموت الملك وتندثر بوفاتهِ .

وصفات الملوك يليق بها رثاء جليل متميّز ، فهم لم يكونوا كعامّة الناس فكان الرثاء أشدّ اجعة وأكثر ألما يغلفه إجلال الملك المرثي وإكباره فالشعراء في حضرة الملك ، حتى وإنْ كان ميّتا[٥٤] .

وبما أنّ الملك هو الحياة والربيع ، فالنابغة في رثائه النعمان بن الحارث الغساني يزهد في الحياة ؛ لأن حياته بعد ذوي الفضل ضجر قاتل ، فهو يقول[٥٥] :

فلا تبعدَنْ إنّ المنية موعدٌ   وكل امرئ يوما به الحالُ زائلُ
فما كان بين الخير لو جاء سالما   أبو حُجُرٍ ، إلا ليالٍ قلائل
فإن تحي لا أملَلْ حياتي وإنْ تمت   فما في حياتي بعد موتك طائل

---

[٥٤] شعر الرثاء في العصر الجاهلي ١١ ، ٩٧ .
[٥٥] الديوان ١٤١ .

ولأنّه الملك صاحب السيادة والمكانة ؛ ولأنه إله أو شبيه بـه نعـاه الناس جميعا ، فهذا المهلهل يرثي أخاه الملك كليبا فيقول[٥٦] :

نعـى النعـاةُ كليبـا لي فقلتُ لهم مادت بنا الأرض أم مادتْ رواسيها

وهو سيّد الناس ، ليس له مثيل ، وهو يعادل ألفا من فضلاء القـوم ، وقد أضاف المهلهل هذا المعنى في رثاء أخيه كليب[٥٧] :

قتلتُـم سيّـدَ النـاس ومَـنْ ليس بـذي مِثْـلِ

وقلتُـم كفـؤه رجـلٌ وليس الرأسُ كالرجـلِ

وليـس الرجُـلُ الماجـدُ مِثْـلَ الرجُـلِ النـذلِ

فتـى كـان كألـفٍ مِـن ذوي الأنعـام والفضـلِ

وهو الفارس الشجاع ، إذ كانت الشجاعة من أكثـر الخصال التـي ترددت على ألسنة الشعراء ، وهذا طبيعي في مجتمع يؤمن بالقوة ويُربّـى الفرد فيه ليكون حاميا لقبيلتهِ ، أكفاء لمن ينازلهم فـي سـاحات القتـال . فإذا قتل حامي العشيرة ظل القوم يذكرون تلك الخصلة التي كانـت مـن أسباب بقائهم .

وليس للملك كفء في المنزلة والمكانة أيضا ، فهو ذو منزلة عظيمة لن يدركها أحد ، بل أنّ إدراكها من قبيل المعجزة التي لن تتحقـق مهمـا حاول الإنسان ، أو ليس الملك إلها أرسله الله ، كما كانوا يعتقدون ؟ فهـذا امرؤ القيس يرثي آباءه وأجداده في وقعته ببني أسد[٥٨] :

---

[٥٦] الديوان ٩١ .

[٥٧] الديوان ٦٩ . وينظر : أيام العرب في الجاهلية ١٦٦ .

[٥٨] الديوان ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

قالتْ فُطيمةُ حلِّ شعْرك مدحــةً أفبعـدَ كنــدة تَمدحَــنّ قتيــلا

وهمُ الكرامُ بنو الخضارمة العُلا لسميــدعٍ أكــرمْ بذاك نجيــلا

يا أيها الساعــي ليُـدْرِك مجدَنا ثكلتك أمُــكَ هل تــردّ قتيــلا

هل ترقيــنَّ إلــى السمــاء بسُلمٍ ولترجعنّ إلــى العزيــز ذليلا

سائل بنا مَلكَ الملُوك إذا التقــوا عنّــا وعنكم لاتعــاشَ جهُــولا

منّا الذي مَلَك المعاشــر عَنْــوة مَلَك القضــاء فسَلْ بذاك عقُولا

فمكانة آباء الشاعر تُجلّه عن الدموع ، بل فاخر به ، وكذّب ما أتــاه من خبر عن مقتله ، وحين تبيّن وجه الحق ثقل عليه الرزء ، وراح يباهي بموضع أبيه من الملك ، ويصور القبائل كأنها خدمٌ له ينتظرون عطــاءه ، فيقول[٥٩] :

أرقــت لبــرق بليــل أهــــل يضـــيء سنــاه بأعلى الجبــل

أتانـــي حديــثٌ فكذّبتــــــه بأمــرٍ تزعــزع منــه القلــل

بقتــل بنــي أســـد ربّهــــم ألا كلّ شـــيء ســـواه جلــل

فأيــن ربيعـــــة عــن ربّهــا وأين تميــم وأيــن الخـــول

ألا يحضــرون لــدى بابـــه كما يحضــرون إذا ما أكــل

فموت الملك يعني توقف الحياة واختلال الكون ، فقد أظلمت الــشمس لدى المهلهل فلا تريد طلوعا[٦٠] :

لمّا نعــى الناعــي كليبا أظلمت شمسُ النهار فما تريــدُ طُلوعا

---

[٥٩] الديوان ٢٦١ .

[٦٠] الديوان ٥٠ .

وهذه الصورة مكررة عند عنترة في رثائه الملك زهير بن جذيمة العبسي ، فهو يقول[٦١] :

خُسِفَ البدرُ حين كان تماما وخَفَى نُوره فعادَ ظلاما

ودراري النجوم غارت وغابت وضياءُ الآفاق صار قتاما

حين قالوا : زُهيرُ ولىّ قتيلا خيّم الحزن عندنا وأقاما

صورة الملك في الفخر :

ومن الفخر نطلّ على مجموعة من المثل التي كان الجاهلي يعتزّ بها ، وقد اتسّعت لتشمل حماية الجار ونجدة الملهوف ، ومضاء العزيمة ، والقدرة على تحمّل الشدائد والحزم والإباء ، وصلة الرحم ، كما وقفوا في وجه الملوك حين جاروا وارتحلوا عنهم ، ووفدوا عليهم حين ارتضوا أن يعاملوا القوم معاملة الأخ لأخيه ، وكل هذا يستلزم القوة ، ففخروا بها.

وقد يروق لبعض الشعراء أن يفاخر الملوك وأن يجاهر بالخروج عن سلطانهم ، ويُعدّ هذا ضربا من الأنفة والحمية . فهذا عمرو بن كلثوم يقتل الملك عمرو بن هند بعد أن حاولت أم الملك استخدام أمه ، ويفتخر بمضاء عزيمة قومه ، وقدرتهم ، وبأسهم ، فهم يقدمون على الأعداء براياتهم البيضاء ولا يعودون إلاّ وقد نهلوا من دماء الأعداء حتى صارت الرايات حمرا لكثرة القتل ، وهم قد ورثوا المجد كابرا عن كابر ، يدافعون عنه ، ويحمونه ، فيقول عمرو بن كلثوم[٦٢] :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نُخبّركَ اليقينا

---

[٦١] الديوان ٢٧٩ .

[٦٢] الديوان ٧١ ، ٧٥ .

بأنـــا نُـــورد الرايــات بيضـــا ونُصدرّهُــنّ حُمــرا قد رَوينـــا
ورثنـــا المجد قــد علمتْ مَعــدٌّ نُطاعــنُ دُونَــه حتــى يَبينـــا

ويفتخرُ بعصيان الملوك وقتلهم ، فيقول(٦٣) :

وأيـامٍ لنـــا غُــرّ طـــوالٍ عصينـــا الملـك فيها أنْ نَدينـــا
وسيـــد معشــر قــد توّجــوه بتـــاج الملك يحمــي المُحجَرينا
تركنــا الخيــل عاكفــة عليــه مقلـــدةً أعنّتهـــا صُفونـــــا

وجاء فخــر جابــر بن حنّي التغلبي موصولا بفخــر ابن كلثــوم ، فهو يزعم أنّ الملوك لا يجرؤون على انتهاك شــرف تغلــب لمنعتهــا ، وهيبتها المفروضة على الناس ، فهذه القبيلـــة تعــايش الملــوك معايــشة الأنداد ، تسالم العادل ، وتحارب الجائر ، ويفتخر بأنّ قتل الملوك عنــدهم ليس حراما ولا محالا ، ولطالما أنزلوا الحتف بــالملوك الــذين احتقــروا قوتهم ، فيقول(٦٤) :

ألا تستَحـــي منّـــا ملــوكٌ وتتّقي محارمنـــا لا يبــوؤُ الــدم بالــدمِ
نُعاطي الملوك السلْمَ ما قَصَدُوا بنا وليــس علينـــا قتلهُــم بمحــــرّم

ومثله قول حاتم الطائي(٦٥) :

وأقسمْتُ لا أعُطي مليكا ظُلامـــةً وحولي عَــدِيّ كهلها وغريرهـــا

وقول المتلمس الضبعي لعمرو بن هند(٦٦) :

---

(٦٣) الديوان ٧١ ، ٧٢ .

(٦٤) المفضليات ٢١١ .

(٦٥) الديوان ٩١ .

(٦٦) الديوان ١٢٥ .

فلئـــن تَعِـــشْ فليبلُغـــــنْ   أرماحُنــــا منـــكَ المُخَنَّـــقْ

ويملأ عبيد بن الأبرص الدنيا فخرا بعظيم صنيع قومهِ ، وقد هزمـوا الملك حجر ابن كندة وقتلوه ، وحقّ لهم أن يفتخروا ، وقد علوا فوق الملك وضرّجوه بدمائه ، من قصيدة يقول فيها[٦٧] :

إنـــا إذا عـــضَّ الثقـــا   فُ بــرأس صعدتنـا لوينـا
نحمـــي حقيقتنـا وبعـــ   ضُ القـوم يسقـطُ بيـن بَيْنـا
هـّلا سألـتَ جمـــوع كنـــ   دة إذ تولـوا : أيـن أيْنـا
أيـام نضـــرب هامهـــم   ببواتـرٍ حتـــى انحنَينـــا
وجمـــوعَ غسّـانَ الملـــو   كَ أتينهُـم وقـد انطوَينـا

وهذا المرقش الأكبر يصرخ بوجه المنذر ، ويبدي من الجرأة والقدرة ما يثبت قوته ، ويبيّن له أنه لا يكترثُ بظلمه ، وأشاد بإبائـه وشـجاعته وعدم استسلامه ، فيقول من قصيدة له[٦٨] :

أبلغا المُنـذر المنقّـبَ عنّـــي   غيـرَ مُسْتَعتـبٍ ولا مُسْتعيـنِ
لات هنا وليتنـي طـرفَ الـزّ   جّ وأهلي بالشـأم ذات القـرون
بامـرئٍ ما فعلَتَ عـفَ يـؤوس   صدّقتـه المُنى لعـوضِ الحينِ
غيـر مُستَسلِمٍ إذا اعتصـرَ العا   جـزُ بالسكتِ في ظلالِ الهـونِ
يُعْمِلُ البـازل المجُـدّةَ بالرحـ   لِ تشكّـى النَجـادَ بعدَ الحُزونِ

وهذا عنترة العبسي يفتخر بقومه ، ويهدّد النعمان بن المنذر بأنّ يـده ستطوله وأخاه يوما ما ، مصورا نفسه كالأفعى الملساء في أنيابها المـوت

---

[٦٧] الديوان ١٣٦ ، ١٣٧ . وينظر : الشعر والشعراء ٢٥٩ .

[٦٨] المفضليات القصيدة ٤٨ صفحة ٢٢٨ .

والهلاك ، مفتخرا بشجاعته ، فهو الفتى الذي يدخل المعركة غير هيّاب ، لأنّه سيعود منها ورمحه مخضّب . وكان أخوه الأسود بن المنذر قد أجار خالد بن جعفر بن كلاب قاتل زهر بن جذيمة بن رواحة العبسي[٦٩] :

إن كنتَ تعلم يا نعمانُ أن يدي ... قصيرةٌ عنك فالأيامُ تنقلبُ
اليوم تعلم يا نعمان ، أيّ فتى ... يلقى أخاك الذي قد غرّه العُصَبُ
إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسها ... عند التقلّب في أنيابها العَطَبُ
فتىً يخوضُ غمارَ الحرب مبتسما ... وينثني ، وسنانُ الرمح مختضب

ومن الافتخار على الملوك وجدنا النقيض لذلك ، وهو الافتخار بالملوك والإقرار بالمكانة الخاصة لهم ، وبالانتساب إليهم والانتماء إليهم فهم الأجواد المكرمون والشجعان القادرون ، الذين من صفاتهم ، حمل الديات ، وفك الأسرى . يقول امرؤ القيس[٧٠] :

وكندة قومي ملوكُ البلادِ ... فأنمي إليهم إذا ما انتميتُ
كرامُ المقارئ حِسانُ الوجوه ... فلن يفضحوني إذا ما اغتزيت
بحمل الديات ، وفكِّ العُناةِ ... وقتْلِ الكُماةِ ، مَعدًا علَوت

وكما افتخر امرؤ القيس بانتسابه للملوك ، افتخر حسّان بن ثابت بملوك الغساسنة ، وبانتسابه إليهم ، فهو يقول[٧١] :

منهمُ أصلي فمن يفخرْ به ... يعرفُ الناسُ بفخر المفتَخِرْ
نحن أهلُ العزِّ والمجد معا ... غيرُ أنكاسٍ ولا ميلٌ عُسُر

---

[٦٩] الديوان ١١٩ .
[٧٠] الديوان ٣١٩ .
[٧١] الديوان ١٧٠ .

فسلـوا عنّـا وعـن أفعالنـا كلُّ قـومٍ عندهـم عِلْمُ الخَبـر

ومن الوفادة على الملوك وهو الشرف العظيم والمجد العـالي يقـول حسان بن ثابت في ذلك[٧٢] :

وتزورُ أبوابَ الملوك ركابُنـا ومتى نُحكَّم في البريّـةِ نَعْـدِلِ

ويفتخر الحصين بن الحمام المريّ بأنّ فتيان قومه يلبسون في الحرب مما كساهم به عمرو بن هند ملك الحيرة ، فيقول[٧٣] :

عليهنّ فتيانٌ كساهـم محـرِّقٌ وكان إذا يكسـو أجـاد وأكرما

صفائح بُصرى اخلصَتْها قيونُها ومُطَّردا مِن نسـج داود مُبْهَما

صورة الملك في الاعتذار :

وفيه تتداخل عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء ، غايته إخماد ثورة الغضب الساخطة في نفس المعتذر إليه والحيلولة بينه وبين العقوبـة أو العتب من خلال تبرئة نفسه ؛ حتى يستطيع إصـلاح الحـال ؛ لتعـودَ الأمور إلى ما كانت عليه ، وقد فرضت علـى الـشاعر أن يـسلك فـي اعتذاره مسلكا يتشابه إلى حدّ بعيد من حيث المعاني ، فيتخيروا من معاني المدح ما يكون وثيق الصلة بطبيعة الموقف الاعتذاري ، وأسرعها نفـوذا إلى المتلقي .

فمن دوافع الاعتذار الندم على مفارقة عظيم أجبره الوشاة والحسّاد على مفارقته والرغبة في العودة إلى نعيم ذاق الشاعر حلاوته ، وشقّ عليه أن يخرج نفسه منه ، والرغبة في تطهير النفس وإبرائها من أسباب الكدر

---

[٧٢] الديوان : ٢٥٠ .

[٧٣] المفضليات قصيدة ١٢ صفحة ٦٦ .

وآلامها ، والرهبة من نقمة هذا الملك العظيم ، فهذا النابغة الذبياني يبعث بقصائده معتذرا للنعمان بن المنذر عن مقامه بين الغساسنة مظهرا قلقه من سوء التفاهم والقطيعة التي بينهما ، فيقول[٧٤] :

ألم ترَ أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ ملْكٍ دونها يتذبذبُ

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكب

فالنعمان لا يشبهه أو يناظره أحد من الملوك ، فأبهته وعظمته ، وسلطانه تُغطي على الآخرين ، وتُخفي معالمهم ، كالشمس حينما تسطع تتلاشى أمامها الكواكب . وهو أعظم من يعفو عن الذنوب ، ويصفح عن الهفوات ، فهو أهل الرضا والإكرام ، وهو قاض عادل يعرف كيف يرد الظلامة وينصف الظنين ، فيقول النابغة[٧٥] :

فإن أكُ مظلوما ؛ فعبدٌ ظلمتَهُ وإنْ تك ذا عُتبى فمثلُك يُعْتِبُ

ويخشى طرفة بن العبد عقاب الملك فيعتذر لعمرو بن هند – وقد بلغه أنه هجاه – فيقول طرفة[٧٦] :

إنّي وجدّكَ ما هجوتك والإ نصابِ يُسْفَحُ بيهنّ دَمُ

ولقد هَمَمْتُ بذاك إذ حُبِسَتْ وأُمرّ دونَ عُبَيدة الوذَمُ

أخشى عقابكَ إن قدرْت ولم أغدِر فيؤثَر بيننا الكلِمُ

---

[٧٤] الديوان ٢٥ .

[٧٥] المصدر نفسه ٢٥ .

[٧٦] الديوان قصيدة رقم ١٠ صفحة ١١٣ .

وهذا المثقب العبدي يعتذر إلى النعمان بن المنذر ليطلق سراح قومه راسما له صورة تليق بملكه ، فهو الكريم الجواد ، وكونه من سلف صالح زاده هذا كرما ، كما علت الكواكب على النجوم ، فهو وآباؤه كالسعود بين النجوم التي هي الملوك ، وإلى جانب ذلك فهو المؤيد من الله ، فالله ينصره ، ولو علم أنّ الجبال قد خالفت أوامره لربط الجبال بالحبال ، وسلّمها له خاضعة منقادة . فهو الشجاع المقدام ، شديد البطش بأعدائه . ويتساءل المثقب – ليدل على عظمة وبطش ممدوحه – ، أية قبيلة لم يقتل فيها مَنْ شاء ، وكأنّه متاحٌ له ، وإن أراد البطش ، فإنّ الغبار الناتج عن المعركة يصل إلى عنان السماء ، إلى أن يقول[٧٧] :

إلى ملكٍ بذّ الملوكَ فلم يسَعْ … أفاعيله حَزْمُ الملوكِ وجودُها

وأيَّ أُناسٍ لا يُبِيحُ بقَتْلَةٍ … يُؤازي كُبَيْداتِ السماء عَمُودها

ومن الاعتذار عن خطأ ارتكبه الشاعر بحق الملك ما تحكيه أبيات الشاعر اليشكري علباء بن أرقم بن عوف ، من وثبه على كبش للنعمان كان قد أحماه ، فذبحه ، فأغضب ذلك النعمان ، فحمل إليه ، فلما وقف بين يديه أنشد قصيدة له معتذرا فيها وموضحا له أنّه وعلى الرغم مما فعل ، وعلى الرغم من تخويف الناس له من النعمان ، إلاّ أنّه استشعر في نفسه سماحته وجوده وسخاء يديه ، فأقدم على ما أقدم عليه[٧٨] :

أُخوّفُ بالنعمان حتى كأنما … قتلْتُ له خالا كريما أو ابن عمّ

وأنّ يد النعمان ليستْ بكزّةٍ … ولكنْ سماءٌ تُمْطِرُ الوبل والديمْ

---

[٧٧] المفضليات قصيدة رقم ٢٨ صفحة ١٥١ ، ١٥٢ .

[٧٨] الأصمعيات صفحة ١٥٩ .

ويعتذر عمرو بن قميئة إلى المنذر ملك الحيرة مفتــديا إيــاه بأهلــه ومالهِ ، معتذرا عمّا نقله إليه الوشاة . فالمنذر قد صدّق ما قاله الأعــداء ، وهو يرجوه بالتريث ، ويدعو له بالهداية ، في حوار جميل ، وقد أسقط في يديه فيقول متذللا[٧٩] :

فأهلـــي فـــداؤك مُسْتعتبـــا عتبتَ فصدّقــت فيّ المقالا

أتـــاك عـــــدوّ فصدّقتــــه فهلاّ نظرت هُديــتَ السؤالا

وهو يدافعُ عن نفسه ، لا يقرّ بما قالوا لأنّه لم يقل شيئا أصلا ، ثــم يدعو على نفسه بأن يصيبــه الويل والثبور ، حتى لا تصل يمينه يــساره إن كان ما وصله صحيحا . ويتوسل إليه
أن يتصدّق عليه ويصفح عنه[٨٠] :

فما قلتُ : ما نطقــوا باطلا ولا كنــتُ أرهبُــه أن يُقالا

فإن كان حقــا كما خبّــروا فلا وصلــتْ لي يمين شِمالا

تصـــدّق عليّ فإنيّ امـــرؤ أخافُ على غيــر جُرم نَكالا

وهذا عبيد بن الأبرص يستعطف الملك حجرا الذي كان حاكما علــى بني أسد وملكا عليهم ، ويعتذر إليه في قصيدة لإطلاق سراح قومه الذين أسرهم وأباح أموالهم ، فيقول فيه[٨١] :

---

[٧٩] الديوان ٦٩ ، ٧٠ .

[٨٠] الديوان : ٧٠ .

[٨١] الديوان ١٢٥ ، ١٢٦ .

أنتَ المليكُ عليهم   وهم العبيدُ إلى القيامة

ذُلّوا لسوطك مثل ما   ذلّ الأشيقر ذو الخِزامة[82]

وكان حاتم الطائي سفير قومه إلى ملك الغساسنة لفكّ أسرى قومه وإطلاق سراحهم ، وكان قد أسرهم الملك الغساني على أثر إغارة طيء على ملك غسان وقتلهم ابنا لهم ، فهو يقول[83] :

فاجمعْ فداءً لك الوالداتُ   لما كنتَ فينا بخير مُريدا

فتجمعَ نُعمى على حاتم   وتُحْضرها من معدّ شُهودا

أم الهُلكُ أدنى فما أن علمتُ   عليّ جُناحا ، فأخشى الوعيدا

فأحْسِنْ ، فلا عاذ فيما صنعْتَ   تُحيي جُدوُدا وتُبري جُدودا

وهذا النابغة – وهو من طرق باب الاستعطاف من خلال شعر الاعتذار – لم يستطع وهو يمدح الغساسنة ، ويتقلب في نعيمهم أن ينسى أبا قابوس ، بل أرسل له العديد من القصائد معتذرا ومستعطفا ، فهو يقول[84] :

أنبئتُ أن أبا قابوس أوعدني   ولا قرارَ على زأر من الأسدِ

مهلا فداءٌ لك الأقوامُ كلهّمُ   وما أثمّرُ من مالٍ ومن ولدِ

لا تقذفنّي بركن لا كفاءَ له   وإن تأثفكَ الأعداءُ بالرفدِ

---

(82) الأشيقر : تصغير الأشقر ، وهو الأحمر من الدواب . الخِزامة : حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشدّ بها الزمام . لسان العرب : مادة (شقر) ، و(خزم) .

(83) الديوان ٦١ .

(84) الديوان ٥٧ .

فهو الضعيف أمام النعمان وقوته وبطشه ، فالنعمان أسد جائع يزأر ، مفتديا إياه بالمال والولد ، راجيا إياه ألاّ يحمله ما لا يطيق ؛ لأنَّ النعمان هو القوي الذي لا يستطيع الأعداء مهما تآزروا أن يثبتوا أمامه .

خاتمة البحث :

الشعرُ مرآة الحياة ، حملها الشاعر في أثنائه وسجل دقائقها وحفل بالرموز والدلالات التي تبيّن مكانة الملك ، وقد صُوّر الملك بالشمس والقمر بمراحله المختلفة وهي معتقدات قديمة في الفكر الإنساني وجدت صداها في الفكر الجاهلي ، وقد جاء الحديث عن الملك وصورته ممزوجا بالقضايا الحياتية المختلفة ، فذُكِرَ الملكُ في المدح والحكمة والهجاء والرثاء والفخر والاعتذار وعكس ذكر الملك وصورته التماس الوثيق بين الشاعر وبيئته من ناحية وبين الشاعر والملك في الصورة الشعرية من ناحية أخرى ، فقد نوّع الشعراء في رسم صورة الملك وهي صورة مستمدّة من واقع حياتهم المعاشة ، فالملك يمثل جانبين في حياتهم ، فهو في الجانب الأول رمز الرهبة والسلطة والقوة والبطش والمكانة العالية . وهو من جانب آخر رمز الكرم والخير والعطاء . فالملك له قدسيّة خاصة تميّزه عن غيره ، فهو يمثل القوة أمام إحساسهم بالضعف ، ويمثل العطاء أمام جدب الصحراء ، ويمثل الأمن والأمان حين تخلو حياتهم منه .

المصـــادر :

- الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون – دار المعارف – ط٧ – مـصر – ١٩٩٣م .
- الانتماء في الشعر الجاهلي – فاروق أحمد سليم – منـشورات اتحـاد الكتاب العرب – دمشق – ١٩٩٨م .
- أيام العرب في الجاهلية – محمد أحمد جاد المولى وآخرون – المكتبـة العصرية – صيدا – بيروت – د.ت .
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بـن بحـر الجـاحظ – تحقيـق وشـرح عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – ط٢ – مصر – ١٩٦١م .
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشـي – دار صادر – بيروت – ١٩٦٣م .
- ديوان الأسود بن يعفر : صنعه الدكتور نوري حمودي القيسي – مطبعة الجمهورية – ١٩٧٠م .
- ديوان الأعشى ميمون بن قيس – شرح وتعليق محمد حسين – مكتبـة الآداب – المطبعـة النموذجية – د.ت .
- ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة – د.ت .
- ديوان حاتم الطائي – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى – بيروت – ١٩٩٤م .

- ديوان الحارث بن حلزة – تحقيق عمر فاروق الطباع – دار القلم – بيروت – د.ت .
- ديوان حسّان بن ثابت – مطبعة السعادة – القاهرة – د.ت .
- ديوان زهير بن أبي سُلمى – تحقيق وشرح كرم البستاني – دار صادر – بيروت – ١٩٦٠م .
- ديوان طرفة بن العبد – تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال – المؤسسة العربية – ط٢ – بيروت – ٢٠٠٠م .
- ديوان عامر بن الطفيل – عناية كرم البستاني – دار صادر – بيروت – ١٩٦٣م .
- ديوان عبيد بن الأبرص – تحقيق وشرح حسين نصار – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ط١ – ١٩٥٧م .
- ديوان عدي بن زيد – جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد – بغداد – ١٩٦٤م .
- ديوان علقمة بن عبدة الفحل – شرح وتقديم حنا نصر الحتي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ – ١٩٩٣م .
- ديوان عمرو بن قميئة – تحقيق وشرح خليل إبراهيم العطيّة – دار صادر – ط١ – بيروت – ١٩٩٤م .
- ديوان عمرو بن كلثوم – جمع وتحقيق أميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ – ١٩٩١م .
- ديوان عنترة – تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي – دار الشرق العربي – بيروت – ط١ – ١٩٩٢م .
- ديوان لبيد بن ربيعة – قدّم له حنا نصر الحتّي – دار الكتاب العربي – بيروت – ٢٠٠٤م .

- ديوان المتلمس الضبعي – شرح وتحقيق محمد التونجي – دار صادر – بيــروت – ط١ – ١٩٩٨م .
- ديوان المهلهل بن ربيعة – شرح وتحقيق أنطوان محسن القــوّال – دار الجيــل – ط١ – بيروت – ١٩٩٥م .
- ديوان النابغة الذبياني – شرح وتعليق حنا نصر الحتّي – دار الكتــاب العربــي – ط٢ – ١٩٩٦م .
- شعراء النصرانية قبل الإسلام – لويس شيخو – دار المشرق – ط٣ – بيروت – ١٩٦٧م .
- شعر الرثاء في العصر الجاهلي – دراسة فنيّة – مصطفى عبد الــشافي – الشركة المصرية العالمية للنشر – ط١ – ١٩٩٥م .
- الشعر والشعراء لعبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق وشــرح أحمــــد محمــد شاكــر – دار الحديث – القاهرة – ٢٠٠٣م .
- طرفة بن العبد شاعر البحرين في الجاهلية – علي إبراهيم أبو زيــد – مؤسسة عز الدين – الطبعة الأولى – ١٩٩٣م .
- لسان العرب : لابن منظور ، طبعة مراجعة ومصحَّحة (دار الحــديث القاهرة ٢٠٠٣م) .
- المفضليّات للمفضل بن محمد الضبيّ – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمــد هــارون – دار المعــارف – القــاهرة – ط٨ – ١٩٩٣م .
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلســي – تحقيــق نصرت عبد الرحمن – مكتبة الأقصى – عمّان – الأردن – ١٩٨٢م .

تعرُّف العلاقة بين التعلم السلوكي وعلم الدلالة

الدكتور نجاح هادي كبة
معهد الفنون الجميلة للبنين ـــ بغداد

الملخص :

يرمي هذا البحث إلى تعرف العلاقة ، بين التعلم السلوكي وعلم الدلالة ، من خلال تجارب المنظرين باڤلوف وبلومفيلد وسكنر ، وتفسير علم الدلالة في ضوء نظرياتهم .

وقد قام الباحث بتوضيح مشكلة البحث - اهميته والحاجة اليه - تحديد المصطلحات التي تتعلق بالبحث - الاطار النظري للتعلم السلوكي وعلم الدلالة - منهجية البحث - اذ اعتمد الباحث المنهج الوصفي - محاور البحث - النتائج - الاستنتاجات - التوصيات .

فعن مشكلة البحث بين أهمية التعلم السلوكي في علم الدلالة وعلاقته به وقلة اهتمام المتخصصين في موضوع الدلالة ، كالنقاد والادباء ورجال القانون والمعلمين وغيرهم .

اما عن أهمية البحث : فقد قام بتوضيح أهمية اللغة عامة واللغة العربية خاصة وأهمية التعلم السلوكي وعلاقته بعلم الدلالة ، ثم حدد المصطلحات اصطلاحيا واجرائيا ، اما عن محاور البحث فقد تناول دور التعلم السلوكي ممثلا بباڤلوف وبلومفيد وسكنر وعلاقته بعلم الدلالة ، وختم البحث بالنتائج والاستنتاجات والتوصيات فالمصادر وملخص باللغة الانكليزية .

مشكلة البحث :

ان انفراد توصيل اللغة بصورة محض ، سواء اكانت معنى ام صوتا ام نحوا ، من دون ارتباطها بنظريات العلوم الاخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع – يقلل من فهم المتلقي لها – ولاسيما ان اللغة هي : القالب الذي يصب فيه الابداع العقلي والفني في سائر العلوم والاداب ، كالشعر والقصة والرواية والمسرحية والمقالة والفلسفة والمنطق والرياضيات والفيزياء والكيمياء . . . فقد دُرِسَتِ اللغة شكلا ومضمونا في ضوء مختلف العلوم النظرية والتطبيقية – ولاسيما علم النفس – لانه العلم الذي تستثمر فيه اللغة طاقاتها الابداعية المختلفة ، مما يسهل عملية توصيلها للشرائح المتخصصة بها ، فعلم النفس يتداخل مع بنائها المفاهيمي من معان وافكار والفاظ وعواطف "انفعالات ومشاعر" . فاللغة كما يرى سوسير عملية ايحائية ، وليست فيزائية "أي كلام" فقط .

وفي ضوء ذلك اصبح ارتباط الدال بالمدلول ليس عملية تسمية فقط ، بل هي ايحاء وتصور وتعدد للمدلولات .

ويعاني الكثير من المتخصصين والمعلمين قلة امكانية الربط بين اللغة وعلم النفس ؛ الذي يرى فيه علماء النفس السلوكيون انه صورة انعكاسية لما هو داخل النفس من انفعالات ومشاعر ومعان والفاظ وخيال ، كاستجابات لمثيرات بيئية .

فعدم الربط بين اللغة وعلم النفس يترتب عليه ضياع الكثير من البنى العميقة للغة – ولاسيما عدم فهم الارتباط بين الدال اللغوي ومدلولاته في ضوء ارتباط النظريات الدلالية الحديثة بعلم النفس – ولاسيما علم النفس السلوكي – في فهم بنية اللغة عند الانسان ، وتحليل شكلها ومعناها في ضوء ما توصل اليه علماء النفس ولاسيما السلوكيين الشرطيين .

أهمية البحث والحاجة اليه :

للغة زيادة على وظيفتها في الاتصال بين الافراد والجماعات ، وظيفة ارتباطها بالفكر والعواطف والانفعالات ، مما يجعلها ذات وظيفة فكرية وجمالية ، ولولا اللغة لتوقفت حياة الانسان ، وما استطاعت الحضارة والثقافة ان تعبرا عن وجودهما ، فلقد ارتبطت اللغة بالحضارة والثقافة منذ فجر التاريخ ، فدفع ذلك الانسان إلى التقدم والتطور .

واللغة العربية لغة ثقافة وحضارة ، استطاعت ان تستوعبهما والتعبير عنهما بدقة الفكر والالفاظ ، زيادة على ذلك ، فانها آصرة مهمة من أواصر القومية العربية والدين الاسلامي ، قيمتها كقيمة الارض والتاريخ والامال والمصالح المشتركة . . . التي توحد الامة العربية ، ولا ادل على عظمة هذه اللغة ، ان نزل بها كلام الله القرآن الكريم ، لانها تميزت بخصائص كثيرة لا تخفى .

لذلك تلاقحت العربية مع الكثير من اللغات الاجنبية ، ولم يستطع الاستعمار الثقافي طمس هويتها ، وبقيت لسان ابناء الامة العربية واكثر ابناء الامة الإسلامية - وبناءً على ذلك - جعلت هيئة الامم المتحدة اللغة العربية اللغة العالمية السابعة في التحدث والقاء البحوث .

اما علم النفس فتبرز اهميته في دراسة سلوك الانسان والحيوان ، ومن خلال التشابه السلوكي والمعرفي بينهما ، في ضوء اجراء التجارب العلمية عليهما ، فقد طُبِّقَتْ نظرية بافلوف مثلا على الحيوان ، من خلال تجربته على كلب في التعلم السلوكي ، في ضوء : المثير - الاستجابة ، اذ لعلم النفس السلوكي الذي هو فرع من علم النفس التعليمي ؛ أهمية كبيرة

ولاسيما في اكتساب الانسان اللغة عن طريق التاثر بالمنبهات الخارجية والاستجابات لها ؛ كرد فعل انعكاسي "م – س" . سواء اكانت الاستجابة طبيعية ام شرطية "رمزية – صناعية" .

اما علم الدلالة فتاتي اهميته من خلال معرفة "الدال – المدلول" في المفردة أو التركيب ، فالرمز اللغوي "الدال" تتعدد مدلولاته من ناحية المعنى النحوي والصوتي والايحائي والتصوري والسياقي والنفسي ، فاصبح الدال ليس رمزا لغويا تسمويا أو معجميا فقط؛ بل هي رمز لاكتشاف المطمور في البنية العميقة للغة ، واثر ذلك في تفسير النصوص الادبية والبلاغية واللغوية بصورة عامة ، كما تأتي أهمية علم الدلالة حين يكون الرمز غير لغوي ، كصوت الجرس في تجربة بافلوف وغيره ، في كشف الاستجابات "المدلولات" بوصف الدال مثيرا ، وتفسير الكثير من نظم التعلم عند الانسان والحيوان ، اما عن أهمية العلاقة بين التعلم السلوكي وعلم الدلالة الذي يطلق عليه المتخصصون علم الدلالة السلوكي ، فيأتي من خلال تفسير التعلم السلوكي لعلم الدلالة ، من خلال التجارب على الحيوانات واستنتاج القوانين التي تحكم عملية التعلم عند الحيوانات ، أو تطبيق تنظيراتها في التعلم على الانسان كتعلم اللغة الذي تراه المدرسة السلوكية نوعا من السلوك ، اكثر من كونه اكتساب معنى .

وبناءً على ما تقدم تاتي أهمية البحث الحالي من :

١. من أهمية اللغة في حياة الفرد والمجتمع .

٢. من أهمية اللغة العربية بخاصة .

٣. من أهمية علم النفس – ولاسيما علم النفس السلوكي –

٤. من أهمية علم الدلالة .

٥. من أهمية علم الدلالة السلوكي .

مرمى البحث :

يرمي البحث الحالي إلى :

تعرف العلاقة بين التعلم السلوكي وعلم الدلالة .

حدود البحث :

١. التعلم السلوكي من خلال تجارب المنظرين : **بافلوف – بلومفيلد –** سكنر .

٢. علم الدلالة .

٣. العلاقة بين تجارب المنظرين : بافلوف – **بلومفيلد** – سكنر وعلم الدلالة .

تحديد المصطلحات :

١ . التعلم : Learning

عرفه "راجح" :

بانه تغير ثابت في سلوك الفرد أو شعوره ، وهو تغير ينجم عن الممارسة والتدريب أو الملاحظة ، ولا ينجم عن النضج الطبيعي . . . ان اصطلاح "التعلم" يستخدم احيانا بمعنى "عملية التعلم" وهي : العادات والمعلومات والاتجاهات المكتسبة . . . وهنا يكون المعول في التمييز بين المعنيين على السياق[١] .

---

[١] أحمد عزت راجح ، اصول علم النفس ، ط :٣ ، الاسكندرية ، ١٩٦٢ ، ص٢٢٩ – ٢٣٠ .

عرفه مدنيك Mednick (ما ملخصه) :

هو عملية تحدث تغيرا في السلوك نتيجة الممارسة والخبرة ، وهو تغير ثابت نسبيا ولا تمكن ملاحظته بشكل مباشر ، وهو مما يفرقه عن الاداء الخاضع للرؤية ، والطريقة الوحيدة لدراسة التعلم لا تكون الا من خلال ما هو قابل للملاحظة[٢] .

٢ . التعلم السلوكي : Behaviourist learning

عرفه الماشطة :

هو الافعال ، وردود الافعال تجاه الظروف ، فهي تكييف لحياة الانسان الداخلية تجاه العلاقات الخارجية ، وان معظم العادات يكتسبها المرء لا شعوريا ، وان معظم ما يحفظه المرء عن ظهر قلب ؛ يأتي عبر جهد لفظي والدليل على تعلم المرء لشيء ما ليس باي عرض عقلي؛ بل في قابليته على تكرار العادة ، أو اعادة قول الكلمة الملفوظة ، لذلك فان المدرسة السلوكية تقلل من مشاعر الشخص أو افكاره أو انه خبرات ذاتية؛ بل تؤكد استجابات الفرد من خلال مثيرات البيئة[٣] .

وعرفه عمر "ما ملخصه" :

انه التشكيك في كل المصطلحات الذهنية مثل العقل والتصور والفكرة ورفض الاستبطان ، لذلك تقتصر على ما تمكن ملاحظته

---

[٢] سارنوف أ . مدنيك وآخرون ، التعلم ، ترجمة : محمد عماد الدين اسماعيل ، مراجعة محمد عثمان نجاتي ، مطابع دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٥ -٣٦ .

[٣] مجيد الماشطة ، علم الدلالة السلوكي "ترجمة" دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الموسوعة الثقافية ، برقم (٩٧٩) ، ١٩٨٦ ، ص ٤٠ -٤١ .

مباشرة ، وليس بالعمليات الداخلية ، لذلك اطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك المنطقي أو السلوك اللغوي ، وهو يركز على دور البيئة في التربية ، والشيء القليل للوراثة ، وهو يتجه بدراسة السلوك بشكل آلي أو حتمي ، يرى كل شيء محكوماً بقوانين الطبيعة ، فالسلوك نوع من الاستجابات Responses لمثيرات تقدمها البيئة أو المحيط ، وتتكون سلسلة من الارتباط للتعلم من مجموعات مثيرات اصيلة وبديلة [٤].

علم الدلالة : Semantics

عرفه التهانوي "ما ملخصه" :

هو ان يكون الشيء بحالة يلزم به من العلم به بشيء اخر ، وهي على ثلاثة انواع : طبيعية – عقلية "منطقية" ووضعية – أي عرضية ، فالطبيعة ان يكون عُروض الدال عند عُروض المدلول كدلالة "احْ إحْ" على السعال ، والدلالة العقلية هي : دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ، ينتقل لاجلها منه اليه ، كاستلزام النار للدخان وبالعكس والدلالة الوضعية هي : كون العقل يعتمد في فهم الدلالة على العلاقة المصطلح عليها بالوضع مثل كلمة "الرجل" في العربية و"Man" في الانكليزية .[٥]

---

[٤] أحمد مختار عمر ، علم الدلالـة ، ط : ٥ ، عـالم الكتـب ، القـاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٥٩ – ٦٠

[٥] محمد علي الفاروقي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ج٢ ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، مراجعة : امين الخولي ، الهيئة العامة المصرية للتـأليف والنـشر ، ١٩٦٩، ص : ٢٨٦ ، نقلا عن فريد عوض حيدر ، علم الدلالة ، دراسـة نظريـة وتطبيقية ، مكتبة القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص : ٢٥ – ٢٦ .

عرفه الخولي :

علم الدلالة في العربية : تركيب اضافي يدل دلالة الاسم على مسمى خال من الدلالة على الزمان ، وهو يقابل المصطلح الانكليزي Semantics ، وكلا المصطلحين : الانكليزي والعربي يدلان على فرع من اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه ، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخيا ، وتنوع المعاني والمجاز اللغوي ، والعلاقات بين كلمات اللغة .[٦]

٤ . المعنى السلوكي : Behaviourist meaning

عرفه بعض المتخصصين :

هو مجموعة الحوادث السابقة للكلام والتالية له ، انه يتكون من الاشياء المهمة التي يتعلق بها الكلام من الاحداث العملية ، وهذا التعريف للمصطلح مبني على تفسير الموقف اللغوي ، الذي يحدث فيه مجموعة من المثيرات والاستجابات على النحو التالي :

مثير عملي . . رد فعل لغوي . . مثير لغوي . . رد فعل عملي .

والمعنى السلوكي جاء من مجموعة احداث ، جاءت على الترتيب الزمني .[٧]

الرمز : Sign

عرفه بعض المتخصصين :

بانه مثير بديل يستدعي لنفسه الاستجابة نفسها التي قد يستدعيها شيء اخر عند حضوره ؛ ومن اجل هذا قيل ان الكلمات رموز لانها تمثل

---

[٦] محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظرية ، انكليزي – عربي ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٢ ، ص٢٥١ ، نقلا عن : فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص١٤ .

[٧] - فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص : ١٩ .

شيئا غير نفسها ، وعرفت اللغة : "نظام من الرموز الصوتية – العرفية ، ومثال الرمز غير اللغوي سماع الجرس في تجربة "بافلوف" فالجرس ، قد استدعى شيئا غير نفسه بدليل ان الكلب حين يسمع الجرس لا يتوجه اليه ، ولكن إلى مكان الطعام .[٨]

وذهب حيدر إلى ان :

الرموز اما ان تكون لغوية أو غير لغوية ، وان علم الدلالة يهتم بالرموز اللغوية خاصة ، والرمز اللغوي يتميز من غيره من الرموز ، بانه رمز قابل للتحليل ، لان له طبيعة نطقية وطبيعية فيزيائية ، ووظيفة سمعية في المستوى الصوتي Phonetics ، وله طبيعة شكلية ، تتمثل في الجانب الصرفي Morphological ، وله سمات تركيبية ، أي يمكن ان يدخل مع غيره من ألفاظ اللغة فيشكل معها التراكيب ، فيدخل حينئذ في المستوى النحوي grammatical"[٩] .

التعريف الاجرائي للمصطلحات :

١ . التعلم السلوكي : Behaviourist learning

هو عملية عقد أو تقوية روابط بين رموز لغوية وغير لغوية ، بوصفها مثيرات "دوال" للحصول على استجابات "مدلولات" لغوية أو غير لغوية ، ومنه يتعلم الانسان أو الحيوان السلوك؛ سواء اكان لغة أو عادة . . .

---

[٨] أحمد مختار عمر ، نفسه ، ص١٢ .

[٩] فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص٢٩ .

٢ . علم الدلالة السلوكي : Behaviourist semantics

هو العلم الذي يجمع بين علم الدلالة "المعنى" والمدرسة السلوكية[١٠] ، أي نظرة هذه المدرسة المتمثلة بالمنظرين : بافلوف – بلومفيلد – وسكنر؛ لكيفية اكتساب الانسان أو الحيوان الدلالة في ضوء نظرياتهم .

منهجية البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في البحث ؛ لان البحث الحالي يركز على استقصاء ظاهرة من الظواهر ، كما هي قائمة في ذاتها وليس بتاريخها واسبابها ، بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها ، أو بينها وبين الظواهر الاخرى ، ولذلك تمت مراجعة الادبيات التي تخص علم الدلالة والدراسات النفسية – السلوكية ، التي تخص موضوع التعلم اللغوي وغير اللغوي ، بما هو متيسِّر منها بشأن المحاور الاساسية للدراسة وتحليلها ، لاستخلاص المؤشرات التي من شأنها تساعد على تحقيق مرمى البحث .

الإطــار النظــري :

سيتناول الباحث اطارا نظريا تاريخيا لنشوء التعلم السلوكي أولا ؛ ثم اطارا نظريا تاريخيا لعلم الدلالة .

١ . الاطار النظري التاريخي للتعلم السلوكي :

من العلماء السلوكيين الاوائل الذين نظَّروا في التعلم السلوكي ؛ العالم الروسي بكترف "١٨٥٧ – ١٩٢٧" فقد درس الفعل المنعكس

---

[١٠] مجيد الماشطة ، نفسه ، ص ، ٥ .

"المصاحب للاستجابة الشرطية" ، وعلاقته بلغة الفرد ، ودرس ميكانيكية التفاعل البايولوجي – الاجتماعي ، يقول مرفي :

يجب ان نلاحظ الفيلسوفين المثاليين اللذين اتما بعض التقاليد الجرمانية لا يُغلّبان كعاملين ودافعين من علماء الفسلجة ، بكترف Bechterev وبافلوف Pavlov ، فدراستهما للفعل المنعكس قد كونت في الحال تاريخا . . . لقد اثر بكترف في واطس "Watson" ، بل لقد اثر في المدرسة السلوكية في علم النفس ، ففي سنة ١٩١٦ امسك واطس بالترجمة الفرنسية والترجمة الالمانية لكتاب بكترف ، بعنوان :

General principles of human reflex - ology .

فقد وجد ما اراد تماما ، واخذ يرى ضرورة تأكيد التكيف الشرطي في علم النفس الموضوعي ، على اساس ان التعلم الشرطي يعد بمثابة صمام الامان ومفتاح التعلم والعمليات العقلية الاولى[11] .

وظهر كتاب لواطسن عام ١٩١٩ ، بعنوان :

Paycholog, from the stand point of a behaviorist

وتبع ذلك كتب عدة تعبر عن وجهة النظر السلوكية ، كان منها كتاب (سمث) و(جثري) عام ١٩٢١ ، بعنوان :

General psychology in terms of behaviorist

---

[11] دحام الكيال ، دراسات في علم النفس ، ط :١ ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص١٣٧ ومابعدها .

غير ان جثري اختلف عن واطسن ، من حيث ان الاخير اهتم بتفاصيل في التشريح والفسيولوجيا حينما ركز الأول على تفسير الخبرة العادية في الحياة اليومية .[١٢]

وفي عام "١٨٧٤ – ١٩٤٩" اتى دور ثورنديك في التعلم السلوكي ، ومنه التعلم اللغوي بواسطة نظريته المحاولة والخطأ ومنها قانونا الاستعمال والاهمال ، ثم أتى بعدهم دور سكنر عام ١٩٥٩ في التعلم السلوكي على وفق مفهوم متطوِّر عن الاشراط الكلاسيكي عند بافلوف ، سمي بالاشراط الاجرائي ، الذي يرى ان التعلم السلوكي للعادات وغيرها كالتعلم اللغوي ، يكون عن طريق المثير – الاستجابة "م –س" ، الا ان الاستجابة لا تحصل مباشرة؛ بل تحتاج إلى تدرُّج المثير ، فالفرد يتعلم اللغة مباشرة عن طريق الرمز اللغوي بصورة متدرِّجة ، بعد ان يتعلم الاستجابات اذ تتعدد المدلولات ، وكل هؤلاء المنظرين درسوا كيفية اكتساب الانسان التعلم ، ومنه التعلم اللغوي ، لكنهم اختلفوا في تفسيره ، فأما بافلوف فكان رائد المدرسة السلوكية الجديدة التي رأت ان تعلم الحيوان فيه مرونة وتكيّف وتعديل ، وكان محورهم في التعلم طرفي المعادلة "المثير – الاستجابة" "م – س" .

---

[١٢] جابر عبد الحميد جابر ، سايكولوجية التعلم ، ط :٢ ، مصر ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥١

٢ . الاطار النظري لتاريخ علم الدلالة :

أ . الاطار النظري لتاريخ علم الدلالة عند العرب والمسلمين قديما :

ترتبط دلالة لفظ "الدلالة" عند العرب في الاصطلاح بدلالته في اللغة اذ انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق ، وهو معنى حسي ، إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ ، وهو معنى عقلي مجرد[١٣] فالشريف الجرجاني "٧٤٠ – ٨١٦هـ"

يرى الدلالة : بانها كون الشيء بحالة ، يلزم من العلم به ، العلم بشيء اخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول ، وهذا معنى عام لكل رمز اذا علم ، كان دالا على شيء اخر ، ثم ينتقل بالدلالة من هذا المعنى العام ، إلى معنى خاص بالألفاظ باعتبارها من الرموز الدالة ، فيقول :

والدلالة اللفظية : هي كون اللفظ بحيث متى ما اطلق ، أو تخيل ، فهم منه معناه ، للعلم بوصفه ، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام ، لان اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة ، وعلى جزئه بالتضمن ، وعلى قابل العلم بالالتزام .[١٤]

وقد وضع عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم في "علم المعاني" ، وهي تقترب من مفهوم علم الدلالة الحديث إذ رأى ان التركيب اللغوي

---

[١٣] فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص ١٢ .

[١٤] علي بن محمد بن السيد الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، تحقيق : عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، ١٩٩١ ، ص١١٦ . نقلا عن : فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص : ١٢

للكلام المفيد يؤثر في بنى المعاني كالتقديم والتاخير مثلا ، كما ان السكاكي يراه : تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها من الخطا في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره[١٥] ، وهو في تعريفه هذا يقترب من مفهوم علم الدلالة الحديث أيضا ، ولاسيما نظرية افعال الكلام Speech acts .

والملاحظ ان الدلاليين العرب والمسلمين لهم جهود كثيرة اعتمدت على تفكيرهم ودقة معرفتهم ، منهم :

الخليل بن احمد الفراهيدي "ت ١٥٧هـ" وابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "ت : ٢٢٢هـ" وابو الفتح عثمان بن جني "ت : ٣٩٢هـ" واحمد بن فارس "ت : ٣٩٥هـ" ، والشريف الرضي "ت : ٤٠٦هـ" والثعالبي "ت : ٤٢٩" وعبد القاهر الجرجاني "ت : ٤٧١هـ أو ٤٧٤ هـ"[١٦] .

وكمثال على الدلالة عند العرب والمسلمين ما جاء عن الثعالبي "السلم الدلالي" اول الحب الهوى ثم العلاقة : وهي الحب اللازم للقلب ، ثم الكلف : وهو شدة الحب ثم العشق : وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب ، ثم الشغف : وهو احراق القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج : فان تلك حرقة الهوى ، وهذا هو الهوى المحرق ، ثم

---

[١٥] ابو يعقوب يوسف السكاكي ، مفتاح العلوم (د . ت) ، (د .م) نقلا عن : مجيد الماشطة ، نفسه ، ص : ٦٧ ، ومابعدها .

[١٦] محمد حسين علي الصغير ، تطور البحث الدلالي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص : ٣٤ . وما بعدها .

الشغف . . . ثم الجوى : وهو الهوى الباطن ، ثم التيم : وهو ان يستعبده الحب ، ثم التبل وهو . . . الخ .[١٧]

ب . الاطار النظري لتاريخ علم الدلالة عند الغربيين :

في البدء لابد من الاشارة إلى جهود اليونانيين والهنود في هذا المضمار ، اذ كانت لهما جهود معروفة ، ولاسيما افلاطون في تأويل شعر هوميروس ، وقد ظهرت اوليات هذا العلم "عند الغربيين" منذ اواسط القرن التاسع عشر وكان اهم المسهمين في وضع اسس الدلالة :

١ . **Mazmuller الذي صرح في كتابين له بعنواني :**

the science of language (١٨٦٢) .

The science of thought (١٨٧٧) .

٢ . **Michel Breel اللغوي الفرنسي الذي كتب بحثا بعنوان :**

مقالة في "السيمانتيك" Essai de semanticque (١٨٩٧) . وكان اول من استعمل المصطلح "سيمانتيك" لدراسة المعنى . . . وقد عني المؤلف في هذا البحث بدلالات الألفاظ في اللغات القديمة واعتبر بحثه . . اول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات . . . وفي اوائل القرن الثامن عشر ظهر عمل لغوي ضخم للعالم السويدي Adolf Noreen "١٨٥٤ – ١٩٢٥" بعنوان : لغتنا ، خصص قسما كبيرا منه لدراسة المعنى مستخدما المصطلح Semology وقد كان "نورين" سبّاقا في كثير

---

[١٧] ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، فقه اللغه واسرار العربية ، المطبعة الادبية ، القاهرة ، ١٣١٧هـ ،ص :١٧١ ، نقلا عن : محمد حسين الصغير ، نفسه ، ص٤٢ .

من النتائج التي توصل اليها ، وكانت افكاره اساسا لكثير من النظريات التي طورها اللغويون الاوربيون والامريكيون فيما بعد .

وقد ارتبط علم الدلالة خلال هذا باسماء ، مثل Richards & Ogden ومثل Alfred Korzybski جعلته يسير في خط لا يتطابق تماما مع الخط الفلسفي ، وان لم يحقق انفصالا كاملا – وقد اخرج الاولان عملهما الاساسي في علم المعنى تحت عنوان : the meaning of meaning ، عام "١٩٢٣" . الذي حاولا فيه ان يضعا نظرية للعلامات والرموز . . وقد كانا السبَّاقين في تقديمها إلى التحليل "السيمانتيكي" التمييز بين الوظيفة الاشارية Referential ، والوظيفة العاطفية Emotional للكلمات اما Korzybski ، فقد اهتم بالحالة السلوكية العامة التي من خلالها يتحقق الاتصال .

اما في الولايات المتحدة الامريكية . . . فانه وجد ميل واضح في اعمال بلومفيلد واتباعه ضد المعنى ، فقد راى بلومفيلد ان دراسة المعنى اضعف نقطة في الدراسة اللغوية ، وان من الاوفق ان نحدد مجال علم اللغة بالمادة التي تمكن ملاحظتها وتجربتها وقياسها وعليه يعد السيمانتيك خارج المجال الواقعي لعلم اللغة . . ويرى بلومفيلد : اننا لكي نعطي تعريفا دقيقا للمعنى ، لابد ان نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم[١٨] .

وقد تأثر بلومفيلد في ارائه عن المعنى بنظريات الفعل المنعكس الشرطي ، لدى الاشراطيين – ولاسيما العالم الروسي بافلوف – التي

---

[١٨] أحمد مختار عمر ، نفسه ، ص٢٢ -٢٨ .

اعطت الاولية في فهم المعنى ، من خلال النعلم السلوكي عن طريق الانعكاس الخارجي للمادة على الانسان ، حينئذ تأتي المرحلة الثانية من خلال الاستجابات ، واتضح في ما بعد ان بلومفيلد لم ينكر المعنى مطلقا اذ له الفضل في تأسيس المدرسة السلوكية – الدلالية .

في حين ان الدلالة عند اوجدن "C .K .OGden" و"ريتشارد" L .A . Richards هي عمل متزواج من اتحاد وجهي الدلالة أي : الدال والمدلول ، فوجها العناية بالعلاقة التي تربط مكونات الدلالة التي يجب ان تبدا من الفكرة أو المحتوى الفعلي الذي تستدعيه الكلمة والذي يرمي إلى الشيء .[19]

محاور البحث :

من خلال محاور البحث الآتية سيقوم الباحث بتحقيق مرمى البحث :

أولا : نظرية بافلوف في التعلم السلوكي الشرطي :

أ . تجربة بافلوف "النظرية" .

ب . قوانين نظرية بافلوف في التعلم السلوكي "الشرطي" .

ج . نظرية بافلوف في تعلم اللغة .

د . اثر نظرية بافلوف في تعلم الدلالة .

هـ . اثر رأي بلومفيلد في تعلم الدلالة .

---

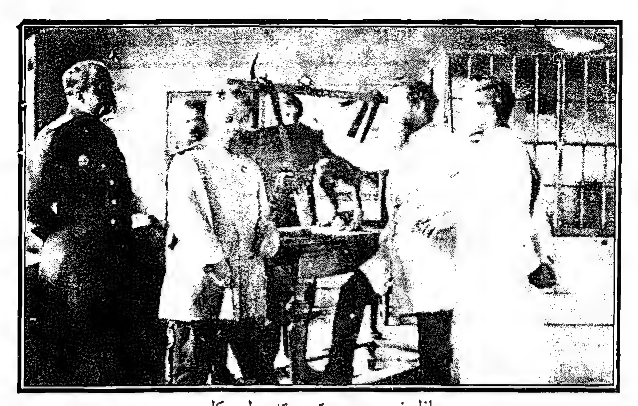
[19] محمد حسين علي الصغير ، نفسه ، ص ١٧ .

ثانيا : نظرية سكنر في التعلم السلوكي الاشراطي الاجرائي" :

أ . تجربة بافلوف "النظرية" :

قام بافلوف باجراء تجاربه على "الكلب" عام ١٩٠٠ ، وقد قام أيضًا بدراسة الهظم عند طائفة من الكلاب المروَّضَة في معمله .

لاحظ بافلوف ان الكلب يسيل لعابه حين يوضع مسحوق الطعام في فمه ، وهذا فعل منعكس طبيعي Reflex ، ثم اخذ يقرع جرسا كهربيا ، يسمعه الكلب قبل ان يضع المسحوق في فمه مباشرة – ببضع ثوان – فلاحظ بعد تكرار هذه التجربة مرات عدة؛ ان مجرد قرع الجرس يكفي لافراز اللعاب ، من دون ان يتبع ذلك بوضع المسحوق في فمه؛ لكن الافراز كان بكمية اقل في هذه الحالة ؛ فاعاد التجربة مستعيضا عن قرع الجرس باضاءة مصباح امام الكلب ، قبل ان يضع المسحوق مباشرة ، فجاءت نتيجة هذه التجربة كنتيجة سابقتها ، فاعاد التجربة وهو يربت على ظهر الكلب أو كتفه قبل وضع المسحوق مباشرة؛ فكان لعاب الكلب يسيل بعد تكرار التجربة مرات عدة .



بافلوف يجري تجربته على كلب

فما الذي يمكن استخلاصه من امثال هذه التجارب ؟

ان صوت الجرس أو اضاءة المصباح أو الربت على جسم الكلب ليست مثيرات طبيعية -- فطرية لافراز لعاب الحيوان ، لكنها اكتسبت هذه الخاصة لارتباطها المباشر بالمثير الطبيعي ، وهو وضع الطعام في فم الحيوان ، وقد اطلق بافلوف على هذه المثيرات البديلة الجديدة اسم "المثيرات الشرطية كما اطلق على الاستجابة للمثير الشرطي اسم "الفعل المنعكس الشرطي" أو المشروط .

اتسع نطاق التجريب في ميدان التعلم الشرطي ، بما اثبت وجود هذا النوع من التعلم لدى الحيوانات الدنيا والاطفال حديثي الولادة والكبار .[٢٠]

---

[٢٠] أحمد عزت راجح ، نفسه ، ص٢٢٦ وما بعدها .

لقد جاءت نظرية بافلوف هذه ، لتصحح مسيرة التعلم السلوكي ، التي كانت ترى ان عملية التعلم لدى الانسان ، انه تعلم اعمى فيه جبرية وتحجر واستعصاء على التعديل والتحوير ، فظهرت لدى بافلوف ما يسمى بالسلوكية الجديدة ، اذ ترى هذه المدرسة :

ان هناك اثرا للادراك والتمييز والمرونة والتكيف للموقف ، لدى الكلب الذي اجرى تجاربه عليه ، وبالمثل فان التعلم السلوكي عند الانسان أو الحيوان فيه تلك الصفات . . فالانسان يستجيب للمثير : ٨× ٧= ٥٦ . من دون حاجة إلى ان يتعلم خبرات الطفولة التي تعلم فيها هذه الاستجابة[٢١] .

والطفل حين يتعلم كلمة اسد – كتاب – صف – دار . : فانه يعرف مدلولاتها مباشرة؛ ان ارتبطت في ذهنه شرطيا من دون حاجة للرجوع إلى خبراته السابقة .

ب . قوانين نظرية بافلوف في التعلم السلوكي الشرطي ، "الملخص" :

استخلص بافلوف قوانين عدة من نظريته هذه في التعلم السلوكي ، وجاء بعده الكثير من السلوكيين وغير السلوكيين ، واثبتوا صحة نظريته – فيما يخص – لا التعلم السلوكي الحركي فقط – بل في التعلم الاجتماعي والتعلم الانفعالي والتعلم العقلي ، ومنها التعلم اللغوي .

---

[٢١] أحمد عزت راجح ، نفسه ، ص٢٣٨ ، ٢٣٩ .

- ومن اهم هذه القوانين -

١ . قانون المرة الواحدة :

لقد كان بافلوف في تجاربه الاولى ، يكرر ربط المثير الشرطي بالمثير الطبيعي مرات عدة ، قد تبلغ المئة أو تزيد ، غير انه اتضح ان الاستجابة الشرطية قد تتكونِ من فعل المثير الشرطي مرة واحدة ، ليس غير ، ويحدث هذا بوجه خاص في الحالات التي يصاحبها انفعال شديد؛ فالطفل الذي لسعته النار أو لدغه زنبور مرة واحدة ، يحجم عن الاقتراب منهما بعد ذلك ، والطفل الذي يفزعه حيوان من خلال مشاهدته في "التلفاز" مثلا سيتعلم اسمه ، أي الدال والمدلول ، وهكذا يتعلم الانسان اسماء الكثير مما يهدده في اليقظة أو في المنام (عن طريق الاحلام) ، وكذلك يتعلم الانسان الاسم والمسمى "الدال والمدلول" اذ يعلق بذهنه من خلال الحدث الأول في حياته كالمدرسة الاولى والحب والمنزل الاولين؛ وقد اصاب ابو تمام بدقة حين وثق ذلك في شعره اذ قال :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	**ما الحب الا للحبيب الأول**
كم منزل في الارض يالفه الفتى	**وحنينه ابدا لاول منزل**

٢ . قانون الانطفاء : Extinction

ويتلخص هذا القانون : ان المثير الشرطي اذا تكرر ظهوره من دون ان يتبعه المثير الطبيعي من آنٍ لآخر ، تضاءلت الاستجابة بالتدريج حتى تزول قاطبة ، فصفارات الإنذار لا تخيفنا إن لم تقترن مباشرة بالقصف الفعلي وكذلك الطفل لا يعرف اسم امه ، من دون ان تحضر إلى جانبه ويسمع صوتها مباشرة ، وباستمرار تتضاءل عنده الاستجابة وهي معرفة الاسم والمسمى والدال والمدلول وكذلك الطالب اذا اكتشف ان المادة

الدراسية فوق مستواه العقلي والزمني ، فان الوسائل التعليمية المشوّقة للمادة لا قيمة لها عنده ، وفي اللغة اندثر في عصرنا استعمال الكثير من الدوال والمدلولات ، في وصف اسماء الأعلام مثل : الحاجب - الباشا - الباب العالي - مؤدب الصبيان ، امير الامراء . . . لاسباب مختلفة : سياسية - اجتماعية - ثقافية - اقتصادية .

قانون التدعيم : Reinforcement :

وهو تقوية الارتباط بين المثير والاستجابة ، ومما يدعم الاستجابة ويثبتها ، ويميل بالفرد إلى تكرارها ، واختيارها من دون غيرها من الاستجابات ، هو ان يصحبها ما يرضي دافعا عند الفرد ، ويكون ذلك بمثابة اثابة للفرد أو مكافأة له ومثل ذلك ، فالطفل ان افلت بكذبه أو غشة مرة من دون عتاب ، شجعه هذا على المضي في الكذب والغش ، والطفل الذي يعاقب من معلمه بكلمة خطأ حين لا يعرف الدال والمدلول لكلمة ، مثلا - لن يعود إلى ذلك ، وبالعكس في حالة الاثابة لاجابته الصحيحة بكلمة "شكرا" سوف يثبت لديه الدال والمدلول .

وفي اللغة قد دعمت الكثير من الدوال والدلولات عبر التاريخ ، في وصف اعلام وتسميتها لاسباب مختلفة :

اجتماعية - اقتصادية - ثقافية - سياسية : كاسماء الانبياء وصفاتهم والصالحين والاولياء والشخصيات العلمية والادبية . . فحينما نقول كلمة الرسل أو الانبياء نزيد عليهم عبارة صلوات الله عليهم أو سلام الله عليهم وهو نوع من التدعيم .

٤ . قانون التمييز : Discrimination

لوحظ ان المجرب عن طريق تدعيم الحيوان "الكلب" بمسحوق اللحم ، يحصل على استجابة طبيعية ، وحين يسمعه صوت الجرس أو غيره ، يحصل على استجابة شرطية ، الا انه لاحظ ان استجابة الحيوان للمثيرات الشرطية تختلف ، فوجد ان الكلب يسيل لعابه بكمية اقل ، حين يسمعه نغمة ترددها "٨١٢" ، في حين تزداد اكثر حين يسمعه نغمة ترددها "٨٢٥" . وكذلك الانسان فان استجابته للكلام المعسول غير استجابته للكلام الصادق ، اذ يميز ذلك من خلال فلتات اللسان الشعورية واللاشعورية .

وفي اللغة يميِّز الانسان ما تثيره العبارة أو الكلمة من مشاعر ساخطة أو راضية كذلك يتجنب الاولى ويستعمل الثانية ، كأن يتعارف الناس على استعمال عبارة "دورة المياه" في موضع عبارة "قضاء الحاجة" ، فان هذا التمييز سيثبت عندهم في الاستعمال ، لما تثيره العبارة الثانية من انفعال يقترن بالسخط ، وهذا موضوع اجتماعي .

اما البحث داخل بنية الكلمة فقد ميَّز العلماء العرب دقائق كثيرة تتعلق بأسرار العربية منها دراسة ابن جني "ت : ٣٩٢هـ" الدلالة الصوتية وهي اختلاف معنى الكلمة لاختلاف حرف في الدال اللغوي ، فالعرب مثلا جعلوا "قضم" للصلب من المأكول و"خضم" ، للرطب منه ، وذلك لقوة حرف القاف ورخاوة حرف الضاد في النطق . . . وقد اوضح ابن جني نظريته هذه في كتابه "الخصائص" "باب في امساس الالفاظ اشباه المعاني " ، كما ميز العلماء العرب والمسلمون الاصوات فجعلوا منها "المهموس والمجهور" ، و"الشديد والرخو" ، . . متتبعين مواقعها بدقة في

جهاز النطق ، عازين ذلك لأسباب تتعلق بفسلجة جهاز النطق ، وقد اوضح ذلك السيرافي عن سيبويه في شرحه "للكتاب" .

وللعلماء العرب فضل لا يخفى في دلالة التقديم والتأخير والحذف والوصل والفصل . . . سواء اكان ذلك عند النحويين ام البلاغيين ام الاصوليين ومما يدل على مقدرتهم في التمييز والدلالة النفسية للمعنى .

٥ . قانون التعميم : Generalization

لوحظ ان الكلاب تستجيب بافراز اللعاب اول الامر للمثيرات جميعا ، التي تشبه المثير الشرطي من بعض الوجوه ، فالكلاب التي تعلَّمت ان تسيل لعابها عند سماع صوت الجرس ، فان لعابها يسيل أيضًا عند سماعها صوتا مشابها في قوته لصوت الجرس .

وكذلك الطفل حينما يبدا بمعرفة الدال والمدلول ، فانه يعمم ، كأن يطلق كلمة تفاحة على كل ما هو دائري مثل اكرة الباب –كرة السلة – البرتقالة . . . كما انه يطلق كلمة "بابا" و"ماما" على غير ما تدل عليهما للشبه بين امه وابيه وغيرهما .

وفي اللغة عمِّمت في العربية كلمات مثل كلمة "الفراتان" على دجلة والفرات وكلمة"القمران" على الشمس والقمر و"الفرقدان" على كوكبين في السماء وُ"الزيدان" على زيد وعمر و"المروتان" على الصفا والمروة و"العربات" على اكثر وسائل النقل و"الجون" اطلقته العرب على الاسود والابيض ، وهو ما يعرف قديما "بالتغليب" .

٦ . **قانون الاستتباع :**

دلت التجارب على الحيوانات ان المثير الشرطي ينتقل اثره إلى مثير اخر يسبقه ، فالضوء الذي يشعره "الكلب" بقدوم الطعام يسيل لعابه مثلما يسيل لعابه عند سماع الجرس في التجربة .

والطفل حين يلوح له بالعصا ، حين يعصي أوامر والديه مثلا ، فانه سيستتبع ظهور صورة العصا في ذهنه ، ومن ثم سوف يتعلم اسمها كدال ومدلول ، كلما قصر في تنفيذ اوامر والديه .[٢٢] .

والطالب الذي يعرف اسماء علماء في الكيمياء تسهل عليه معرفة اسماء علماء في الفيزياء ، أي يسهل عليه معرفة الدال والمدلول ، وهو ما يسمى بانتقال اثر التعلم "في نظريات التعلم" فالدال والمدلول في المادة الدراسية يجب الا يقحم على دماغ الطالب باعطائه موادا غير مترابطة منطقيا في آن واحد ، بل يجب ان يكون الدال والمدلول مترابطين منطقيا .

ج . نظرية بافلوف في تعلم اللغة :

١. يرى بافلوف ان اكتساب اللغة عن طريق المثير الذي يستدعي استجابة طبيعية أو شرطية "الدال – المدلول ، بلغة سوسير" ، من خلال تفاعل الفرد مع البيئة ، عبر اشارات حسية من المحيط البيئي ، ولاسيما المحيط الاجتماعي ، وهذه المثيرات تصل عن طريق النهايات العصبية الحسية الموجودة على سطح الجلد "الحواس بالتعبير المالوف" وتصل إلى المركز الحسي المختص في المنطقة الحسية ، المسماة المنظومة الإشارية الاولى "اللغويّة" .

---

[٢٢] أحمد عزت راجح ، نفسه ، ص٢٣٩ ، بتصرف .

٢. ان المنطقة الحسية هي مجرد ادوات فسلجية أو نوافذ مخصصة للالتقاط والاستقبال ، أو تسلم التنبيهات الحسية ، وفيها يتم تعرفها ، يعني تتم الرؤية أو السمع .

٣. وحينما تطوَّر الانسان بايولوجيا تطورت معه حاستا السمع والبصر باشتراك جهاز النطق الحالي منذ زهاء "٥٠,٠٠٠" واصبح نقل تلك الانطباعات الحسية وتعلم اللغة أو الكلام بوساطة المنظومة الاشارية الثانية "المخية" "اللغوية" .

٤. تقوم المنظومة الإشارية الثانية "اللغوية" ، فسلجيًا على أساس المنظومة الاشارية الاولى "المخية" كما يقوم البناء على الارض ، والمنظومة الاشارية الثانية "اللغوية" لا تتعامل أو تتفاعل بشكل مباشر مع الاشارات الحسية "الدوال" من البيئة المحيطة ، وداخل الجسم عبر الحواس ، بل مع اشارات هذه الاشارات من الكلمات ، التي تعبر عن تلك الانطباعات الحسية مشكلة اتساعا هائلا ، بسبب وجود اساس جديد للنشاط العصبي الاعلى لدى الانسان؛ تجريد اشارات المنظومة الاشارية الاولى من ارتباطاتها الواقعية وتعميمها أيضا ، وهو المبدأ الذي يضمن توجيها لا متناهيا في علاقات الانسان بالبيئة الطبيعية والاجتماعية ، ويؤدي إلى ارقى درجات التكيف ، وهو ما يسمى بالاستجابة الشرطية والطبيعية وان المنظومة الاشارية اساس متين في تكوين الفكر والادراك عبر اللغة ، وكمثال على ذلك فان كلمة "كرسي" التي هي تجريد لكلمة الكرسي" المادي ، وهي تعميم في الوقت نفسه تنطوي على الصفات المشتركة الموجودة بين جميع

انواع الكراسي التي يتعذر حصرها ، معنى هذا ان كلمة "كرسي" وحصان و"رجل" وما اليها تعميم اشتق من ملاحظة مقدار كبير من الكراسي والخيل والرجال[٢٣] .

د . اثر نظرية بافلوف في تطور علم الدلالة :

ان نظرية بافلوف خير من مثل النظرية السلوكية الجديدة في التعلم ، لانها اثبتت ان التعلم الشرطي على "الكلب" فيه مرونة وادراك وتكيف ، وهذا يعني ان ملامح ادراك تطرأ على الكلب حينما يمنع بافلوف مسحوق الطعام عن الكلب ، معنى هذا ان الكلب بدأ يلتفت ان وراء دق الجرس "الرمز" "الدال" سلوك "معنى" ، هو غير الحصول على الطعام ، أي تعددت المدلولات السلوكية (المعاني) "للرمز" "الدال" صوت الجرس ، وبواسطة التعلم الشرطي عند بافلوف تفسّر كيفية اكتساب الانسان التعلم اللغوي ، عن طريق "الدال" "الرمز" اللغوي ومدلوله السلوكي "المعنوي" ، ولاسيما في حالة التدعيم ، وكيف تعددت المدلولات للدال في النواحي المختلفة ، سواء اكان ذلك في النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

لقد اثرت المدرسة السلوكية الجديدة ممثلة ببافلوف في تعلم الانسان لعلم للدلالة ، وتم في ضوئها اكساب الدال اللغوي ومدلوله للكثير من فاقدي السمع والبصر ، فعن طريق اللمس يتعلم هؤلاء معرفة الدال والمدلول ، فيوضع الشيء على ايديهم ثم يكتب اسم الشيء على ايديهم

---

[٢٣] نوري جعفر ، طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف ، ج٢ ، الناشر : مكتبة التحرير ، بغداد ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ ، ص٤٢٤ .

الاخرى ، فيتعلم فاقد السمع والبصر الدوال والمدلولات ، كأن توضع يد احدهم على جدول ماء ثم يكتب اسم الماء على يده الاخرى ، فيتعلم اسمي الدال والمدلول[٢٤] .

ونظرية بافلوف اساس لكل النظريات الشرطية التي جاءت بعدها ، فقد تطورت الدلالة بعد منظريها "بافلوف" ، و"سكنر" خاصة ، فقد وقفت السلوكية من علماء الدلالة العقليين موقفا مناهضا ، واعتبرت السلوك هو "المعنى" وقد اصدر بلومفيلد كتابه "اللغة" عام ١٩٣٣ ، عارض فيه النظريات الدلالية الاخرى كالاشارية والتصورية ، فالنظرية الاشارية تشير الى ان معنى الكلمة اشارتها إلى شيء غير نفسها .

هـ . اثر رأي بلومفيلد في تعلم الدلالة :

ويختزل بلومفيلد نظره في اللغة متبعا خطى "بافلوف" بالاعتماد على طرفي المعادلة :

S – r … sR

اذ يمثل حرف (s) بصيغتيه الصغيرة والكبيرة مثيرا Stimulus ويمثل حرف (R) بصيغتيه اختزالا لكلمة Reaction أو Response ، أي الاستجابة – رد الفعل ، لكن الحروف الكبيرة تعني وقائع عملية خارج اللغة ، في حين تعني الحروف الصغيرة وقائع لغوية؛ وهو يمثل على ذلك بقصته عن "جاك" Jack و"جيل" Jill . (وهذه القصة تطبيق عملي لنظرية بافلوف غير انها تحكي قصة عن الانسان ، في حين كانت عند بافلوف تحكي قصة عن الحيوان "الكلب") .

---

[٢٤] نوري جعفر ، اللغة والفكر ، الرباط ، مكتبة التـــومي ، ١٩٧١ ، ص١٨ -١٩ . بتصرف .

فيفترض ان "جيل" كانت جائعة ، أي عضلات بطنها كانت تتحرك بطريقة معينة ، ثم اثرت الموجات المنعكسة من تفاحة رأتها على عينها؛ وهذا ما يمثل المثير بالحرف الكبير "S" ولو كانت "جيل" وحدها لأتت هي بالتفاحة ، وهذا ما يمثل الاستجابة بالحرف الكبير "R" لكن "جاك" كان معها؛ وهناك تحدث استجابة بديلة هي الكلام الذي تنقل به جيل رغبتها في التفاحة إلى "جاك" ، ويعتبر هذا الكلام مثيرا بديلا "S" فيتسلق "جاك" الشجرة ، ويأتي بالتفاحة وهذه استجابة بديلة "R" لمثير كلامي .[٢٥] .

فالمعنى السلوكي جاء عنده من أحداث مرتبة زمنيا كالاتي :

١. الاحداث العملية السابقة على الحدث الكلامي .
٢. الحدث الكلامي .
٣. الاحداث العملية التي تلي الكلام ، وهذه الاحداث تشكل دلالة معنى المصطلح .[٢٦]

وعلى هذا الاتجاه الذي وصف بالحتمي سار السلوكيون في تفسير الدلالة اللغوية ، فهم يرون :

انه يمكن وصف السلوك على انه نوع من الاستجابات Responses لمثيرات Stimuli تقدمها البيئة أو المحيط Environment والشكل الذي يستعمل عادة – لتمثيل العلاقة بين المثير والاستجابة – هو :

---

[٢٥] عبدة الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث ، النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٣٩ . نقلا عن سعيد الغانمي ، اقنعة النص ، دار الشؤون ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص٢٢ .

[٢٦] فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص١٩

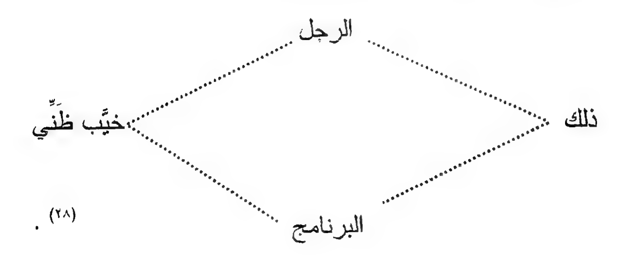
م ← س

م= مثير ، وس = استجابة

والسهم هنا يمثل علاقة عرضية ، المثير : سبب والاستجابة : اثره ، ونموذج السلوك يعد سلسلة من المثيرات – الاستجابات ، هكذا :

(م١ ← س١) ← (م٢ ← س٢) ← (م٣ ← س٣) . . . فالكلمة الاولى للحدث الكلامي تنتج كاستجابة (س١) لبعض المثيرات الداخلية (م١) ، وإنتاج (س١) يخدم كمثير فيصبح (م٢) ، ويكون مثيرا للكلمة الثانية (س٢) . . وهكذا .[٢٧]

وكان محور اهتمام المدرسة السلوكية توزيع الوحدات اللغوية ، تمنحه بطريقة الاستبدال ، وتتمثل هذه الطريقة في استبدال وحدة لغوية باخرى في تعيين القسم الذي تنسب اليه من اقسام الكلام ، وعلى وفق ذلك فان "الرجل" و"البرنامج" ينتسبان إلى الاسم من جهة انهما يستويان ، في انهما يمكن ان يقعا موقعا واحدا ، كما في الشكل الآتي :



.[٢٨]

---

[٢٧] احمد مختار عمر ، نفسه ، ص٦٠ .

[٢٨] نهاد الموسى ، نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث ، بيروت ، ١٩٨٠ . نقلا عن سعيد الغانمي ، نفسه ، ص٢٤ –٢٥ .

وقد ساعدت طريقة الاستبدال على توسيع معنى المدلولات السلوكية ، على الرغم من اتهام المدرسة السلوكية ممثلة "ببلومفيلد" بانها لا تعير اهتماما للمعنى .

ومما يدل على ان بلومفيد لم يكن يهاجم دراسة المعنى "بصورة مطلقة" انه قدم لدراسة المعنى منهجا ونظرية تعرف بالنظرية السلوكية . . فكيف يهاجم المعنى ثم يقدم منهجا لدراسته وتحليله .[٢٩]

وكان بلومفيلد قد لفت الانتباه في مذهبه السلوكي النفسي إلى أهمية الموقف ، عندما حدد معنى الصيغة اللغوية طبقا للموقف الذي يتم فيه نطق المتكلم لهذه الصيغة ، وطبقا للاستجابة التي تستدعي لدى السامع ، في مثاله – فيما سبق – عن "جاك" وزوجته "جيل"[٣٠] .

ويعلل بلومفيذ موقفه هذا من تفسير المعنى على وفق الاحداث السلوكية المترابطة مع الزمن ترابطا متسلسلا نتيجة لاننا :

نستطيع ان نعرف معنى صيغة كلامية معينة بشكل صحيح ، عندما يتعلق هذا المعنى بامر لدينا عنه معرفة علمية ، بامكان تعريف اسماء المعادن مثلا بتعابير كيمياوية أو معدنية ، كأن نقول : ان المعنى الاعتيادي لكلمة "ملح" هو "كلوريد الصوديوم" نستطيع أيضا تعريف معاني النباتات – والحيوانات باللغة الفنية لعلمي النبات والحيوان ، الا اننا نفتقر إلى وسيلة دقيقة لتعريف كلمات مثل : حب – كره ، التي تخص حالات لما تُصنَّفْ بعدُ بشكل علمي ، علما بانها تمثل غالبية الحالات ، ولهذا يرى بلومفيلد :

---

[٢٩] أحمد مختار عمر ، نفسه ، ص٢٧ .

[٣٠] فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص١٦٠ .

ان تحليل المعنى هو نقطة الضعف في دراسة اللغة ، وسيبقى حتما هكذا حتى تتقدم المعرفة البشرية شوطا أبعد بكثير من وضعها الحالي .[٣١]

ولتجاوز هذه الاشكالات ، يُصنِّفُ رسل الكلمات في نوعين : كلمة الشيء ، وكلمة القاموس ؛ اننا نتعلم كلمات الاشياء بالتأشير ، أي بالإشارة إلى الأشياء ، في حين يتوجب تعريف الكلمات القاموسية بموجب كلمات الأشياء .[٣٢]

واذا انتقلنا من معنى الكلمة إلى معنى الجملة ، فلن نكون اسعد حظا ، لأن معنى الجملة لا يرتبط بسهولة بالشيء ، أو بالحدث في العالم ، فجملة "وضعت لمياء ثلاثة توائم ليلة امس "قد تشير إلى حدث وقع فعلا في عالم الخبرة؛ لكننا في الوقت نفسه قد نخطئ ، أو نكذب ، ربما لم تضع لمياء مولودها بعد .[٣٣]

وعودا على بدء ، لابد من ان نشير إلى ان التعلم السلوكي – اللغوي في الدال والمدلول يقع في مستويين من المعنى ، المستوى الأول : علاقة تلاؤمية ، اذا كانت الكلمات تقعان في محور افقي واحد كالعلاقة بين "ينبح" و"الكلب" في جملة "ينبح الكلب" ، لان الكلمتين تقعان في امتداد واحد ، وتنتميان إلى قسمي كلام مختلفين ، وكذلك العلاقة بين "يسافر" و"جوا" في جملة : يسافر الرجل جوا .

---

[٣١] مجيد الماشطة ، نفسه ، ص : ١٥ – ٢٦ .

[٣٢] مجيد الماشطة ، نفسه ، ص : ١٩ .

[٣٣] مجيد الماشطة ، نفسه ، ص : ١٨ – ٢٠ .

والمستوى الثاني : وتكون علاقة كلمة ما باخرى استبدالية ، اذا ترابطت بها عموديا ، أي اذا امكن قواعديا استبدال أي منهما بالكلمة الاخرى ، فعلاقة الكلمة "غني" بكل من الكلمتين "ثري" و"فقير" علاقة استبدالية ، لان الكلمات الثلاث تنتمي إلى قسم كلام واحد ، ولاننا نستطيع قواعديا وضع أي منها بدلا من الاخرى :

	غني
زيد رجل	ثري
	فقير

ومن اهم انواع العلاقة الاستبدالية في التعلم السلوكي اللغوي في الدال والمدلول هي : الترادف والتضاد[٣٤] .

مجالات التعلم السلوكي الشرطي – اللغوي في الدال والمدلول :

يرتبط التعلم السلوكي الشرطي – اللغوي بالنواحي الانفعالية – كما يرى علماء النفس السلكيون ويكون نتيجة ارتباطات من مثيرات واستجابات عند الانسان ، ويرتبط بحالات وجدانية – عاطفية – نفسية – مزاجية – سلوكية ، وهذا الجانب أعني الجانب الانفعالي ، اهم ما يعالجه التعلم السلوكي ، ولاسيما التعلم السلوكي اللغوي .

لذلك يمكن عن طريق التعلم السلوكي الشرطي – اللغوي معرفة المدلولات لكثير من الدوال ، أي العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه ،

---

[٣٤] مجيد الماشطة ، نفسه ، ص : ٢١ -٢٢ .

ولاسيما اذا عرفنا ارتباط التعلم السلوكي - اللغوي بالنواحي الوجدانية - الانفعالية كالعواطف والمشاعر من ناحية المعنى .

ويدخل في هذا النوع من المعنى ما سماه Leech بالمعنى المنعكس ، reflect meaning وهو المعنى الذي يثور في حالات تعدد المعنى الاساسي ، فغالبا ما يترك المعنى الاكثر شيوعا أو الاكثر الفة اثره الايحائي في المعنى الاخر ، ويتضح المعنى الانعكاسي بصورة اكبر في الكلمات ذات المعاني المكروهة أو المحظورة taboo ، مثل الكلمات المرتبطة بالجنس ، وموضع قضاء الحاجة والموت . . لقد اصبح من الصعب في الانكليزية ان تستعمل كلمة Intercourse ، بمعنى "جمَاع" مثلا من دون ان تثير ارتباطاتها الجنسية ، ولم يعد الانكليزي يجرؤ على استعمال الاسم undertaker "حفار القبور" على الرغم من عدم تحرجه من استعمال undertook "تولّي العمل" "تعهّد" لشيوعه في وظيفة دفن الموتى ، ومثل هذا يقال عن كلمات "حانوتي" و"دفّان" و"كنيف" و"حفار القبور" و"لباس" العربية التي هجرت معناه الاقدم للايحاءات التي صار يحملها معناها الاحدث[٣٥] .

كما يؤدي التعلم السلوكي الشرطي دورا في الكشف عن الدال والمدلول - الوجداني - السياق العاطفي emotive meaning والذي يختلف من شخص لاخر ، ودوره ان يحدد درجة القوة والضعف في انفعال المتكلم ؛ مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا ، ومثال ذلك كلمة

---

[٣٥] أحمد مختار عمر ، نفسه ، ص٤٠ .

Love فهي غير كلمة Like مع انهما يشتركان في اصل المعنى ، وكلمة يود غير كلمة يحب[٣٦] .

ثانيا : نظرية سكنر :

أ . تجربة سكنر "النظرية" .

ب . اثر نظرية سكنر في تعلم الدلالة .

أ . تجربة سكنر "النظرية" :

اجرى سكنر عام ١٩٥٩ م تجربته ، عندما كان طالبا بالدراسات العليا ، واستخلص نظريه الاشراط الاجرائي ، "وهو مفهوم متطور عن الاشراط الكلاسيكي عند بافلوف وغيره" ، وتتلخص كالاتي :

اهتم سكنر بالبحث عن مقدار الوقت الذي تاخذه الفئران ، لكي تعود إلى صندوق الابتداء ، بعد ان تكون قد حصلت على المكافأة في الطرف الاخر من ممر مستقيم ، وكان الجهاز الاصلي قد بني على شكل مستقيم ، اذ يوضع الطعام في احد اركانه ، وصندوق الابتداء في الركن المقابل . ولكن لندع سكنر يروي القصة :

كان هناك مع ذلك ، بعض التفاصيل غير المريحة ، كان الفأر غالبا ما ينتظر وقتا مسرفا عن مكان الطعام ، ذلك قبل ان يبدا عدوه التالي عبر الممر الخلفي ، ولم يكن هناك تفسير واضح لذلك ، ومع ذلك فعندما قسمت المدة التي يستغرقها هذا بالساعة التوقيتية ، وخططتها في رسم بياني ، ظهرت كأنها تسفر عن تغير منتظم ، وهذا بالطبع هو الشيء الذي كنت

---

[٣٦] فريد عوض حيدر ، نفسه ، ص١٥٩ .

ابحث عنه ، ولكن لم يكن هناك أي داعٍ اطلاقا ان يكون طول الممر ثمانية اقدام ، ولم اجد سببا يمنع من ان يحصل الفار على التدعيم بنفسه(٣٧) .



سكنر يجري تجربته على فأر داخل صندوق الذي يسمى بصندوق سكنر .

٢ . اثر نظرية سكنر في تعلم الدلالة :

هذه التجربة كانت البداية لدراسة التعلم السلوكي – الاشراطي الاجرائي للانسان والحيوان .

لقد فسر سكنر في ضوء الاشراط الاجرائي المتدرِّج ، تحت التنبيه المؤلم أو الحرمان ، الكثير من العادات الخرافية واللغوية ، كعقائد الحمامة ، كما يسميها سكنر ، فقد اجرى تجارب أخرى على الحيوانات ومنها الحمامة ، واستطاع تحت تأثير الحرمان أو المنبه المؤلم المتدرِّج ،

---

(٣٧) سارنوف أ . مدنيك وآخرون ، نفسه ، ص٦٦ .

ان يجعل الحمامة ترفع راسها تدريجا إلى اقصى ما يمكن ، حدده بواسطة مسطرة ، عن طريق حرمانها من التدعيم بين الفينة والفينة ، وقد تم اجراء التجربة بواسطة صندوق - اطلق عليه صندوق سكنر - نسبة للرجل الذي اخترعه ، وقد استطاع سكنر أيضا ؛ ان يفسر اعتقاد الفلاح ان ينزل المطر بواسطة الرقص ، فقد كان الفلاح يرقص ويرقص ، عندما ينزل المطر ، واستمر ذلك عنده ، ولكنه وجد ان الفلاح قام بالرقص من اجل استنزال المطر ، ولما نزل المطر بالمصادفة ، صارت لديه عادة الرقص قبل سقوطه ، لاجل استنزاله ، اذ اتخذ الرقص عادة له لاستنزال المطر ، والخلاصة :

ان مبدأ الاشراط لا يمكن للرمز "عند سكنر" الا اذا استعمل مفهوما المنبه والاستجابة بمطاطية عالية . . . فصيغة كلمة ثعلب مثلا ، ليست منبها بديلا يرمز

لنوع معين من الحيوان "كما عند بافلوف" بل انها صيغة كلمة توثق ارتباطاتها بالحيوانات المعنية ، بورودها في التفوهات التي تعززت ، وتبقى تعزز برؤية الثعلب ، ان التفوهات بالنسبة إلى سكنر مؤثرات لفظية ، وتشير لفظة "مؤثر" إلى الفاعليات التي "تتعامل مع المحيط" خلافا للفاعليات التي تخص في الأساس النظام الداخلي للكائن العضوي ، انها تقع في صنفين رئيسين ، طبقا إلى كون المنبهات الاصلية التي تتحكم فيها ، لفظية أو غير لفظية ، وتنقسم المنبهات اللفظية إلى :

أ . الطلبيات .

ب . الخبريات .

أ . الطلبيات : Mands

وتشير لفظة الطلبيات إلى المؤثرات اللفظية ؛ التي تعزز بها الاستجابة بنتيجة مميزة ، وبهذا تخضع للضبط الوظيفي للظروف ذات العلاقة بالحرمان ، أو التنبيه المؤلم ، ان تفوهات مثل "ناولني هذا الكتاب" و"اعطني تفاحة" في استعمالاتها العامة تعد طلبيات ، واذا اهملنا مؤقتا الغرض السلوكي لمفهومي الغرض والتصميم ، امكن القول ان الطلبيات تفوهات يجعل المتكلم بها السامع يقوم بعمل ما له .

ب . الخبريات : Tacts

تعرف الخبرية بانها "المؤثر اللفظي الذي تثار بهم استجابة بصيغة معينة أو حدث ما "أو تتقوى في الاقل" بشيء معين أو حدث معين ، أو خاصية معينة لشيء ما أو حدث ما . . . ان ما يهتم به سكنر في مناقشته للخبريات ، هو الطريقة التي ترتبط بها التعابير اللغوية ، بالاشياء والحوادث في الحالات المباشرة ، فهو يقول :

"ان حضور منبه معين يزيد من احتمال صيغة استجابية "خاصة حينما يكون المنبه متدرجا ، فتكون الاستجابة متدرجة أيضا "على الرغم من ان سكنر يحذرنا بصراحة من استعمال مفهوم ضبط المنبه "لوضع تعريفات جديدة لبعض المفاهيم مثل الإشارة ، أو الرمز ، أو الكيانات المرتبطة بالأفكار ، والمعاني والمعلومات . . ان المعرفة الحقيقية تخزن في حلقات من الارتباطات الضملفظية ، ونتعلمها كما نتعلم قصيدة أو صلاة عن ظهر قلب ، اذ يكون البيت الأول ، أو العبارة الأولى منها ترتبط به البيت الثاني كاستجابة ، وهكذا حتى نهاية القصيدة أو الصلاة .[٣٨]

---

(٣٨) مجيد الماشطة ، نفسه ، ص٧٤ – ٨٠ . بتصرف .

لقد أكدت نظرية سكنر في التعلم السلوكي اللغوي – الدلالي أهمية استعمال الدال "الرمز" أو "المنبه المؤلم للحرمان" للحصول على مدلولات – استجابات لغوية متدرِّجة ، وهكذا يتعلم الفرد معاني مختلفة للكلمة أو عبارة أو جملة ليختار المعنى المناسب أو تعدده ، وذلك عن طريق الأوامر والطلبات والتوسلات وحتى الأسئلة واستعمالها بوساطة المنبه المؤلم للحرمان "التدعيم المتدرج" أو "تخفيف التنبيه" .

مثال تطبيقي على تعلم الدلالة في ضوء نظرية سكنر :

ان تفوهات مثل "ناولني هذا الكتاب" المشار اليها – آنفا – يمكن في ضوء نظرية سكنر ، ان يقوم الوالدان في زيادة تحصيل الدوال والمدلولات لدى طفلهما – تحت تأثير التنبيه المؤلم للحرمان – اذ يتدرج الطفل "ما بين سن السنة – السنتين" في تعرف الدلالة اللغوية ، فتكون الاستجابات المتدرجة "المدلولات" انعكاسا للمثيرات المتدرجة "الدوال" كالآتي :

١ . تجاهل الطفل ، كما لو ان الطفل لم ينطق .

– يلقى تنبيها ، كأن يستغرب الوالدان بعبارة : مع الأسف ، حاول ان تعرف معنى "ناولني هذا الكتاب" أو تصاغ التفوهات حسب لهجته .

٢ . رفضًا من الطفل في معرفة المعنى المقصود ، كأن يقول : لا اعرف، أو "حسب صياغته للتفوهات" .

– يلقى تنبيها كأن يشير الوالدان باصبعهما إلى الكتاب الموضوع إلى جانب مجلة على منضدة .

٣ . خطأ الطفل ، اذ يقوم باعطائهما المجلة ، كان يقول لهما : هذا الكتاب أو "حسب صياغته للتفوهات"

- يلقى تنبيها ، كلمة "لا" أو "حسب صياغته للتفوهات" .

٤ . الامتثال ، كأن يقول : نعم ، أو "حسب صياغته للتفوهات" .

- يلقي تدعيما كأن يكون كلمة "شكرا" أو "حسب صياغته للتفوهات" .

اسباب التطور التاريخي للدلالات في ضوء نظرية سكنر :

وفي ضوء التعلم السلوكي اللغوي عند سكنر ، يمكن تفسير تطور الكثير من الدلالات لمنبهات اجتماعية - ثقافية - اقتصادية - سياسية متدرجة عبر التاريخ .

فقد يكون في شكل الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية ؛ نتيجة لتطور العقل الانساني ورقيه ، وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في صورة تدريجية ، ثم قد تنزوي الدلالة المحسوسة وقد تندثر ، وقد تظل مستعملة جنبا إلى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر .

فعبارة "بناء المسرح" تحوّلت إلى "مسرح الهواء" وكلمتا الصحيفة أو "الدورية" تحولت إلى "صحيفة الحياة"[٣٩] .

وكلمة الممرضات تحوّلت إلى ملائكة الرحمة ، ويوصف القائد أو المؤسس لحزب معين أو الاديب المشهور و . . بالاب الروحي ، وهو ما يسمى في علم الدلالة بتوسيع المعنى .

---

[٣٩] احمد مختار عمر ، نفسه ، ص٢٣٨ وما بعدها .

كيف يحدث التجريد وتتخصص الاشارة في ضوء نظرية سكنر :

ان مناقشة سكنر للتجريد والاشارة ، زيادة على تقديمه للمفهوم السلوكي للتعزيز "تحت ظروف الحرمان ، أو التنبيه المؤلم" ، مشابهة تماما للمناقشة الموجودة في بعض المؤلفات مثل كتاب اودغن وريتشارد "١٩٢٣" "معنى المعنى" ان استعمال سكنر للفظة تجريد هو في الواقع استعمال تقليدي : سيكون لكل شيء يعمل منبها مجموعة خواص ، وستكون الاستجابة مبدئيا للشيء ، أو لصنف الاشياء التي تشترك بكل الخواص أو بعضها ، وفي النهاية على كل حال ، فعن طريق تعزيز المجتمع للاستجابة بحضور الاشياء التي تفتقد إلى الخاصية الرئيسة فان الاستجابة تشخص بشكل صحيح وتتجرد الخاصية بشكل صحيح من الاشياء التي تظهرها ، بهذا الاسلوب نتعلم مثلا معاني بعض الكلمات مثل احمر ، مدور ، مسرح الهواء زيادة على التسليم بآلية التعزيز المجتمعي ، فان ما يقال هنا عن التجريد ، مطابق تماما لما قاله فلاسفة كثيرون ، عن الطريق التي تكون فيها ما تسمى بالمفاهيم العمومية .[٤٠]

الاستنتاجات :

١. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – أهمية كبيرة ، والحاجة اليه ماسة ، في اثراء الطلبة في مادة اللغة العربية والتربية الإسلامية وتفسير القرآن الكريم .

---

[٤٠] مجيد الماشطة ، نفسه ، ص٧٨ – ٧٩ بتصرف .

٢. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – اثر واضح في زيادة تحصيل الطلبة ، وتنمية الاتجاهات المرغوب فيها .
٣. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – اثر واضح في تحقيق المرامي – ولاسيما مرامي تعليم اللغة العربية .
٤. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – اصول في التدريس ، وهذا ما اكدته الدراسات والادبيات العديدة .
٥. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – أهمية كبيرة والحاجة اليه ماسة للمتخصصين كالأدباء واللغويين ورجال القانون وغيرهم .
٦. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – اثر واضح في اثراء المتخصصين بالمادة اللغوية وزيادة تحصيلهم فيها .
٧. لعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – اثر واضح في تحقيق مرامي المتخصصين .

التوصيات :

١. ضرورة ادخال مادة علم الدلالة بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – في المناهج الدراسية كافة وحسب المستوى العمري والعقلي .
٢. ضرورة الاهتمام بتدريس علم الدلالة بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي – لما له من اثر فعال في توصيل المادة الدراسية للطلبة .
٣. اصدار ، مطبوعات توزع على مدرسي اللغة العربية مجانا ، تتضمن مادة في علم الدلالة بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي .

٤. ضرورة ان يمارس المشرفون التربويون دورهم ، بتوجيه مدرسي اللغة العربية بالاهتمام بعلم الدلالة ، بانواعه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي .

٥. اقامة الدورات التدريبية في طرائق التدريس وأساليبه وتأكيد طرائق تدريس علم الدلالة واساليبه – ولاسيما علم الدلالة السلوكي .

٦. ضرورة اثارة انتباه الطلبة للعلاقة ما بين علم النفس – ولاسيما علم النفس السلوكي – وعلم الدلالة – ولاسيما عند المنظرين : بافلوف – بلومفيلد – سكنر .

٧. ضرورة توعية المتخصصين بأهمية علم الدلالـــة – ولاسيما علم الدلالة السلوكي ، عن طريق وسائل الاعلام المختلفة .

المصـــادر :

- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، فقه اللغة واسرار العربية ، المطبعة الادبية ، القاهرة ، ١٣١٧هـ
- ابو يعقوب يوسف السكاكي ، مفتاح العلوم (د . ت) ، (د.م) نقلا عن : مجيد الماشطة ، علم الدلالة السلوكي "ترجمة" دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الموسوعة الثقافية ، برقم (٩٧٩) ، ١٩٨٦ .
- أحمد عزت راجح ، اصول علم النفس ، ط :٣ ، الاسكندرية١٩٦٢ .
- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ط :٥ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
- جابر عبد الحميد جابر ، سايكولوجية التعلم ، ط :٢ ، مصر ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٤ .

- دحام الكيال ، دراسات في علم النفس ، ط :١ ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، ١٩٦٦ .
- سارنوف أ . مدنيك وآخرون ، التعلم ، ترجمة : محمد عماد الدين اسماعيل ، مراجعة محمد عثمان نجاتي ، مطابع دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، ١٩٧٣ .
- عبدة الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث ، النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- علي بن محمد بن السيد الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، تحقيق : عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، ١٩٩١ .
- فريد عوض حيدر ، علم الدلالة ، دراسة تطبيقية ونظرية ، ط : ١ ، الناشر : مكتبة الاداب ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
- محمد حسين علي الصغير ، تطور البحث الدلالي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- محمد علي الخولي ، معجم علم اللغة النظرية ، انكليزي - عربي ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٢ .
- محمد علي الفاروقي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ج٢ ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، مراجعة : امين الخولي ، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٦٩ .
- نهاد الموسى ، نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- نوري جعفر ، طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف ، ج٢ ، الناشر : مكتبة التحرير ، بغداد ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ .
- نوري جعفر ، اللغة والفكر ، الرباط ، مكتبة التومي ، ١٩٧١ .

الذاكرة وترسيم دالات الأداء
في ديوان الدليمي

الدكتورة نوافل يونس الحمداني
كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة ديالى

الملخص :

فتقت تجربة (عمر الدليمي) الشعرية محاور مهمة من مكنونات إبداعه المتمخضة عن تلقائية عواطفه المنسجمة مع رؤية ثقافية ، يزاوج فيها بين المخبوء والمعلن ، وبين القصد والمصادفة ، وتبتني على التوافق والتصادم أو المقاطعة مع نمط التلقي ، ولاسيما أنه ولج غمار مغامرته الكتابية بشيء من العفوية في تناول المهمّش والبسيط أحيانا زيادة على الجرأة واقتحام فنارات مسكونة بغير قليل من الوعورة والحظر أحيانا أخر .

إن الشعرية النوعية لا تتبدى بمستواها الظاهر من الدلالات فحسب بل من نسيج العمل الشعري وعلاقاته ، وما يتولد عنه من إيماءات ومدلولات مبتكرة ، وهذا ما دفع بالبحث إلى محاولة الكشف عن دالات الأداء ومرجعياته عند (عمر) ورصد فضاءاته الشعرية المتشظية إلى مفصلين :

الأول : تنحية الحياة الداخلية عن مواقع الضوء ، والانشغال العميق بهموم المجتمع ، فقد استوعب شعره تجربة اجتماعية (ذاتية

موضوعية) وبنظرة متأصلة تمثل علاقة تعاشق المكان / الوطن والمرأة ، إذ حمل الوطن جرحا موسوما في ذاكرته ، وتطلع إلى المرأة شريكة حقيقية في الذات والواقع ، بتنقلات صورية أطرت شعره .

الثاني : فيضه الذاتي / الأنوي سطّره برؤية جمالية متقدة ، وبإحساس منساب وشاعرية متدفقة ، عبرت عن هم فردي أسبغ لون الأنا على فيوضاته الشعرية .

استطاع (الدليمي) بأداء ذي حيوية صياغية وتعبيرية تتفاهم مع فكرة النص وحساسيتها ، أن يفتح ثغرة مغايرة بين الإبداع وتلقيه بانزياحية الأسلوب والدلالة ، أسهمت في تأسيس قوانين تلق جديدة ، وتمكن أن يشق لنفسه موقفا يضفي فيه مساحة جديدة لميدان النوع الشعري الذي يكتب فيه .

المقدمــة :

يقال إن الشعر غواية لا تنتهي ، ننطلق من هذه المقولة في دراستنا لــ " عشاء لملائكة " من مسربين :

الأول : مسرب التلقي – فالغواية هي ما تحدو بنا للغوص في عوالم المجموعة واكتناه أسرار القصيدة فيها وينابيع الشعرية ، ولاشك فــي أن غواية القراءة تبدأ من العنوان ، الذي اختاره الشاعر عتبــة للمجموعــة ، بعدما كان عنوانا لقصيدة فيها ، وإذا كان للعنوان دلالته في متن القصيدة ، فمن المؤكد أن له دلالة أخرى حين يشكل عنوانا للمجموعة ، فالعلاقة بين المكونين اللغويين علاقة تصادم ، فالأول فيزيقي مادي ، والآخر هلامــي

مجرد ، وبذلك أنتج لنا الشاعر انزياحا دلاليا فاعلا يتحرك حـول الـنص وصولا إلى بؤرته القارة في سياقاته ، وألمح في اختياره هـذا العنـوان ، احتفاءه بالمتلقين في أن يجعلهم ملائكة ويقربهم بعجله الحنيذ من الـشعر، ويكمن هدف قراءتنا في فحص الإمكانات الجديدة التي استلهمها الـشاعر من مرجعيات إبداعه ، ورفد بها قصيدة النثر الحديثة .

أما الثاني :– فهو مسرب الإبداع ، .. وما أرى الشعر عنـد عمـر إلا غواية لا تفتر عن الانسياب والتدفق وما يحملنا على ذلـك لا الرؤيـة الشخصية فحسب ، بل ما سطره هامش نـسيانه – فـي المجموعـة[1] ، فتلاوين الحياة عنده ضفيرة ينسق الشعر تناقضاتها ، إذ أنه – الـشعـر – خوف وقلق وجزع فهو يتم ، قداسة وكفر فهو لعنة ، إمرأة وعذاب فهـو حب ، دم فهو وطن ، ملاذ وأخوة فهو طفولة ، دمـع وخـسارات فهـو موت ، من ذلك نخلص إلى أن شعره جسدته آه تشظت دلالاتها واتـسعت إيماءاتها ما بين طفولة جائعة ، ووطن يعاني جرحا ، وامرأة هاربـة ... ولنا أن نتساءل كيف لملم الشاعر هذه التناقضات وشـكل هـذه اللوحـة المتماوجة الألوان ؟ ونحن نجوب في رحاب مجموعته وجدنا شعره تعبيرا إنسانيا يسعى فيه لاستلهام واقعه عبر تخطيط واع أحيانا ، وتأبطه العفوية أحيانا أخر ، في تناول قضايا واقعه الخاص المرتفع به إلى العـام ، لقـد جعل من (بذور الواقع) كما يسميها جاك بريفير ، أوالواقعيـة الـشعرية

---

[1] ينظر عشاء لملائكة ، شعر عمر الدليمي : ٩ – ١١ .

عند آخرين[٢] ، فضاء شعره عبر ما سجلته ذاكرته من تداعيات،وما حفلت به حياته من أوهام وتناقضات حتى إنماز شعره بخصوصية تحقق الانسجام في نصه ، إنه يلتقط اللحظات الشاردة عن الذهن – أحيانا – ويقدمها بصوغ جديد ينبجس عن دالات تجسد طاقة انفجارية مولدة ، تشكل غاية الأداء في لغة النص . لقد استطاع الشاعر أن يزج المتلقي في أجواء تلق جديدة وفاعلة تجعله طرفا مشاركا وحاضرا ، وكأنه شكل جزءً من عذاب التجربة ومحنتها وجماليات تشكلها ، ففي المجموعة قصائد تشتغل بوصفها تجربة معيشة تعمل على إحداث توافق بين تراكمية السيرة الشخصية بكل ماضيها و همومها وطموحاتها – المقتولة – ، وبين صياغاتها الشعرية ونسقها التشكيلي ببلاغة تتشظى دلالات مجازاتها من حيث أن اللغة هي جوهر التجربة الشعرية وآلتها الثقافية[٣] ، فجاءت صوره الشعرية تعبيرا حيا عن القيم واضطراباتها وانعكاساتها في نفسه بلغة تنفتح على مديات الإفصاح بما تستجلبه من تداعيات في انسجام أدائي منصهر مع الدلالة . بمعنى آخر أن مجموعته – إذا أجاز لي الشاعر – يمكن إعادة تسميتها بـ (سيرة اجتلابية لذكريات عمر الشعرية) .

دالات الأداء :

في وقفتنا هذه نحاول الكشف عن ينابيع الإبداع ومرجعيات الخطاب ودالاته في المجموعة ، التي وجدناها تتدفق من :

---

[٢] جماليات الغواية الشعرية ، الدكتور هايل محمد الطالب : ١١

[٣] ينظر ، الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر ... ، الدكتور محمد صابر عبيد : ٨٨ .

١ـ الدالة الأولى :

تجربة الشاعر – سيرته . شكلت تجربة الشاعر وسيرته الشخصية رافدا مهما أسهم في تفجير شعريته التي لونت الأشياء بصبغة خاصة ، يتجلى ذلك في غوصه أغوار ماضيه وجوبه غرف ذاكرته الحفية راسما ملامح محيطه الأسري ، فالقصيدة التي تصدرت المجموعة (لكنه مات) ، تجسيد لطبيعة العلاقة بين والديه ، وتشي بصورة ترمل والدته وموت أنوثتها ، عبر لغة تنزع إلى الغنائية في تشكلها الصيغي الذي يخضل بمجازات تومئ بحساسية عالية أسبغت على النص تلوينات متباينة ، من استعارات ممتدة الفضاءات ، وكنايات عميقة المدقات ، مما يجعله بناء رهيفا متماسكا .

يقول على لسان أمه في وصف سياقات حياتها الماضية :

على ضلعه الأيسر قمر يغير ألوانه دائما

على رأسي ليل

في أصابعي تنور

وعلى خصري عقال أبي

...

يفرش تحتي براعم

يعلمني كيف أكاثر التفاح

وأستنسل المياه[٤]

---

[٤] عشاء لملائكة : ٥ .

يشتغل السرد في النص أعلاه مفعلا الزمن فلحظاته المفتقدة في الحاضر تتراجع إلى الوراء لتحضر على خط السرد بماض تسترجعه ذاكرة الأم باستدعائها واقعا فعليا عاشته ، بعدما انتهت أنوثتها برحيل زوجها ، وتحولت إلى أمومة صعبة ، تتحمل فيها هموم يتم أبنائها ، متسربلة بناموس أبيها وشموخه ، إذ يعزز حضور الأفعال (يفرش ، يعلمني ، أستنسل ، يقود) مستوى رمزيا ينطوي على أبعاد دلالية تشير إلى المعلن والمغيب ، وتقترح فضاء شعريا تنهض عليه قوانين النص الشعري .

لقد شكل الماضي بوصفه خزينا ثقافيا ثريا حاضرا في ذهن الشاعر مولدا خلاقا لصوره المتنوعة ، فضلا على ذلك فإن انكساراته النفسية التي خلفتها خيبات الواقع ، أضرمت فيه نار الشعر ، وغدت باعثا لشعريته ،كما تجسد قدرته على التواصل والتأثير في المتلقي الذي يجد صياغة جديدة لماض استدعته ذاكرة الشاعر الفياضة بالصور لينهل منها موضوعاته فيلبسها مفرداته الخاصة المستقاة من معجمه الذي أضفى عليه تكوينه المعرفي والثقافي ما يكسوها جمالا وشعرية .

ولنا أن نمثل ذلك في قصيدتي (مرايا) و (منفيون) ، اذ يرسم لنا أجواء ظروف تاريخية مرت على المجتمع العراقي إبان الحرب العراقية الإيرانية ، ففي قصيدة (المرايا) ، نجده قد فعّل قصه السردي ليومئ بأن المرايا هي ذاكرته البصرية والمرئية ، التي تحفل بصور لمشاهد حسية وأخرى غير حسية ، شكلت لوحة تشكيلية متراكبة اللقطات ، مشعة الومضات ، تربطها ذاكرة زمكانية – إن صح التعبير – فتداعياته

الذاكراتية ، وإن تنوعت مشاربها فهي ذات معطى مكاني مسكون بهاجس ذاكرته وخياله ، وقد جعل من إحساسه بالألم ووعيه بالموت مغامرة كتابية [٥] ، عبر تنقلات تصويرية من حوادث شخصية آلمته كفقده أخيه إلى معاناة عامة ، يستذكرها معه المتلقي بشيء من الألم واللوعة .

ففي(المرايا) يقول :

شقيقي مضى في المرايا إلى الحرب فانحدر العشب يكظم صيف السواقي لأن الحروب لها موعد في السجايا ومرآتها المقبرة.[٦]

في النص وجع ظاهر مُتح من ذكرى فاعلة لا تموت (رحيل شقيقه) ، تمثلت باندغام البنى الكنائية والاستعارية معا (فانحدر العشب يكظم صيف السواقي) و تساوقها في نسق مجازي نقلها من فضاء لغوي معروف إلى فضاء جديد غير مألوف ، يعتمد التغريب والتكثيف .

وتفيض شاعريته بتوصيفات المنفيين الذين رزحوا تحت سطوة الحرب ، في قصيدة (منفيون) :

الرمل شم تلك الخطى فانكمش باصقا سيوفا وبنادق وعناوين أخرى للموت

المنفيون

الذين كانوا خيل مركبة أيلول ١٩٨٠!

الذين ترفضهم الخيل

---

[٥] قلق الكتابة قلق الوجود ، آينيس فيرليه ، تر : خضير عباس جزاوي ، مجلة الثقافة الأجنبية ، ع ١ ، ٢٠٠٥ ، ٦٦ .

[٦] عشاء لملائكة : ١٥ .

العائدون من نزق اللوعة إلى لهفة الانتظار
علستهم القطارات وحافلات البصرة وأربيل ...
الذين ما أدركوا غير طبل خلفهم وآخر أمامهم
كلما عادوا وزمجرت الجوامع ...
دماؤهم محاليل لغسل قطع السلاح
وحناجرهم أبواق لإيقاظ ساحة العرضات .[٧]

لقد صنعت موهبة الشاعر أفقا لغويا تتماوج فيه الإشارات عبر صوره الإستعارية والكنائية التي انتقل بها عن تقليدية اللغة إلى مجالات إبداعية مبتكرة في سياق جديد يدعم عطاء اللغة ويضاعف من طاقتها التعبيرية ، وبالقدر الذي يخلق في النص جوا جديدا يخرق الأنساق المألوفة ، فإنه يضفي الإنسجام بين عالمين مختلفين (الحس واللاحس) ، إذ إنه باستعارته التشخيصية للرمل يؤنسنه ، ويخلق له إمكانات استثنائية تجعله في حدود المدرك المحس ،وتقوم صورة (الذين كانوا خيل مركبة أيلول) على تشبيه كنائي ، فقد شبه (المنفيون) الذين لا إرادة لهم بالخيل المنصاعة لمن يسوسها ، وكنى عن سلبيتهم وانعداميتهم بـ (المركبة) بوصفها أداة بيد من يقودها ، والحال هذه تقرر مشروعية انتزاعهم من منظومة القيم والمبادئ فـ (ترفضهم الخيل) تحمل مرمّزا مغيبا فيه إيماء نفاذ ، يتحسسه المتلقي في مفارقة لا تحقق تعادلا مع سياق الصورة الأولى لكنها تنسجم ونظام العرف التداولي ، ويمور النص بفضاء كنائي تجسده الصور (علستهم القطارات ... ، ما أدركوا غير طبل خلفهم ... ، دماؤهم

---

[٧] عشاء لملائكة : ١٩ .

محاليل ... ، حناجرهم أبواق ...) ، مما يؤسطرهم ضمن دائرة السلب والرخص ومجانية الموت .

ويرصد الشاعر – في القصيدة نفسها – صور نساء المنفيين ، اللاتي يكتنفهن السأم مما تلقيه الحرب عليهن من تعب وبؤس ، يقول :

ونساؤهم حاسرات الأرواح
أجسادهن مطعمة بالتمر
...
يعرفن أماكن الإصابات
فيغسلن أختام الحرب بلعابهن
يشربن الفحولة على مرأى الدم المنبجس من أصابعهم
يجعن فيأكلن الغضب [8]

يرسم الشاعر أطرا عامة لمشهد يومي في فضاء زماني متعلق بظروف الحرب ، ليفتح للمتلقي أفقا تصوره الدوال الحسية التي نهضت بالنص ببناء فني راق لا يكتفي بالتقليدي من النسق بل يؤلف تشكيلا دراميا يتمظهر فيه أداء النساء عبر استعارات مشبعة بالفقر الروحي ، وكنايات تفصح أكثر مما تكني عن وجع نفسي وقهر ذاتي .

٢ـ الدالة الثانية :

ذات الشاعر / أناه : شكلت بعض قصائد المجموعة مرآة انعكست عليها دواخل الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه في الحب تجاه المرأة ، كما

---

[8] عشاء لملائكة : ١٩ .

إن بعضا منها قد أنار نقاطا / بقعا معتمة في حياته .. ففي الزاوية التي يختلي فيها نائيا عن الآخرين وهمومهم ، نراه يعبر عن أنويته بأحلامه وتشع خيالاته ألقا يصور الحبيبة ، فحرمانا تقطر أصابع قصائده ، وعطشا إلى نشوة الوصال يجري نهر ألفاظه ، وإن تفيده بفكرة اللقاء المثير بالحبيبة ومناجاته لها في تحقيق حلمه بالعودة إليه في أغلب قصائده ، يجعلنا نخمن أنه يحاور امرأة واحدة في أكثر من امرأة ، ويرسم صورا لصورة واحدة وربما ضائعة ، إلا أنها تسكن ذاته وتناغي خياله ، وقد مثلت تعابيره المكتظة بالألوان والإيحاءات جسر الوصول إلى أغوار نفسه وتجلية دواخلها ، وهي تمور بوهج مشاعر الحب وفيوضاته ، من ذلك ما نجده في قوله :

دعينا نربي تفاصيلنا ..
أتركي كلمة فوق صمتي
وأكذب حتما إذا ما تهربت من غيمة في يديك
كي أكو ن لك أحتاج سماء من الدمع
وتفاصيل أخرى
لكنك مدغمة بالغياب
دعينا نكون قريبين .[٩]

تُفتتح القصيدة بتراكيب تنتهك النسق اللغوي بإسنادات جديدة تحرك النص نحو الشعرية ، وتنأى به عن سكون المألوف ؛ فترتسم أحاسيس نفس الشاعر وتمنياته بانزياح تشخيصي (دعينا نربي تفاصيلنا) يضفي

---

[٩] تفاصيل وآلهة ، عشاء لملائكة : ٥٣ .

جمالية مستفزة للتلقي ، كما تؤسس مثيرات نصه على إسناد مبتكر يأخذ فيه خرقه السياق المعتاد شكل التغاير و المفارقة بين الصمت والكلام ، إذ يريد الشاعر أن تصله حبيبته بكلامها و تنقله من صمت الموت من دون الحب إلى نسغ الحياة به ، في (أتركي كلمة فوق صمتي) ، وعلى الرغم من أن ضمير المخاطب في الأفعال (دعينا ، اتركي) يشير إلى حضور المخاطبة / الحبيبة إلا أنها (مدغمة بالغياب) ، فهذا التحول من الجمل الفعلية إلى الجملة الاسمية ، ومن بنية الزمن الذي لم يأت بعد إلى بنية الوقوع المستغرق ، ما يجعل الحضور محكوما بالغياب وقوة هيمنته ، وهذا يؤلف فضاء شعريا يحقق درجة من التنامي والتفاعل الإيحائي للنص وتعميق دواله .

و بأسلوب ساخر نراه يعاني البعد ، ويائس من نسيانها لأن غيابها لا يشغله أي حضور عنده .. ، في :

يا لي من بليد لأني نسيت أنك غائبة

... أشعر أني بحاجة لمليون امرأة[١٠]

وقد تشرب هذا النص رؤية الشاعر نزار قباني للمرأة ، إذ تسربت إليه دلالته عبر تعالق أسلوبي ، وظفه (الدليمي) في عملية صهر وتحويل[١١] ، أضفت على نصه ديمومة حركته نحو إنتاجية جديدة ومتغايرة تحيل على مدلول جديد .

---

[١٠] رسائل SMS لا تصلح إلا لامرأة واحدة ، عشاء لملائكة : ٦١ .

[١١] ينظر بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، الدكتور ناصر علي :١٢٨ .

وتجول في خواطر الشاعر هواجس الخوف و الرحيل ، وينسج من حضور الذاكرة بكل زخمها سرده الشعري ، في :

تمضي...تمضي

طرقات ومصابيح ومطر...

تمضي

...

وأنا قربك أمسك الليل من جنوحه

طرق وذكريات وخوف ..

وأنت تتأرجحين على ضباب من هموم

...

لا يمكنني إلا أن أشم عطرك على أحلامي وأنا أتذوق الموسيقى...

توضأ الرصيف بخطواتك أنا مشيته متلبسا بك

.. يحلم ، كان الرصيف يحلم[١٢]

إنه يفعّل الفكرة وينميها ليبني نصه على تقنية تراكم اللقطات في الصور، بشكل ينزع فيه إلى التحول التشكيلي ، فيرسم لوحة رحيل الحبيبة وهي تمضي متأرجحة بين الحضور والغياب ، تاركة عطرها على ثوب أحلامه وموسيقاه ، يقتفي خطواتها التي رسمتها على رصيف الذاكرة ، وقد توهجت بالقصيدة طاقة شعورية نابعة من إحساس الشاعر العالي وشعريته على نحو رشيق يتواءم وعناصر البناء الشعري فيها ، فقد

---

[١٢] منسجمان جدا .. أنا وحياتي ، عشاء لملائكة :٦٧ .

استوعب حدث رحيلها وهضمه شعريا بلغة تطفو باستعارات تشخيصية تفعل دينامية الصور ، وبإمكانات أسلوبية وفنية لا يشعر المتلقي إزاءها إلا بعذوبة اللغة وهي تستقل عجلة الرمز مؤلفة نسيجا من الدوال الممكنة القابلة للتصوير والتفاعل مع رموزها لإنتاج فضاء سيميائي مدهش .

٣- الدالة الثالثة :

بيئة الشاعر والموروث الثقافي : تعد بيئة الشاعر والتراث ، ولاسيما الشعبي منه بوصفهما مصدرا مهما يستقي منه تشكيله الشعري ، ملمحا مميزا في أسلوبيته مع الحفاظ على الشعور بالواقع بطريقة فيها من الانسيابية ما ينسجم والبناء النصي عنده ، مما أكسب نصوصه نضارة تحمل إدهاشا للمتلقي .

إن احتفاء قصائده بعوالم بيئته يمكن حمله على حب الشاعر المكاني ، وانغرازه في أعماق نفسه وتعشقه لعناصر بيئته المكانية وتمسكه بجذور مدينته ، ولاشك في أن المكانية – في الإبداع – تذهب أبعد مما نعرفه عن ملامح المدينة المألوفة وتاريخها وحاضرها ، أنها تتصل بجوهر العمل الفني ، إذ يمكن عدها الصورة الفنية التي تذكرنا وتبعث فينا ذكريات الطفولة[١٣] ، فضلا عما تثيره من تداعيات أخرى ، يحفزها النص المكاني ، وما توحيه من دلالات فكرية[١٤] ، فالمكان الذي يعنيه الشاعر هنا على الرغم من واقعيته وحضور مقاييسه الموضوعية[١٥] هو المكان

---

[١٣] ينظر ، جماليات المكان ، غاستون باشلار ، تر : غالب هلسا : ٦ .

[١٤] ينظر ، بلاغة المكان ... ، فتحية كحلوش :٢٤٥ .

[١٥] ينظر ، الشعر العربي المعاصر ...، عز الدين إسماعيل : ١٢٩ .

النفسي الذي رسمه في خياله مرفأ لأحزانه وملاذا وحلما تتحقق فيه آماله ، وهو يتوق عيش تجربته فيه ، ويوحي تجذّر ارتباطه بالمكان بحميمية الصلة به حتى بعد الرحيل ، ففي قصيدة وردة حمراء واحدة نجده يتمنى :-

على ضفة (خريسان) أريد قبري

قرب ذلك الرصيف حيث ابتسم شاب لمطر وبساتين خلفنا[١٦].

إذ يأبى الشاعر الانقطاع عن بلدته ، أنها تسكن خلجات ذاته ، حتى حين يموت يريد قبره على ضفة نهره الخالد العاشق له (خريسان) وفي مدينته التي طالما ذرع أرصفتها متمعنا جمالها مبتسما للامطار وهي تضاحك بساتينها ، وترتبط صورته هذه بعلاقة تناصية/حوارية مع صورة السياب ، تبعث على الحيوية والتجديد وبما يخدم فكرة نصه وينضجها ، يقول السياب مخاطبا الوطن :

إن مت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبة.. أقصى مناي[١٧].

شكّل القبر – في النصين – البؤرة المكانية الجاذبة التي أطرت أمنية الشاعرين ، وإذا كانت الصورة عند السياب تنحو للإتساع بـ (قبر في مقابرك) ، فإن (الدليمي) قد حددها بـ (خريسان) ، لتصبح أكثر تقويضا من الصورة السيابية .

وقد تلون شعره بغنائية المكان / قريته – مدينته ، مما أشاع في قصائده أجواء غناء تبعثها ألفاظ البساتين والأشجار والعصافير ، والنهر

---

(١٦) عشاء لملائكة :٥٧ .

(١٧) غريب على الخليج ، المجموعة الكاملة ، بدر شاكر السياب :١٨١.

(خريسان) ، وهذا يجسد حميمية الصلة وصميميتها بين الشاعر وبلدته ، ويصور ارتباط المكان بالطفولة ، وأول خفقة قلب ، حتى ليبدو لي أنه (سيابي) في حبه لبلدته (بعقوبة) ونهرها (خريسان) .

ومن اللافت للنظر أن الشاعر يمازج بين تغنيه بالمكان / الجزئي – بلدته ، أو الكلي – وطنه ، وبين حضور المرأة ، وكأن حبه لها مرتبطا بالمكان ، أو أنها تجسيد للمكان الذي يحب ، فنقرأ في ملامح الحبيبة وطنا لأن المرأة عنده عالم الجمال الذي يضفي تألقا على المكان ، كما أن تواصله معها انتماء وهوية ، وهذا يلفتنا إلى أن الحبيبة عنده قد تكون رمزا للوطن ، فهما وجهان لورقة واحدة ، ويبدو لي تأثر الشاعر بالنص السيابي بشكل لافت ، فرؤيته للمرأة والوطن /المكان بصورة تلاحمية مستمدة من فكرة السياب التي تجلت بوضوح في قصيدته (غريب على الخليج) ، يقول :

أحببت فيك عراق روحي أو أحببتك أنت فيه

... الملتقى بك والعراق على يدي .. هو اللقاء [١٨]

أن ما أضفاه (الدليمي) على المرأة من صفات المكان الجمالية باستعاراته وإيماءاته يحمل المتلقي على أن يجوب خلف اللغة للامساك بدلالاتها المتشظية ، فيحيل تعاشق الشاعر مع بيئته / وطنه على أن الوطن هو الخيط الدلالي الذي يربط كل شيء و يشده إليه ، يقول في قصيدة (بساقين من خشب أرتقي نخلة النار) :

أصابعك الطويلة الأظافر

---

[١٨] المجموعة الكاملة ، السياب : ١٨٢ .

تلك المطلية بالعسل
أصابعك الطويلة ذاتها تحرك صوان " كه لاله " المترسب مصادفة في
دمي لكني أنهار في فزع الجوقة فأنسف القنطرة الوحيدة .

...

وحين ألقيت بساقين من خشب خطوتي
أدركت أن " جسر الشهداء " سيكون حصاني الجديد

...

هناك على قمة جبل " كوره دي " انتشلت حماقتي واصطدت خوفي ... تريزا .. البحر – الجبل ، وأنت ما بين كهوفي تبحثين عن قمر من الثلج أو من دوار ... كان البحر معي على قمة جبل " كرده كو " فاتفقنا على طرد النوارس .[١٩]

إن هذه المزاوجة بين المكان والمرأة ، شكلت آفاقا من الامتداد نوعت انطلاقته الشعرية ، وأضفت على أدائه سلاسة بلغة تجذر بلاغي هيمن عليه التوغل الاستعاري المنساب في البنية الكنائية ، وبهذه اللغة الشعرية تتجسد طوبوغرافيا المكان عبر عدّة مقاطع كل مقطع يرصد جزئية معينة من مكان ما ، وقد تماهت ذات الشاعر فيه من خلال تداخل ضمير الأنا بلقطات مكانية ، كل لقطة فيها مرتبطة بالصورة الكل والتشكيل المكاني العام ، فتضافرت هذه اللقطات لمؤازرة بؤرة النص في التعبير عن جامع واحد هو الوطن .

وقد يلقي حضور الطبيعة بظلال مفرداته على التشكيل الشعري عند " عمر " ، وفي هذا النزوع الغنائي الرومانسي ما يستجلي شعريته ويقدمها

---

[١٩] عشاء لملائكة : ٢٥ .

رقيقة متماسكة البناء ، ولاسيما أنه يطعم صياغاته الشعرية باللغة المحكية أحيانا (نخلات منديل- التخت ، الكاولية ، الشفتاوية) ، وكأنه يجسد لنا في سرده سيرة للمكان احتوت ذكريات أصبحت العودة إليها بفعل الزمن محالة غير أنها حاضرة في خياله ، مما يبرز جماليات بنائه النصي ويحقق تأثيره في المتلقي ، ونرصد ذلك في قصيدة " هو الذي رأى" :

سعدت تخوت الأعمام وعمرت الليالي بالرنين ومسح الشوارب

لكن يا صاح لماذا صرت تقضم ندمك كفأر ؟

أليس المساء دنك المبرقش برقص الكاولية ؟.[٢٠]

فاستعمال الشاعر على نحو واع لتراث مدينته الشعبي حمل إليه حيوية وإحساسا بالواقع ، وأغنى نصوصه بدالات توحي بالحميمية وقوة الترابط بين الشاعر والبيئة ومن ثم مع المتلقي ، وهذه واحدة من مجالات الخبرة الانسانية التي تحقق حضورا على صعيد اللغة وبناء النص .

بقي أن نعرج على الخزين الثقافي للشاعر حين يستقي صوغه ومعانيه من منظومة الدين والتراث الادبي والتاريخي ، وقد تجلى الحضور الديني والتاريخي في سياقات نصوصه بشكل جلي ، وقد تجاوزت إفادته الأسلوب إلى دوال ذات معطى جديد ترفد النص بمعان موحية نقلت دلالات العرف إلى دلالات الفن ، ففي قصيدة " أملاك " نجده يقتبس المعنى الديني والتاريخي بتوظيف فني مبتكر يعمل على تغيير لغة التعبير إلى لغة خلق وعلى وفق رؤيته الخاصة .

يقول :

ذاك النعش الملائكي من مالكه سوى عويلنا ؟

---

[٢٠] عشاء لملائكة :٣٧ .

فلكي لا تتلصص قطط الشغف علينا أكرمي المثوى* الفرعـوني لجثتنـا المهذبة.(٢١)
قفل لبرية روحي وآخر لضياء جسدك المشتبه باخناتونيته .
لأني سأخبئ الأعشاش
سأخبئ العصافير و (من كل زوجـين أثنـين)**(٢٢) ، وفـي قـصيدة (مرايا) (٢٣) ، يقول :
الشبيه لديه سؤال وأنت مضيت مودعة قلق الحروف مقلوبة تنز الضجر،
الله لا إله إلا هو***
..... أحيانا تصبح كاريكتورست ثم تبيض الوجوه **** على الطاولات
وقد تأثر الشاعر بأفكار بعض الأدباء وتناص مع مواقفهم من ذلك استقاؤه شخصيات رواية جورج امادو " تريزا باتستا " في قصيدة (بساقين مـن خشب أرتقي نخلة النار.(٢٤)

---

(٢١) المصدر نفسه : ١٥ -١٦ .

* يتناص مع المعنى القرآني في سورة يوسف : ٢١ ، حين طلب عزيز مـصر مـن زوجه أن تكرم مثوى يوسف عليه السلام

** مقتبس من سورة هود :١١ ،وسورة الرعد :١٣ .

(٢٢) أملاك ،عشاء لملائكة :٣٧.

(٢٣) عشاء لملائكة :١٥-١٦ .

** * مقتبس من آيات الذكر الحكيم ، منها على سـبيل التمثيـل : البقـرة : ٢٥٥ ، آل عمران : ٢ ، التوبة : ١٢٩

**** يتناص مع المعنى القرآني في سورة آل عمران : ١٠٦ ، حين تبيض وجـوه المؤمنين .

(٢٤) عشاء لملائكة :٢٦-٢٨ .

لقد استغل الشاعر هذه التناصات الدينية والأدبية – التاريخية ، كقيم جمالية لتقديم صوره الحافلة بالرموز والمنفتحة على الظلال والإيحاء وإثارة التصورات لدى المتلقي ، بوصفها – الرموز والإشارات الدينية أداة لغوية تحمل وظائف جمالية عندما تسهم في تشكيل تجربة الشاعر على نحو مؤتلف مع مكونات النص الفني[٢٥] وما نعنيه هنا ، لا حشده الأسماء والأشارات الدينية والتاريخية بألفاظ بعينها ، وإنما ما جسدته قدرة توظيف الشاعر لتناصاته المتنوعة والمضمنة في قصائده من قابلية على تحويل هذه الإشارات إلى معان مرتبطة بتجربته الخاصة.

معلوم أن القصيدة النثر الحديثة قد أفادت من السرد في توظيف الشعراء لتقاناته فيها إلا إن مجموعة عشاء لملائكة قد اكتفت من هذا التوظيف الذي يضفي غنى على جماليات الشعر بأسلوب سرد ، يتخذ من السرد الموضوعي الذي يكون فيه الراوي الشعري (الشاعر) متخفيا أداة في صوغ قص المجموعة ، بشعرية كثيفة ترتفع بحساسية الحادثة الشعرية الى مصاف البلاغة في التعبير والتصوير والترميز[٢٦]، على الرغم من أن أجواء المجموعة مهيأة لحضور بعض التقانات الأخرى من مثل الحوار بين الشخصيات والسرد الذاتي ، والاسترجاع او الاستباق .

أخيرا وجدت عمر في مجموعته قصيدة قد كتبت نفسها .

---

[٢٥] جماليات الأسلوب : فايز الداية : ١٧٥ .

[٢٦] ينظر الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر : ١٣٨ .

الخاتمـــة :-

١ - شكل الشعر عند عمر الدليمي آها تشظت دلالاتها إلى تنويعات مـــن الأحلام والهموم والتناقضات والانكسارات .

٢- تمكن البحث من تسليط الضوء على ينـــابيع الـــشعرية ومرجعيـــات الخطاب في المجموعة التي إنشطرت إلى :-

أ- تجربة الشاعر/ سيرته الشخصية أسهمت بشكل لافـــت فـــي تفجيـــر الشعرية لديه.

وقد شكل الماضي بوصفه خزينا تراثيا وثقافيـــا محفـــزا لـــصياغاته الشعرية التي جسدتها صوره المتنوعة .

ب- ذات الشاعر وأنويته تعد رافدا مهما ومولدا خلاقا في إثراء تجربتـــه الشعرية وصوغه الشعري ، حتى كانت بعض قصائده مرآة انعكست عليها دواخله وانفعالاته وأحاسيسه في الحب تجاه المرأة .

ج- بيئة الشاعر والتراث ، تجلى من البحث أن الشاعر يستقي من البيئة والموروث (الشعبي والديني والادبي) صوره الفنيـــة وصـــياغاته الشعرية ، وقد شكلا ملمحا مميزا في أسلوبيته مع حفاظه على درامية الشعور بالواقع بطريقة فيها مـــن الانـــسيابية مـــا ينـــسجم والبنـــاء النصي عنده .

٣- يرتبط المكان بالمرأة - في شعر الدليمي - بصلة وثيقـــة ، إذ يحيـــل أحدهما على الآخر وكأنهما وجهان لورقة واحدة .

٤- كشف البحث عن قدرة توظيف الشاعر لتناصـــاته الدينيـــة والادبيـــة والتاريخية في قابليته على تحويل هذه الإشارات إلى معان مرتبطة بتجربته الخاصة .

المصـــادر :

١- بلاغة المكان ، قراءة في مكانية النص الشعري ، فتحية كحلــوش ، دار الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

٢- بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، الـــدكتور ناصـــر علـــي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠١ .

٣- جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الادب العربي ، فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٠ .

٤- جماليات الغواية الشعرية ، قراءة في التجربة الشعرية للشاعر صقر عليشي ، الدكتور هايل محمد الطالب ، دار الينابيع ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١١ .

٥- جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤســسة الجامعية للنشر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٢ .

٦- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنويـــة ، دار الفكر العربي – مصر ، ١٩٧٩ .

٧- عشاء لملائكة ، نصوص شعرية ، عمر الدليمي ، كتابات عراقيـــة ، شركة كوزللو التركية ، ط ١ ، ٢٠١١ .

٨- الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر ، الكتابة بالجسد وصراع العلامات ، قراءة في الانموذج العراقي ، أ.د محمد صابر عبيد ، سلسلة نقد ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠ .

٩- قلق الكتابة قلق الوجود ، آنييس فيرليه ، تر: خضير عباس ماذي ، مجلة الثقافة الأجنبية ، عن دار الشؤون الثقافية - بغداد ، ع١ ،٢٠٠٥ .

١٠- المجموعة الشعرية الكاملة ، بدر شاكر السياب ، دار مية ، سوريا - دمشق ، ٢٠٠٦ .

صيانة الوثائق في دار
الكتب والوثائق من الآفات

الدكتورة لمياء حسين
معهد الإدارة / الرصافة

إيمان عبد اللطيف عبد الرحمن
معهد الإدارة / الرصافة

الملخـــص :

نظرا لأهمية الوثائق في إعداد البحوث العلمية كان هدف البحث التعرف على الآفات التي تصيب الوثائق والتي لها اثأر سلبية عند استخدامها من المستفيدين . كما عمدت الدراسة إلى التعرف على التقنيات الحديثة لرقمنة الوثائق لتحويلها إلى الشكل الالكتروني لما يحققه هذا الانجاز من سهولة استرجاع الوثيقة المطلوبة من قبل المستفيدين وسرعتها .

استخدمت دراسة حالة الوثائق المخزونة في دار الكتب والوثائق . . . وتوصل البحث إلى جملة من النتائج كان من أهمها :-

١ . قلة الإمكانيات المادية لتطوير إعمال الصيانة في دار الكتب والوثائق الوطنية .

٢ . الإمراض الجلدية التي تصيب الباحثين بصورة مستمرة نظرا لاستخدام المواد الكيمياوية ذات التأثير الفعال .

٣ . استخدام الطرائق اليدوية في خزن الوثائق من قبل المستفيدين واسترجاعها .

كما خلص البحث إلى توصيات عدة من أهمها :-

١ . توفير الدعم الكامل لإعمال صيانة وترميم الوثائق وشراء المواد والأجهزة التي تحتاجها عملية الصيانة .

٢ . ضرورة مواكبة التطورات التقنية في مجال خزن الوثائق واسترجاعها الكترونيا وذلك باستخدام إحدى الأنظمة الالكترونية المناسبة والعمل على تدريب الموظفين .

المبحث الأول :- الإطار العام للبحث

١ – ١ المقدمة :-

تعبر الوثائق من بين الأوعية المكتبية التي ستشملها عملية الرقمنة ، نظرا لقيمتها العلمية والتاريخية ، سيساعد ذلك على إتاحتها وجعلها في متناول الباحثين والمؤرخين الذين يهتمون بالوثائق ، ويعملون على نشرها ، وذلك إسهاما في نشر التراث المكتوب وجعله في متناول الدارسين .

نظرا لأهمية الوثائق المعاصرة للإحداث ، خاصة وما تضفيه من قيمة علمية هامة على الأبحاث والدراسات ، شهدت طريقة حفظ الوثائق بأشكالها المتعددة نقلة نوعية ، ولاسيما بعد التطورات الحديثة في مجال تقنية المعلومات . وتعتبر الرقمنة شكلا متطورا من إشكال التوثيق الالكتروني في هذا المجال ، ولاسيما ما يتعلق بـ (الوثائق القديمة) ، حيث تتم عملية الرقمنة بنقل الوثيقة على وسيط الكتروني ، وتتخذ شكلين أساسيين ، الرقمنة بشكل صور ، والرقمنة بشكل نص ، أي يمكن إدخال بعض التعديلات عليها . وسيساعد ذلك على وضع الوثائق المرقمنة على شبكة المعلومات لغرض مساعدة الباحثين للوصول إليها عن بعد بأقل وقت وجهد وبأقل تكلفة .

١ – ٢ مشكلة البحث :-

جاءت مشكلة البحث نتيجة الحاجة الماسة للوثائق والكتب النادرة من قبل الباحثين والدارسين المهتمين بالتراث والأصالة العربية ، والذين هم في تماس مباشر معها ولكون هذه الوثائق والكتب القديمة قد تشكل خطرا بالغا على صحة مجتمع المكتبة لما تحتوي على كثير من الآفات والمجهريات التي لا ترى بالعين المجردة ، مما يحتم على المختصين بشؤون البيئة وإدارات المكتبة التعاون والسعي للحد من خطر تلوث المخطوطات والحفاظ على صحة مجتمع المكتبة .

١ – ٣ فرضيات البحث :-

١ . التعامل مع المخطوطات الملوثة بايولوجيا يؤدي إلى خطر الإصابة بالإمراض الجلدية والحساسية وإمراض الجهاز التنفسي .

٢ . صيانة الوثائق والكتب النادرة باستخدام المبيدات الكيميائية يؤدي إلى تلوث الجو والأضرار بصحة مجتمع المكتبة .

٣ . عدم إتباع التقنيات الحديثة لخزن الوثائق واسترجاعها يؤدي إلى :

- فقدان أو ضياع الوثائق فضلا عن تلوثها نتيجة الاستخدام المتكرر لها من قبل المستفيدين .
- ابتعاد الملاكات والباحثين للتعامل مع الوثائق المخزونة بالشكل الورقي .

١ – ٤ هدف البحث :-

يهدف البحث إلى التعرف على :-

١ . أنواع الآفات البايولوجية التي تصيب الوثائق والكتب القديمة .

٢ . أنواع الإمراض التي تسببها الكتب والكتب القديمة الملوثة بايولوجيا أو المعالجة كيميائيا .

٣ . التعرف على التقنيات الحديثة المستخدمة لرقمنة الوثائق لتحويل الوثائق من الشكل الورقي إلى الشكل الالكتروني .

١ – ٥ أهمية البحث :–

تأتي أهمية البحث من أهمية الوثائق والكتب النادرة وما تمثله بكونها جزءً من تراث الأمة وتاريخها ، وان ما خلقته الحضارة العربية والإسلامية من كتب خطية يعد أعظم ذخيرة فكرية مما خلقته أية حضارة أخرى في العالم . لذلك بدأ اهتمام المختصين في الوصول إلى الطرق الكفيلة بحماية المخطوطات وصيانتها وترميمها والمحافظة عليها لأطول فترة زمنية ممكنة ، فضلا عن استخدام التقنيات الحديثة لخزن الوثائق واسترجاعها بأقل جهد وأسرع وقت تأتي أهمية البحث للفئات الآتية :–

أ . وزارة البيئة باعتبارها الجهة المسؤولة مباشرة عن مكافحة التلوث .

ب . إدارة المكتبات للتعرف على خطر تلوث الوثائق والكتب النادرة للسعي في وضع اللوائح القانونية المعتمدة .

جـ . مجتمع المكتبة من الملاكات العاملة والمستفيدين الذين هم في تماس مباشر مع الكتب النادرة والوثائق لضمان سلامتهم الصحية في تعاملهم معها .

١ – ٦ منهج البحث :–

تم الاعتماد على منهج دراسة الحالة للوثائق المحزونة في دار الكتب والوثائق .

أدوات جمع المعلومات

١ . **الاستبيان** : وزع الاستبيان على (٢٥٠) مستفيدا من المستفيدين من دار الكتب والوثائق ، وقد تم استرجاع (١٩٥) استبيان من مجموع ما تم توزيعه أي بنسبة (٧٨%) من مجموع الاستبيانات الموزعة على المستفيدين .

٢ . **المقابلة** : تم إجراء المقابلة مع الموظفين في قسم صيانة المخطوطات وقسم تقنية المعلومات في مكتبة دار الكتب والوثائق .

٣ . **الملاحظة** :

المبحث الثاني :- الدراسة النظرية

٢ - ١ نشأة الوثائق :-

إن ظهور الوثائق الأرشيفية القديمة مرتبط أشد الارتباط بمعرفة الإنسان للكتابة وأدواتها وموادها . إن الوثائق الأرشيفية كانت في البداية لا تخرج في غالبها عن كونها صكوكا للملكية وضمانات للامتيازات يرجع إليها في كل ما يمس الحقوق القضائية ، فلم تكن بذات قيمة علمية وان كانت ذات نفع عملي يتخذ منها رجال القانون معتمدهم في إحقاق حقوق الملوك .

ففي مصر نجد إن كتب الموتى هي أقدم المدونات البردية حيث وصلت نسخ منها ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة ، التي حكمت مصر فيما بين سنتين ١٥٨٠- ١٣٢٠ق . م .

وفي العراق ظهرت حضارات كثيرة إعتمدت على التدوين أساسا للإبقاء على مظاهرها ، حيث كانت الموطن الأول للكتابة والتدوين ، فقد

اخترع العراقيون القدماء الكتابة الصورية في النصف الثاني من عصر الوركاء نحو ٣٥٠٠ ق . م .

وفي بلاد اليونان وجدت قوانين مكتوبة وعرفت الوثائق بأشكالها المختلفة من معاهدات وسجلات تضم محاضر الجمعية الشعبية وأوراق الدولة وسجلات المواليد وعقود الملكية .

وفي العصر الروماني كانت الوثائق والسجلات تحفظ في القصر الملكي ، وفي قصور النبلاء حتى القرن الخامس قبل الميلاد ولكن بسبب المنازعات والاضطرابات تم نقل هذه الوثائق إلى مبانٍ عامة لأسباب أمنية خوفا عليها[١] .

ولعل أول الوحدات الأرشيفية الرومانية المنظمة ، هو الأرشيف الذي أسسه الزعيم السياسي (فاليريوس بو بليكولا) عام ٥٠٩ . ق . م .

٢ – ٢ أمن الأرشيف الوثائقي :-

إن أوعية الحفظ والأثاث والمعدات الحديثة تساعد الإنسان على سرعة انجاز العمل . كما ان توفير الأمن لكل الوثائق والأوراق وأنواعها وأشكالها يحقق الفائدة الكبرى للأجهزة والهيئات .

يشمل أمن الوثائق عدة مجالات منها :-

أولا : أمن المعلومات السرية .

ثانيا : الأمن الذاتي والأمن الصناعي .

ثالثا : الأمن من إخطار الحريق والحروب .

---

[١] جمال الخولي . مدخل لدراسة الأرشيف . القاهرة : دار الثقافة العلمية ، ٢٠٠٢ . ص٥٥ .

رابعا : الأمن من التقادم الطبيعي وسوء الحفظ .

سنوضح هذه المجالات بشكل مختصر

٢ - ٣ أمن المعلومات السرية :-

تختلف أهمية الوثائق والأوراق بصفة عامة أو المواد الأخرى التي تحمل معلومات يلزم الحفاظ على سريتها في أي جهاز من الأجهزة ، يؤدي اطلاع الأشخاص غير المختصين عليها إلى الإضرار بشخص ما أو بالصالح العام للجهاز أو الدولة بإفشاء أسرار تخص مشروع أوخطه معينة .

والمقصود باختلاف الدرجات من السرية ، إن لكل موضوع من الموضوعات درجته من السرية ، ويحدد ذلك الشخص المسؤول عن العمل على الورقة بعبارة (سري - سري جدا - سري للغاية - محضور الاطلاع عليه)[٢] .

ويجب على الموظف المختص مراعاة الدقة التامة في وضع الكلمة أو العبارة المناسبة لدرجة السرية حتى لا يؤدي ذلك إلى تعطيل واضطراب العمل .

٢ - ٤ الأمن الذاتي والأمن الصناعي :-

يقصد بالأمن الذاتي التصرف النابع من ذات الإنسان الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى إحداث الإضرار البالغة في الأوراق أو مواد الإنتاج الأخرى التي يعمل بها نتيجة عدم التزامه بمراعاة المحظورات منها :-

---

[٢] صباح رحيمه محسن ، الارشيف .- بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠ ، ص٤٠ .

١ . **التدخين** :- يؤدي التدخين أو إلقاء بقايا السجائر المشتعلة في غرف حفظ الوثائق ومخازن الكتب ، إلى حدوث حرائق تؤذي بمقتنيات المكتبة أو الوثائق الهامة .

٢ . **تناول المشروبات** :- إن تناول المشروبات كالشاي والقهوة والمرطبات في الأرشيف يعرض الأوراق إلى إضرار بالغة بالوثائق .

٣ . **تناول الأطعمة** :- يؤدي تناول العاملين للأطعمة في أماكن العمل ولاسيما غرف حفظ الوثائق إلى تكاثر الحشرات والفئران نتيجة إلقاء الفضلات في إدراج المكاتب[٣] .

ويقصد بالأمن الصناعي ما يوفره الإنسان من وسائل للمحافظة على سلامة وسائل الأوراق في الأرشيف بما يضمن سلامة العمل والعاملين على حد سواء مع مراعاة الأمور الآتية :-

أ . إن يكون المكان صحيا .

ب . تزويد دور الوثائق وأقسام الأرشيف والوثائق بأنابيب إطفاء وأجهزة الإنذار المبكر .

جـ . تزويد الأرشيف ببعض الخزائن الحديدية المعدة لمقاومة الحريق لحفظ الوثائق الهامة والسرية منها .

د . تزويد العاملين بقفازات من اللدائن أو المطاط ونظارات لمقاومة الأتربة – لاستخدامها إثناء عمليات التعقيم والتبخير والتنظيف .

---

[٣] احمد محمد الشامي . إدارة المحفوظات ، تنظيمها ورفع كفاءة العاملين فيها ، القاهرة .- دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص٢٥ .

٢ – ٥ الأمن من إخطار الحريق والحروب :-

تحتاج أجهزة الدولة والأجهزة الخاصة إلى الاحتفاظ بالأوراق الناتجة عن نشاط تلك الأجهزة ، من وثائق ومستندات هامة ، وذلك في غرف حفظ خاصة لفترة معينة للرجوع إليها في إثناء أداء العمل ويتطلب ذلك المحافظة عليها من إخطار الحريق الناتج عن الإهمال أو الحروب .

ولكي يتجنب حدوث الحريق وللوقاية من إخطاره – يجب إن تكون المبنى المخصص لحفظ الوثائق معدا ومجهزا لمقاومة الحريق – بأن يكون مزودا بأثاث معدني كامل من الرفوف ودواليب خاصة ، ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة ضد الحريق كمنع التدخين ، والتأكد من سلامة الأسلاك الكهربائية وغيرها .

إما في حالة الحرب فيجب حماية الوثائق والمخطوطات من التلف والضياع بترتيب الوثائق في مجموعات وتسجيلها في قائمة من نسختين لبيان محتويات كل مجموعة ، ووضعها في صناديق معدنية أو من الخشب المبطن بالزنك ، توضع نسخة من القائمة مع مجموعة الوثائق أو المخطوطات وتوضع النسخة الثانية في ملف يحفظ لدى الموظف – وتنقل صناديق إلى مكان مأمون بعيد عن الأماكن المعرضة لإخطار الحريق . وبعد إن يتحقق الأمن والسلام تنقل إلى أماكنها بسهولة ويسر .

٢ – ٦ الأمن من التقادم الطبيعي وسوء الحفظ :-

الحفظ هو عملية ترتيب الوثائق بنوعياتها المتعددة ، وتخزينها بنظام يضمن سلامتها ، ويمكن الوصول إليها بسهولة إذا ما أريد الرجوع إليها . ويعتبر الحفظ الذاكرة الحية للمؤسسات – لذلك يجب الاهتمام بتوفير

الإمكانيات اللازمة للحفظ السليم ، من حيث إيجاد المكان المناسب البعيد عن الرطوبة مع الاهتمام بتجهيز غرف حفظ الوثائق بالأثاث المعدني المناسب ، فالكثير من الوثائق يتأثر نتيجة سوء الحفظ والتعرض للحرارة والرطوبة بدرجات متفاوتة وينتج عن ذلك في معظم الأحوال نمو الفطريات والعفن على الأوراق[٤] .

المبحث الثالث :- الترميم والحفظ والصيانة

٣ - ١ أهمية صيانة المخطوطات والكتب النادرة :-

تتمثل أهمية صيانة المخطوطات والكتب النادرة بالأمور الآتية :-

١ . إن المعالجة والصيانة المختبرية تتيح للكتاب والمخطوطات فرصا أطول للبقاء والدوام .

٢ . تعتبر المخطوطات والكتب النادرة أوعية المعرفة ومصادر المعلومات الرئيسة وصيانتها والمحافظة عليها تعتبر خدمة عظيمة للحضارة العربية والتراث العربي الموروث .

٣ . المحافظة على المخطوطات والكتب النفيسة من التلف والعبث نتيجة الإقبال المتزايد عليها من الباحثين والمؤرخين الأمر الذي لفت الأنظار وحفز المسؤولين بإجراء عملية الصيانة عليها .

٤ . الصيانة مهمة جدا بالنسبة للمخطوطات خاصة لكونها مصنوعة صناعة يدوية من الغلاف والورق والحبر وهذه مواد عضوية يحتاج للصيانة بشكل مستمر .

---

[٤] سلوى علي ميلاد . الأرشيف ماهيته وإدارته . القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص٣٠ .

٥ . تعمل عمليات الصيانة على القضاء على الحشرات والآفات التي تفتك بالمخطوطات والكتب القديمة من خلال عمليات التعفير التي تجري عليها بين الحين والأخر .

٦ . تعكس لنا مدى الاهتمام والحرص على التراث الفكر العربي الحضاري القديم والحديث الذي لا يستهان به .

٧ . التعرف على احدث عمليات الصيانة وإكساب الخبرات في التعرف على نوع الورق والحبر ومواد الكتابة الأخرى وكذلك التعرف على مختلف أنواع الحشرات والفطريات وكيفية مكافحتها[٥] .

٣ – ٢ العوامل المسببة في تلف الوثائق والكتب النادرة القديمة :–

يتوقف الحفظ السليم للوثائق على درجة تجهيز الأماكن بالأثاث المناسب الذي يتميز بدرجة معينة من الصلابة والمتانة لتحمل نقل الوثائق أو السجلات – وتجهيزها أيضا بأوعية الحفظ المناسبة (علب كارتون ، ملفات . . . الخ) .

تعتبر عملية الترميم مسألة هامة للمحافظة على الوثائق ، ولضمان أمن المعلومات .

هنالك عدة عوامل المسببة في تلف الوثائق منها[٦] :–

أولا :– العوامل الطبيعية .

ثانيا :– تلوث الجو والمواد المضافة في عمليات التصنيع .

---

[٥] باهرة عبد الستار احمد القيسي . صيانة الوثائق .– بغداد : هيئة المعاهد الفنيـة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٥ .

[٦] نفس المصدر .

ثالثا :- العضويات البيولوجية .

سنوضح هذه العوامل بشكل مفصل

٣ - ٣ العوامل الطبيعية :-

ومن أهم المشاكل الخاصة بحفظ الوثائق تشمل بإيجاد المباني الملائمة تتوفر فيها الشروط الآتية :-

١ . تجنب الرطوبة .

٢ . تفادي العوامل الجوية .

٣ . تجنب الانهيار .

٤ . الوقاية من الحرائق والفيضانات والزلازل .

لذلك فأن حفظ الوثائق يعتبر مشكلة كبرى للقائمين بأعمال الأرشيف ولاسيما من حيث عدم ملاءمة أماكن الحفظ . فإهمال أوراق الدولة يؤدي إلى تراكم الأتربة عليها سنوات طويلة .

والتقادم الطبيعي للأوراق المختزنة في تلك الأماكن - كثيرا ما يكون سببه احد العوامل الآتية[٧] :-

١. **الضوء** : يجب حماية الأوراق (الوثائق) من الضوء الطبيعي كضوء الشمس المباشر أو الضوء الصناعي ، حيث يؤدي إلى تلف الورق من حيث لونه وقوة تماسكه ، كما يؤدي إلى سرعة فساد مادة حبر الكتابة .

---

[٧] سالم عبود الالوسي ، محمد محجوب . الأرشيف تاريخه واصنافه - بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ ص٣ .

فيجب مراعاة حفظ الوثائق النادرة والوثائق الهامة والتاريخية في مكان مغلق ، يضاء عند الضرورة بمصابيح كهربائية ضعيفة بحيث تسمح بالرؤية فقط – أو تكون النوافذ من نوع مزود بزجاج عازل متين في الجزء العلوي من الحائط – تحجب الضوء الشديد المؤثر على الأوراق .

٢. **الرطوبة** : تعتبر الرطوبة من أهم الإمراض التي تصيب الأوراق ولاسيما في البلاد الأوربية الباردة وتظهر على الوثائق والمخطوطات بشكل بقع مائية ، غالبا ما توجد في الإطراف ، وينشأ هذا المرض من تزايد نسبة الرطوبة في غرف حفظ الوثائق .

ولمقاومة هذا المرض يجب استخدام جهاز تكييف الهواء لضمان وجود درجة رطوبة ثابتة ومناسبة ، بحيث لا يحدث تذبذب لدرجة الرطوبة أو الحرارة من انخفاض أو ارتفاع التي تؤثر على مادة الورق وتضعفها وتجعلها قابلة للفناء وتؤثر أيضا على حبر الطباعة .

٣. **الأتربة والغازات الضارة** : يجب تنقية الهواء الداخل إلى غرف حفظ الوثائق من الأتربة والغازات الضارة مثل ثاني اوكسيد الكبريت ، وذلك عن طريق إمرار الهواء في ماء بارد بمحلول قلوي ، حيث انه ذو اثر فعال في القضاء على ثاني اوكسيد الكبريت وإزالة نسبة كبيرة من الأتربة ويساعد على منع الصدأ عن الأسطح المعدنية التي يمر الهواء عليها .

٤. **الحرارة :** تؤثر درجة الحرارة إذا كانت أعلى من المعدل المطلوب من الورق فيتغير لونه إلى اللون الأصفر- ويصبح هشا قابلا للتكسر- لذلك يجب الاحتفاظ بدرجة حرارة مناسبة داخل غرف الحفظ- مما يطيل عمر الوثائق . ويجب إن تكون درجة الحرارة بين ١٨-٤٤ درجة مئوية ، حيث إن هذه الدرجة تساعد على حفظ الأوراق التي تتأثر بعملية التقادم .

٥. **الطفيليات والحشرات** : يجب صيانة الوثائق من الحشرات الضارة على مختلف أنواعها ، مثل الصراصير والنمل والحشرات الثاقبة والفطريات والبكتريا- فضلا عن القوارض والفئران ، وذلك بطرق الإبادة باستعمال المبيدات الكيماوية التي لا تترك أثر ضارا على الورق .

٣ - ٤ تلوث الجو والمواد المضافة في عمليات التصنيع والتي تؤثر سلبا على المخطوطات منها[٨] :-

أ . غاز ثاني اوكسيد الكبريت (SO_2) .

ب . غاز ثاني اوكسيد الكاربون (CO_2) .

ج . كبريتد الهيدروجين (H_2S) .

د . الأوزون (O_3) .

هـ . غاز الامونيا (NH_3) .

و . رذاذ ماء البحر .

ز . هواء الغابات والحدائق القريبة .

---

[٨] باهرة عبد الستار القيسي . مصدر سابق . ص ٤٢-٤٣ .

ح . الأوكسجين .

ط . الأتربة والمواد المتطايرة في الهواء .

ي . البكتريا .

ك . قمل الكتب .

ل . دودة الورق (العثة) .

م . دودة الكيلوبترا .

ن . القوارض .

٣ – ٥ العضويات البيولوجية :-

وهذه تشمل المجهريات الحيوية والحشرات والقوارض علما ان مكافحة تلك العضويات يتم استخدام المبيدات التي تشكل خطرا على صحة مجتمع المكتبة وهذه تشمل :-

أ . **المجهريات الحيوية** : ذات البقع البنية السوداء التي نلاحظها على المخطوطات هي نتيجة للعضويات المجهرية وهذا يعود إلى زيادة الرطوبة النسبية نتيجة استخدام الإنسان لهذه المصادر .

ب . **الفطريات** : تدعى (العفنيات) وهي الوسط الذي يؤدي دورا مهما في تخريب أكثر المواد الطبيعية وتحليلها وكذلك الصناعية مثل اللدائن .

جـ . **الطحالب** : وهي عضويات مؤذية للورق وتكون على السطح لتستلم أكثر كمية من أشعة الشمس وتنتمي إلى النباتات المجهرية .

د- **الفطريات** : وهي تؤدي دورا في تخريب الورق والبردي وكل مواد المخطوطات الأخرى . ويستدل على وجودها من الرائحة الخاصة بالتربة ولا يمكن السيطرة عليها كيميائيا ولا بالطرق الفيزوكيميائية .

هـ . **البكتريا** : وهي من الإحياء المجهرية وتكون على نوعين بشكل الكروية وبشكل العصا . وتأثيرها يعتمد على درجة الحرارة ومعدلها يعتمد على النوع ويتراوح بين (صفر-٤٥) درجة مئوية وتعيش حتى درجة الصفر المطلقة . وفي الوقت نفسه تكون حساسة لدرجة الحرارة العالية ، وبعض الفطريات تقتل فوق (٤٠) درجة مئوية وبعضها تموت في درجة (٦٠-٧٠) وتسمى بالبكتريا الحارة .

و . **قمل الكتب** : وهي حشرة صغيرة دقيقة تعيش على عجينة الكتب والاصماغ ، ولغرض مكافحة هذا النوع يعتمد على التبخير والمبيدات والاهتمام الدقيق بالتنظيف ولاسيما تنظيف الغبار من الإدراج والرفوف وعلب الخزن ، ووضع مادة النفتالين في أكياس من النسيج القطني الرقيق في زاوية من المحتوى لمنع التساقط .

ز . **دودة الورق (العثة)** : وهي دودة بيضاء غليظة الجسم يبلغ طولها (١) سم سريعة الحركة شرهة في أكل الكتب وتملك فما قويا للقضم والقطع وتبدأ بأكل كعوب الكتب . ولمكافحة هذا النوع يتم الاعتماد على (D .D .T) المذاب في الكلسرين حيث يبخر المخطوط بعد وضعه في صندوق سحكم الغلق .

ح . **دودة الكيلوبترا** : وهي دودة صغيرة يتراوح طولها بين (٢-٥ ملم) ، تؤدي إلى تلف الكتب والورق حيث تضع بيوضها داخل الثقوب التي تحدثها الكتب والوثائق وفي كعوب الكتب ، وتموت هذه الدودة بعد وضع بيضها في أيام قليلة . ولمكافحتها يعتمد على التبخير وبمواد مكافحة القمل نفسها [٩] .

---

[٩] حسام الدين عبد الحميد محمود . المنهج العلمي لعلاج وصيانة المخطوطات والانسان والمنتوجات الأثرية .- القاهرة ، ١٩٨٤ . ص١٥٢-١٥٦ .

ط . **القوارض** : حيوانات مثل (الفئران ، الجرذان ، السنجاب) والفئران أكثر تواجدا في المكتبات من بقية القوارض وتتلف كل شيء من نسيج الورق ، الجلد وكذلك المواد والصمغ وعوازل الأسلاك في الأجهزة الكهربائية .

٣ – ٦ تأثيرات المبيدات والحشرات والآفات بصحة مجتمع المكتبة :-

هنالك آثار سلبية نتيجة التعرض لتأثيرات المبيدات الكيماوية على صحة الإنسان منها :-

١ . **فيما يخص الجهاز الهضمي** : التعرض للتسمم ، والسم هو المادة الكيماوية أو الفيزيائية التي لها القدرة على الحاق الضرر أو الموت في النظام الحيوي .

٢ . **فيما يخص الجهاز العصبي** : تسبب الصداع المستمر للإنسان .

٣ . **فيما يخص الجهاز التنفسي** : تسبب ضيق في التنفس والتهاب الأغشية المخاطية والأنف والحنجرة وحدوث السعال .

٤ . **فيما يخص الجلد** : يسبب التهاب الجلد وجفافه واحتدامه .

٥ . **فيما يخص العين** : تسبب التهاب العين ووجع في القرنية .

٦ . **فيما يخص الملابس** : تشققها بواسطة الحروق أو البقع .

المبحث الرابع :- تقنية المعلومات

٤ – ١ تقنية المعلومات ورقمنة الوثائق :-

٤ – ٢ أهمية وأهداف رقمنة الوثائق :-

إن أهمية عملية الرقمنة لاتتم بجهود فردية ، إنما تتطلب تكاثف الجهود ، وتتمثل أساسا في مسؤولي المكتبات والسلطات العليا ، حيث

يمكن تعريف النظم الآلية بأنها جمع البيانات ومعالجتها وتشغيلها مستخدمة في ذلك الحاسبات بكياناتها الآلي وكيانها البرمجي ، لذا فالنظام الآلي للمعلومات هو النظام الذي يعالج البيانات ويحولها إلى معلومات ويزود بها المستفيدين ، وتستخدم مخرجات هذا النظام وهي معلومات لاتخاذ القرارات ومختلف عمليات التنظيم والتحكم داخل المؤسسة ، وعلية فان النظام الآلي للمعلومات يتكون من الإنسان والحاسوب والبيانات والبرمجيات المستعملة في معالجة هذه المعلومات لتحقيق الهدف الأساسي الذي وضع من أجله داخل المؤسسة . ورقمنة الوثائق بأنها شكل من إشكال التوثيق الالكتروني بحيث تتم عملية الرقمنة بنقل الوثيقة إلى وسيط الكتروني وتتخذ شكلين أساسيين ، الرقمنة بشكل صور والرقمنة بشكل نص بحيث يمكن إدخال بعض التعديلات والتحويلات عليها وذلك بعد معالجة النص بمساعدة برنامج خاص بالتعرف على الحروف (OCR) .

٤ – ٣ أهداف رقمنة الوثائق :-

تكمن أهمية الرقمنة في تحقيق عدة أهداف منها[١٠] :-

١ . إتاحة الدخول إلى المعلومات بصورة واسعة ، ومعمقة بأصولها وفروعها .

٢ . طباعة المعلومات عند الحاجة ، وإصدار صور طبق الأصل .

٣ . الحصول على المعلومات بالصورة والصوت والألوان .

---

[١٠] عبد اللطيف الصوفي . المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية .– قسطنطينية : دار الهدى للطباعة ، ٢٠٠٤ . ص١٦٨ .

٤ . حمّاية الوثائق من التلف والضياع حيث تمكن تقنية الرقمنة من نقل جميع المخطوطات على وسيط الكتروني ، يساعد المستفيد على الاطلاع على الوثيقة دون الحاجة للرجوع إلى الوثيقة الأصلية ألا في حالات خاصة .

٥ . إن وسائل التقنية الحديثة في مجال تقنية المعلومات والتوثيق الالكتروني يسهل كثيرا استخدام نسخة الكترونية من الوثائق بدلا من النسخ الأصلية ، ولاسيما إن طبيعة بعض الوثائق تتطلب في بعض الأحيان التعامل معها بالكثير من الحذر خوفا عليه من التلف .

٦ . تساعد عملية الرقمنة على حفظ وصيانة الوثائق الأصلية وذلك بتخزينها على الأقراص المكتنزة (CD-ROM) وبالتالي تساهم في زيادة دخل المكتبات عن طريق بيع هذه الأقراص التي تحتوي على الوثائق ومن خلال الاشتراك مع قواعد بياناتها .

٤ – ٤ متطلبات رقمنة الوثائق :-

من أهم المتطلبات الأساسية لغرض رقمنة الوثائق تتمثل بالأمور الآتية[١١] :-

١ . **الموارد البشرية** : يعتبر العامل البشري مهما في معادلة رقمنة الأرصدة الوثائقية ولاسيما العاملين المؤهلين في ميدان الرقمنة ،

---

[١١] هالة ، كيلة . الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المخطوطات العربيـــة فـــي مدينة القدس في كتاب الوقائع : المكتبات العربية فـــي مطلـــع الألفيـــة الثالثـــة ، مج١ ، الشارقة ٢٠٠٣ ، ص٤٠٢ .

وكذلك الإمكانيات المادية التي تمتلكها المكتبات لتأهيل أو انتداب لانجاز مشاريع الرقمنة .

٢ . **الموارد المالية** : تختلف تكاليف رقمنة الوثائق باختلاف مشاريع الرقمنة حيث تتطلب أجهزة خاصة لعملية الرقمنة الخاصة بمختلف أنواع الوثائق .

٣ . **التجهيزات** : وتشمل التجهيزات الخاصة بالرقمنة بالأمور الآتية :-

أ . **الماسح الضوئي** : تتمثل مهمة جهاز الماسح الضوئي بالأساس في تحويل صورة موجودة على الورق أو على فيلم شفاف إلى صورة الكترونية بهدف احكامية معالجتها . وتوجد عدة أنواع من الماسحات منها اليدوية والملونة والاسطوانة .

ب . **الحواسيب** : لوضع قاعدة البيانات المرقمنة بعمل بنظام (WINDOWS) .

جـ . **طابعات** : لاستخراج المعلومات اللازمة .

د . **ناسخ الأقراص** : لاسترجاع البيانات المرقمنة .

المبحث الخامس :- الجانب العملي

٥ - ١ نبذةً تاريخية لدار الكتب والوثائق :-

تعود فكرة إنشاء المكتبة الوطنية إلى عام ١٩١٦ حينما تبرع بعض الوجهاء والأدباء والعلماء العراقيين بمكتباتهم لتأسيس مكتبة عامة ، وقد تحققت هذه الفكرة في ١٦/٤/١٩٢٠ ، بافتتاح المكتبة رسميا باسم مكتبة السلام تيمنا بالعاصمة بغداد ، وفي عام ١٩٢٤ تم الحاق المكتبة بوزارة المعارف (وزارة التربية حاليا) ، وأصبحت تدعى المكتبة

الوطنية ، ثم أمر الملك فيصل الأول في عام ١٩٢٩ بأن تضاعف مجموعة كتب نظارة المعارف ومكتبة جمعية الشبان المسيحيين إلى مكتبة السلام لتتوحد بمكتبة رسمية للبلاد .

وفي عام ١٩٦١ صدر قانون المكتبة الوطنية رقم (٥١) الذي قضي بتأسيس مكتبة لحفظ التراث العراقي والعربي تحت اسم (المكتبة الوطنية) ثم صدر القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٤ الذي تم بموجبه الحاق المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والإعلام (الثقافة حاليا) .

وفي عام ١٩٧٢ شيدت بناية حديثة للمكتبة تبلغ مساحتها (١٠,٢٤٠) متر مربع مقابل وزارة الدفاع في منطقة باب المعظم في وسط بغداد استوفت كل مستلزمات الحاضر وتطورات المستقبل . إذ صممت لتستوعب نمو مجموعة المكتبة لمدة عشرين عاما اعتبارا من تاريخ تشيدها . يتكون من ثلاثة طوابق تحتوي على ست قاعات للمطالعة . وتم افتتاح المكتبة في عام ١٩٧٧ وفي مطلع عام ١٩٨٧ تم دمجها مع الأمانة العامة للمركز الوطني للوثائق ليصبح كل من المكتبة والمركز وحدة إدارية مستقلة لكل منها أقسامها الفنية والإدارية الخاصة بها وتحت إدارة عليا تدعى المديرية العامة لدار الكتب والوثائق .

وتضم المكتبة الوطنية أقسام التزويد والإعارة والدوريات والمراجع والفهرسة والتصنيف والإيداع القانوني والتبادل والإهداء والببليوغرافيا والحاسب والمصغرات الفلمية والمواد السمعية والبصرية .

انبثقت فكرة تأسيس دار الوثائق العراقية وتبلورت بعد مجيء الحكم الجمهوري في عام (١٩٥٨) لدى عدد من الأساتذة المؤرخين

والباحثين وتأسيس جامعة بغداد في العالم نفسه . نتيجة لحاجتهم هم وطلبتهم لانجاز البحوث والدراسات التي تبحث في تاريخ العراق القديم والحديث ، إلا إن تحقيق هذه الفكرة لم يتم إلا في ١٩٦٣/٤/١ عند صدور القانون رقم (١٤٢) الذي قضي بتأسيس الأمانة العامة للمركز الوطني لحفظ الوثائق أي بعد مرور خمسة أعوام على التقرير الذي أعده هؤلاء الأساتذة والذي كان معززا بمسودة القانون المذكور[١٢] .

مارس المركز عمله في عام (١٩٦٤) تديره هيئة مستقلة مرتبطة بمجلس الوزراء ليربط بعدها بجامعة بغداد لمدة (٥) سنوات لعدم توفر الاختصاصيين والفنيين لإدارته آنذاك ولتكون هذه الفترة فرصة لإعداد الملاك المؤهل لذلك . ألحق المركز بعد انتهاء المدة بوزارة الثقافة والإعلام (الثقافة حاليا) بموجب القانون رقم (٥٥) لسنة ١٩٦٩ ولا يزال المركز مرتبطا بها .

وفي عام ١٩٨٧ أصدرت وزارة الثقافة والإعلام تعليماتها رقم (١٨) نصت على دمج المركز الوطني للوثائق والمكتبة الوطنية بدائرة واحدة أطلق عليها (دار الكتب والوثائق) مع احتفاظ كل منها بقانونها الخاص .

وبهدف خزن أرشيف الدولة العراقية والمحافظة عليه ، اصدر ديوان رئاسة الجمهورية في ١٩٨٩/٣/٤ كتابه تحت رقم (ق/٨٥٩٨) إلى الوزارات كافة نص على وجوب إيداع الوثائق التي يعود تاريخها إلى ما قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ (أي وثائق ما قبل العهد الجمهوري) إلى دار الكتب

---

[١٢] سالم الآلوسي . التشريعات الوثائقية ، ج١ ، ص ٣١ .

والوثائق باستثناء الكتب التي يجد الوزير المختص او رئيس الدائرة محذورا (سياسيا أو امنيا) من إيداعها[١٣] .

٥ – ٢ قسم صيانة الوثائق :–

إن احدى أقسام دار الكتب والوثائق قسم الصيانة حيث تعود فكرة تأسيس القسم الى سنة ٢٠٠٣ بعد الحرب الأخيرة على العراق وتضرر عدد كبير من الوثائق والسجلات العثمانية بسبب فيضانات الماء الذي أصيب به دار الكتب والوثائق ، فبدأت المباحثات بين الجانب العراقي والجيكي حول إنشاء مختبر خاص بالصيانة واتخذت عدة إجراءات بشأن تنفيذ هذا الإجراء منها إرسال متدربين إلى دولة الجيك في سنة ٢٠٠٤ ولمدة شهرين لغرض التعرف على الأجهزة والتقنيات المستخدمة في صيانة الوثائق وترميمها ، ولغرض الاطلاع على تقنيات احدث سافرت المجموعة نفسها للتدريب في جمهورية ايطاليا لمدة أربعة أشهر .

وفي سنة ٢٠٠٦ وصلت الأجهزة الحديثة الخاصة بالصيانة الى محافظة اربيل وتم التدريب عليها لمدة شهر بأشراف خبراء من الجيك . وبعدها تم نصب الأجهزة في القسم بدار الكتب في ٢٠٠٦ وسعى القسم على تدريب الموظفين الذين لم يتح لهم السفر بالتدريب على الإجراءات الخاصة بإعمال الصيانة والترميم الوثائق . وبدأ العمل فعلا بعمليات الترميم في السجلات العثمانية ولا يزال العمل مستمرا[١٤] .

---

[١٣] تقرير عن تطور دار الكتب والوثائق على مدى الخمس وعشرين سنة الماضية ، بغداد ، ١٩٩٣ .

[١٤] مقابلة مع الست ناهد فاضل رئيسة قسم الصيانة والترميم .

ومن أنواع الأجهزة المستخدمة في عملية الصيانة والترميم المكبس الكهربائي وجهاز التعقيم وجهاز تحضير الماء القاعدي والمجمدة وهي عبارة عن مجمدة خاصة بالوثائق والملفات الرطبة توضع فيها في درجة (٢٠) تحت الصفر لحفظها وبعد إخراجها من المجمدة توضع في جهاز التجفيف الذي يشبه الغسالات الآلية فيقوم هذا الجهاز بسحب التجميد والرطوبة من الوثيقة ويجفف الورق .

إما عمليات الترميم للوثائق فتتم باستخدام إحدى الطرائق الآتية :-

- **ترميم بالورق الياباني** : وهو نوع خاص من الورق مصنوع من نباتات معينة يستخدم لأغراض الترميم لان لونه لا يتأثر بتغيير درجات الحرارة والرطوبة ويحتوي على ألياف يمكنها بسهولة إن تتمازج مع ألياف الورق الأصلية لأن الورق مصنوع من نباتات وليس به مواد كيمياوية فيبقى محافظا على خواصه الكيميائية والفيزيائية ولا يتأثر بالبيئة فلا تتكسر مادة السليلوز المتكون منها فتبقى محافظة على متانتها فتأخذ الورقة التالفة ونرسم شكل التلف على الورق الياباني ثم يقطع باليد ويوضع على الجزء التالف من الورقة الأصلية .
- **ترميم بالكبس الحراري** : وهو يتم باستخدام الورق الياباني الذي تكون إحدى جهاته تحتوي على مادة لاصقة وباستخدام الحرارة ، يلتصق الورق الياباني على الورقة التالفة فترمم .
- **ترميم باستخدام العجينة** : وهي عجينة ورق تحضر بالمختبر باستخدام جهاز خاص لعمل هذه العجينة ، فتأخذ عجينة الورق وتخلط مع الماء وتضرب بالخلاط ثم يضاف إليها صمغ التبلوزة وبعدها توضع العجينة

على الجزء التالف من الورقة فيتم ترميمها . إن عملية صيانة الوثائق والسجلات وترميمها من قبل قسم الصيانة نفسه . إما عملية التعفير ومكافحة الآفات والقوارض فتتم بالتنسيق بين المكتبة الوطنية ودائرة الوقاية الصحية التابعة لوزارة الزراعة .

٥ – ٣ الوثائق الموجودة في دار الكتب والوثائق :-

هنالك عدة وثائق موجودة في دار الكتب والوثائق منها :-

١ . السجلات العثمانية .

٢ . وثائق البلاط الملكي .

٣ . وثائق وزارة الداخلية .

٤ . وثائق الاحتلال البريطاني .

٥ . وثائق الخاصة بالخرائط القديمة .

٥ – ٤ الآفات التي تصيب الوثائق :-

ومن أهم الآفات التي تصيب الوثائق وأبرزها وتعرضها إلى التلف وتعرضها للتشويه بحيث تؤدي في النهاية إلى التشويه وعدم الاستفادة منها هي :-

أ . الأرضة وتعتبر أهم آفة تصيب الكتب النادرة والوثائق حيث تأكل الكتب .

ب . القوارض وأهمها الفئران والحشرات .

جـ . بكتريا العفن .

وان هذه الآفات الموجودة في الوثيقة قد تسبب للمستفيدين أو الموظفين إلى إمراض تتعلق بالجهاز التنفسي أو إمراض خاصة بالجلد

فضلا عن إمراض حساسية العين ، وفي ضوء ذلك لجأت دار الكتب والوثائق للوقاية من الإمراض إلى استخدام الأساليب الوقائية منها :-

أ . يقوم الملاك باستخدام الكمامات .

ب . استخدام الكفوف للمحافظة على الأيدي من الإمراض الجلدية في إثناء استخدامهم الوثيقة .

جـ . استخدام عمليات التعفير وذلك بالتنسيق مع دائرة الرقابة الصحية التابعة لوزارة الزراعة ، حيث أنها تقوم بعدة إجراءات منها :-

١ . وضع مواد سامة وقاتلة للقضاء على الحشرات .

٢ . وضع المعجون اللاصق على المقوى وتوزيعها على إرجاء الدار .

٣ . وضع مواد سامة للقوارض كالفئران داخل غرف القاعات .

٤ . وضع مبيد كالوردين للأرضة ومبيد الكلورفون للحشرات .

٥ . وجود لجنة داخلية تتابع موضوع التعفير عند ظهور حالات طارئة بحيث يقومون بمعالجتها مباشرة من قبلهم .

٦ . المكنسة الكهربائي الخاصة بالكتب لسحب الأتربة والغبار منها .

٧ . التعقيم وهي أول عملية تمر بها الوثيقة حيث توضع داخل جهاز التعقيم ويوضع إناء فيه كحول بنسبة معينة لمدة (٤٨) ساعة وعندما يتبخر الكحول يتغلغل بين أوراق السجلات المتعفنة مما يؤدي إلى توقيف نمو العفن وانتشاره وليس القضاء علية تماما للمحافظة على الوثيقة ، حيث ينتشر العفن بانخفاض درجات الحرارة وارتفاع الرطوبة .

٨ . عمليات ترميم صفحات السجل تتم من خلال عملية تنظيف الجاف بالفرشاة والممحاة والتنظيف المائي باستخدام الماء وبعدها إزالة الحموضية من الورقة بوضعها في حمام قاعدي لمدة ساعة وبعد مرور (٢٤) ساعة على إزالة الحموضة تبدأ عملية الترميم حسب نوع الورق ودرجة الضرر ، ويستخدم الورق الياباني أو الكبس الحراري أو استخدام العجينة لغرض ترميم الوثيقة التالفة .

٥ – ٥ التقنيات الحديثة المستخدمة للمحافظة على الوثائق بدار الكتب والوثائق :-

نظرا للآفات التي تصيب الوثائق من جهة والحاجة إلى استرجاع الوثيقة بأسرع وقت من قبل المستفيدين لجأت الدار إلى استخدام تقنيات حديثة لغرض تحويل عملية حفظ الوثائق من الشكل الورقي إلى الشكل الالكتروني . وذلك بأتباع احدث ما موجود من أجهزة للتصوير في العالم حيث تم زيارة مكتبة الكونكرس الأمريكية في واشطن وتم تدريب فريق العمل على جهاز التصوير المستخدم لتصوير الوثائق والسجلات القديمة والنادرة في المكتبة وتم شراء جهاز مماثل للجهاز المستخدم في مكتبة الكونكرس ليتسنى لدار الكتب والوثائق الاشتراك بالمكتبة الرقمية العالمية ، وفي أواخر سنة ٢٠٠٥ اقترحت منظمة اليونسكو إنشاء موقع على الانترنيت اسمه موقع المكتبة الرقمية العالمية World digital Library. hom لتصوير الموروثات الثقافية والوطنية للدول المشاركة في ذلك الموقع وعند فتح

موقع المكتبة نجد انه مقسم حسب القارات وثم حسب الدول فعند فتح قارة أسيا نجد إن العراق ثاني دولة مشاركة بالمكتبة الرقمية العالمية . وذلك بعد شرائها للجهاز التصوير المتطور (الماسح الضوئي) والتدريب على استخدامه .

فجهاز الماسح الضوئي وهو جهاز تصوير متطور جدا مربوط مع الحاسبة الخاصة للعمل به حيث توضع الوثيقة على الجهاز بشكل مسطح وتمرير عليها كاميرا وفي إثناء عملية تمرير الكاميرا تعرض على شاشة الحاسوب مباشرة بحيث يساعد ذلك فيما إذا كانت هنالك عيوب أو طي في الصفحة فيتم تعديلها مباشرة ووضعها في الشكل الصحيح . وبعد الانتهاء من عملية تصوير الوثائق يدون عليها المعلومات الآتية :-

عنوان الوثيقة/ تاريخ كتابتها/ نوع الوثيقة سياسية اجتماعية . . . الخ/ أسم المؤلف/ الفترة الزمنية للوثيقة .

ومن أهم المزايا التي يتمتع بها جهاز الماسح الضوئي لتصوير الوثائق واسترجاعها يتمثل بالأتي :-

١ . التصوير بدقة عالية .

٢ . يمكن تصوير صفحتين مفتوحتين في آن واحد .

٣ . وضوح الصورة لأنه يحتوي على كاميرا عالية المواصفات بحيث يمكن تكبير الكلمات الموجودة في الوثيقة إلى أقصى حد الذي يحتاجه الباحث أو تصغيرها .

٤ . توفير الوقت والجهد بحيث يمكنه الحصول على الوثيقة التي يحتاج اليها ومشاهدتها وذلك بتحميلها من قبل المستفيد على قرص الليزري.

٥ . إمكانية إجراء تعديلات مباشرة على الوثيقة .

وهنالك عدة أمثلة للوثائق التي صورت من قبل دار الكتب والوثائق وأرسلت للاشتراك بالمكتبة الرقمية العالمية ونشرت عالميا منها :-

١ . مجلة ليلى صدرت عام ١٩٢٣ ، صورت وأرسلت إلى المكتبة على شكل أقراص معنونة تحمل عنوان المجلة .

٢ . جريد التقدم صادرة عام ١٩٢٨ تم تصويرها وإرسالها إلى المكتبة ونشرت عالميا .

٥ – ٦ الأستبيان المتعلق بالمستفيدين :-

خصص هذا القسم لتحليل البيانات المتعلقة بالمستفيدين الذين يستعيرون الوثائق والكتب النادرة التي تقدمها دار الكتب والوثائق من خلال تحليل الاستبيان وعرض نتائجها ومناقشتها .

جدول رقم (١)

فئات المستفيدين من دار الكتب والوثائق

	بـغـداد						المحافظات			
فئات المستفيدين	ذكور	إناث	ذكور		إناث		ذكور		إناث	
	المجموع	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
طلبة الماجستير	٣٣	%١٧	١٥	%٤٦	٩	%٢٧	٩	%٢٧	–	–
طلبة دكتوراه	٨٨	%٤٥	٢٩	%٣٣	٢٨	%٣٢	٢٧	%٣١	٤	%٤
الأساتذة الجامعين	٢٣	%١٢	١٢	%٥٢	٩	%٣٩	٢	%٩	–	–
المتقاعدين	١٨	%٩	١٥	%٨٣	–	–	–	%١٧	–	–
الباحثين	١٧	%٩	١٧	%١٠٠		–	–	–	–	–
الموظفين	١٦	%٨	١٠	%٦٢	٦	%٣٨	–	–	–	–
المجموع	١٩٥	%١٠٠	٩٨	%٥٠	٥٢	%٢٧	٤١	%٢١	٤	%٢

من الجدول أعلاه نلاحظ أعلى نسبة مئوية لحملة طلبة الدكتوراه بنسبة (٤٥%) ، يليهم طلبة الماجستير (١٧%) ثم الأساتذة الجامعيون بنسبة (١٢%) ، والمتقاعدون والباحثون بنسبة (٩%) ويليهم الموظفون (٨%) . ويعزى ذلك إلى طلبة الدكتوراه والماجستير يكونون بأمس الحاجة إلى استخدام الوثائق ومصادر المعلومات الأخرى والمتوفرة بشكل خاص في دار الكتب والوثائق .

جدول رقم (٢)

تخصصات المستفيدين

فئات المستفيدين	تاريخ		مخطوطات		جغرافية		اللغة العربية		
	المجموع	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	المجموع
طلبة الماجستير	٢١	%٦٤	٨	%٢٤	٤	%١٢	–	–	٣٣
طلبة دكتوراة	٣٨	%٤٣	٢٠	%٢٣	٢٠	%٢٣	١٠	%١١	٨٨
الأساتذة الجامعين	١٢	%٥٢	١٠	%٤٤	–	–	١	%٤	٢٣
المتقاعدين	٩	%٥٠	٥	%٢٨	٢	%١١	٢	%١١	١٨
الباحثين	٨	%٤٧	٩	%٥٣	–	–	–	–	١٧
الموظفين	٩	%٥٦	٧	%٤٤	–	–	–	–	١٦
المجموع	٩٧	%٥٠	٥٩	%٣٠	٢٢	%١١	١٧	%٩	١٩٥

من الجدول أعلاه كانت أعلى نسبة لتخصصات المستفيدين للاختصاص التاريخ حيث بلغت النسبة المئوية(٥٠%) ، ويعزى سبب ذلك إلى استخدام الوثائق التي تعود إلى فترات زمنية قديمة والتي لا تتوفر في المكتبات الجامعية الأخرى ، ثم تخصص مخطوطات بنسبة ٣٠% ، ويليها تخصص جغرافية بنسبة (١١%) ، ثم تخصص اللغة العربية بنسبة (٩%) وهذا ما يوضحه جدول رقم (٢) .

جدول رقم (٣)

الصعوبات التي تواجهك للحصول على الوثيقة

فئات المستفيدين	عطل أجهزة الاستنساخ		عدم توفر الورق		عدم وضوح المستنسخ		الافتقار الى النظام الالكتروني		
	المجموع	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	المجموع
طلبة الماجستير	٢١	%٦٤	٨	%٢٤	٤	%١٢	٢١	%٦٤	٣٣
طلبة دكتوراة	٣٨	%٤٣	٢٠	%٢٣	٢٠	%٢٣	٣٨	%٤٣	٨٨
الأساتذة الجامعين	١٢	%٥٢	١٠	%٤٤	١٠	%٤٤	١٢	%٥٢	٢٣
المتقاعدين	٩	%٥٠	٥	%٢٨	٢	%١١	٩	%٥٠	١٨
الباحثين	٨	%٤٧	٩	%٥٣	٨	%٤٧	٩	%٥٣	١٧
الموظفين	٩	%٥٦	٧	%٤٤	٧	%٤٤	٩	%٥٦	١٦
المجموع	٩٧	%٥٠	٥٩	%٣٠	٢٢	%١١	١٧	%٩	١٩٥

وفي سؤال عن أهم المشكلات التي تواجه الباحثين لغرض الحصول على الوثيقة التي يحتاجون اليها في بحوثهم العلمية . تم تحديد عدد من المشاكل وتم السماح بالإجابة عن أكثر من خيار واحد وهذا ما سيوضحه جدول رقم (٤) .

إذ أشار الباحثون إلى إن المشاكل الرئيسية التي يعانون منها في إثناء استعارة الوثيقة واستخدامها عطل أجهزة الاستنساخ في المكتبة ولاسيما وان الباحث محدد باستنساخ (١٠) صفحات فقط في اليوم الواحد ، لذا سجلت أعلى نسبة فكانت (٦٤%) ، وأوضح الباحثون على إن استخدام الطرائق اليدوية في عملية استرجاع الوثيقة وما تتطلبه هذه العملية من وقت للبحث واسترجاع الوثيقة من المخازن الخاصة ، فضلا عن الجهود المبذولة لغرض حفظها من قبل الموظف لعدم إتباع النظم الالكترونية في عملية الحفظ . إذ بلغت للإجابة عن هذا السؤال نسبة (٦٤%) .

جدول رقم (٤)

هل يتطلب بحثك استخدام الوثائق القديمة

فئات المستفيدين	نعم		لا		المجموع
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
طلبة الماجستير	١٢	٣٦%	٢١	٦٤%	٣٣
طلبة دكتوراة	٤٢	٤٨%	٤٦	٥٢%	٨٨
الأساتذة الجامعيون	٧	٣٠%	١٦	٧٠%	٢٣
المتقاعدون	٥	٢٨%	١٣	٧٢%	١٨
الباحثون	٤	٢٤%	١٣	٧٦%	١٧
الموظفون	٤	٢٥%	١٢	٧٥%	١٦
المجموع	٧٤	٣٨%	١٢١	٦٢%	١٩٥

كانت نسبة استخدام الوثائق القديمة جدا لطلبة الدكتوراه بنسبة (٤٨%) ، حيث تتطلب طبيعة إعداد الأطروحة إلى استخدام الوثائق والكتب النادرة التي تعود الى فترات سابقة لغرض تعزيز بحثهم العلمي .

ومن أعلاه يتضح إن نسبة من المستفيدين الذين لا يستخدمون مكتبة دار الوثائق يعود السبب الأساسي بعدم السماح لهم بالاستعارة الخارجية للوثائق التي يحتاجون إليها ، ولاسيما لدى الأساتذة الجامعيين والباحثين والموظفين لغرض كتابة البحث العلمي والذين يعانون من ضيق الوقت لديهم بسبب ارتباطهم الوظيفي .

جدول رقم (٥)

من خلال استخدامك المستمر للوثائق هل شعرت بحساسية ما

فئات المستفيدين	الجلد		الجهاز التنفسي		حساسية العين		المجموع
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
طلبة الماجستير	٢٠	٢٣%	١٣	٣٩%	١١	٣٣%	٣٣
طلبة دكتوراة	٩	٢٨%	٥٠	٥٧%	١٨	٢٠%	٨٨
الأساتذة الجامعيون	٦	٢٦%	٧	٣٠%	١٠	٤٤%	٢٣
المتقاعدون	٤	٢٣%	٨	٤٤%	٨	٤٤%	١٨
الباحثون	٥	٢٩%	٧	٤١%	٥	٣٠	١٧
الموظفون	٣	١٨%	٧	٤٤%	٦	٣٨%	١٦
المجموع	٩٠	٤٦%	٥٦	٢٩%	٤٩	٢٥%	١٩٥

تباينت أراء المستفيدين حول الإضرار الناتجة عن استخدام الوثائق القديمة ، فكانت أعلى نسبة لإمراض الجلد بنسبة (٤٦%) ، واقلها إمراض العين بنسبة (٢٥%) . وهذا قد يعود إلى استخدام المواد الكيماوية لصيانة الوثائق أو التعفن الذي يصيب الوثائق والكتب القديمة .

جدول رقم (٦)

من هو برأيك الذي تقع عليه مسؤولية صيانة الوثائق

فئات المستفيدين	وزارة الزراعة		إدارة المكتبة		وزارة الصحة		المجموع
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
طلبة الماجستير	٨	%٢٤	٥	%١٥	٢٠	%٦١	٣٣
طلبة دكتوراة	١٢	%١٤	٨	%٩	٦٨	%٧٧	٨٨
الأساتذة الجامعيون	١٨	%٧٨	-	-	٥	%٢٢	٢٣
المتقاعدون	١٠	%٥٦	٨	%٤٤	-	-	١٨
الباحثون	١٣	%٧٦	٢	%١٢	٢	%١٢	١٧
الموظفون	١٠	%٦٢	٣	%١٩	٣	%١٩	١٦
المجموع	١٣٩	%٧١	٣٨	%١٩	١٨	%١٠	١٩٥

إن مسؤولية صيانة الوثائق للمحافظة عليها من التلف حسب وجهة نظر المستفيدين تقع على عاتق دائرة الوقاية الصحية التابعة لوزارة الزراعة وذلك بالتنسيق مع إدارة المكتبة بإجراء عمليات الصيانة بصفة دورية منظمة للحشرات والقوارض . حيث بلغت النسبة المئوية (٧١ %) .

جدول رقم (٧)

هل تفضل استخدام النظام الالكتروني في عملية خزن الوثائق

فئات المستفيدون	نعم	النسبة	نعم	النسبة	المجموع
طلبة الماجستير	٨٠	%٩١	٨	%٩	٨٨
طلبة دكتوراة	٣٠	%٩١	٣	%٩	٣٣
الأساتذة الجامعيون	٢٠	%٨٧	٣	%١٣	٢٣
المتقاعدون	١٦	%٨٩	٢	%١١	١٨
الباحثون	١٥	%٨٨	٢	%١٢	١٧
الموظفون	١٣	%٨١	٣	%١٩	١٦
المجموع	١٦٧	%٨٦	٢٨	%١٤	١٩٥

يمكن ملاحظة معطيات الجدول رقم (٨) التي تشير إلى ضرورة استخدام النظام الالكتروني في عملية خزن الوثائق واسترجاعها ، وذلك سيساعد على تقليل الجهد والوقت فضلا عن السرعة في الوصول إلى الوثيقة التي يحتاج اليها الباحث . وأكد الباحثون إن وجود النظام الالكتروني سيساعد في المحافظة على النسخ الأصلية للوثيقة من التلف أو الفقدان بسبب الاستخدام المتكرر ، فلا يرجع إليها إلا في حالة الضرورة فقط . فكانت أعلى نسبة لطلبة الدكتوراه والماجستير بنسبة (٩١ %) .

الاستنتاجات والتوصيات :-

أولا :- الاستنتاجات :-

١ . قلة الإمكانيات المادية لتطوير أعمال الصيانة في دار الكتب والوثائق الوطنية .

٢ . نقص في بعض الأجهزة والمعدات والمواد المستخدمة في الصيانة والترميم ومنها أجهزة الترميم الحراري وكذلك مجموعة من المواد والإصباغ ومواد التثبيت وورق الترميم الياباني . ،

٣ . قلة الدورات التدريبية للعاملين في قسم الصيانة والترميم .

٤ . من أهم المشاكل التي يعاني منها الباحثون بصورة مستمرة عطل بأجهزة الاستنساخ ، لذا سجلت أعلى نسبة فكانت (٦٤%) فضلا عن استخدام الطرق اليدوية في خزن الوثائق واسترجاعها .

٥ . الإمراض التي تصيب الباحثين بصورة مستمرة بسبب استخدام المواد الكيماوية ذات التأثير الفعال في العين أو الجلد أو الجهاز التنفسي فكانت أعلى نسبة لأمراض الجلدية بنسبة (٤٦%) والعين بنسبة (٢٥%) .

٦ . يعاني الباحثون من استخدام الطرائق اليدوية في خزن الوثائق واسترجاعها مما يستغرق وقت وجهد من قبل الموظفين والباحثين .

ثانيا :- التوصيات :-

هنالك بعض التوصيات التي تساهم في تطوير أفاق العمل وحفز العاملين نحو بذل الجهود والطاقات لتحقيق الأهداف وهي :-

١ . توفير الدعم الكامل لأعمال صيانة الوثائق وترميمها وشراء المواد والأجهزة التي تحتاج اليها عملية الصيانة .

٢ . إقامة الدورات التدريبية المتخصصة في مجال الصيانة وترميم الوثائق ، ومنح بعض الموظفين فرصة الاطلاع على احدث التقنيات المستخدمة في مجال الصيانة بالدول العربية أو الأجنبية لغرض الاستفادة منها .

٣ . ضرورة مواكبة التطورات التقنية في مجال خزن الوثائق اكترونيا واسترجاعها باستخدام إحدى الأنظمة الالكترونية المناسبة وتدريب الموظفين على استخدامها .

٤ . العمل على تقليل إصابة الباحثين بالأمراض الجلدية أو الإمراض الأخرى وذلك باستخدام المواد الكيماوية ذات التأثير والمفعول القليـــل .

المصـــادر :-

١ - احمد محمد الشامي . إدارة المحفوظات . تنظيمها ورفع كفاءة العاملين فيها .- القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

٢ - باهرة عبد الستار احمد القيسي . صيانة الوثائق .- بغداد : هيئة المعاهد الفنية ، ١٩٩٣ .

٣ - تقرير عن تطور دار الكتب والوثائق على مدى الخمس وعشرين سنة الماضية .- بغداد ، ١٩٩٣ .

٤ - جمال الخولي . مدخل لدراسة الأرشيف .- القاهرة : دار الثقافة العلمية ، ٢٠٠٢ .

٥ - حسام الدين عبد الحميد محمود . المنهج العلمي لعلاج وصيانة المحفوظات والإنسان والمنتوجات الأثرية . القاهرة ، ١٩٨٤ .

٦ - سالم الالوسي . التشريعات الوثائقية ، ج١ ، ١٩٨٥ .

٧ - سالم الالوسي ، محمد محجوب . الأرشيف- تاريخه وأصنافه .- بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ .

٨ - سلوى علي الميلاد . الأرشيف ماهيته وإدارته .- القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ .

٩ - صباح رحيمة محسن . الأرشيف .- بغداد : دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ .

١٠ - عبد اللطيف الصوفي . المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية .- قسطنطينية : دار الهدى للطباعة ، ٢٠٠٤ .

١١ - هالة ، كيلة . الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المحفوظات العربية في مدينة القدس في كتاب وقائع المكتبات العربية في مطلع الألفية الثالثة ، مج١ ، الشارقة ، ٢٠٠٣ .

اصـــدارات المجمـــع العلمـــي

اعـــــداد

اخلاص محيي رشيد

*** بحوث نَقدية وبَلاغية**

تأليف : الدكتور احمد مطلوب

منشورات المجمع العلمي لسنة ٢٠١٢م .

تشهد البحوث والدراسات النقدية والبلاغية اليوم في الوطن العربي نهضة كبيرة بفضل الجهود التي يبذلها الباحثون والمترجمون ، وكان مطلع القرن العشرين قد شهد مذاهب فنية كلاسيكية (الاتباعية) ، والرومانسية (الابداعية) ، والذادية ، والبرناسية ، والسريانية ، والواقعية ، وشغل بها الباحثون والدارسون والمبدعون حتى إذا مضت عقود على هذه المـــذاهب ظهرت مناهج نقدية تجاوزت العشرين .. كالبنيوية ، والبنيوية التكوينية ، والأسلوبية ، والتفسيرية ، والتفكيكية ، والظاهراتية ، والتداولية ، وظهـــر النقد الشكلاني ، والنقد الماركسي ، والنقد البنيوي ، وما بعد البنيوية .

وكانت للمؤلف عند تلك المذاهب والمناهج عدة دراسات جمعها في كتابه الذي صدر حديثا عن المجمع العلمي ضم عددا منهـــا التـــي تـــدخل ضمن أختصاصه التي قد يكون فيها نفع للدارسين .

وقد جاء الكتاب بجزءين احتوى الأول الموضوعات :- افاق النقد العربي ، نحو نقد عربي ، عبد القاهر ونقد النص الشعري ، أثر ابن جني في عبد القاهر وابن الأثير ، الشريف الرضي ناقدا ، واحتوى الجزء الثاني :- الدرس البلاغي والنقدي في العراق ، الدرس البلاغي في بغداد ، جمهرة البلاغة وتيسير البلاغة وتجديد البلاغة .

*** في المصطلح ولغة العلم**

تأليف : الدكتور مهدي صالح سلطان

منشورات المجمع العلمي لسنة ٢٠١٢م .

اللغة أداة التفكير ومادته ، وتنتهي الأفكار إلى ألفاظ معبرة عنه ، والألفاظ نفسها وحدات دلالية تواصلية تطابق ما يقابلها من معانٍ وتصورات وأحكام ، فاللغة ألفاظ تقابلها مدلولات ، ومنهما يكون الفكر والمنطق من البيئة والواقع والتصور ، فاللغة رموز وتحديدات لواقع وحقائق لفظية تطابق معانيها ، لأنّ التفكيرَ يؤلّف الصور العقليّة والعمليات الذهنية .

فاللغة والفكرة توأمان ، فلا فكر بدون لغة ، ولا لغة بدون فكـــر ، لأن اللغة مرتبطة بالحياة ومتولدة عنها ، سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة ، فاللغة مادة التعبير اللفظي والكتابي ... وإنّ أحدَنا عاطلٌ من الفكر إن لـــم تكن له لغة ، وفرضُ إنسان بدون لغة معناه فرضُ إنسان بدون فكـــر ... فالفكرة تتكون في رؤوسنا بكلمات أو بعبارة أدق بأشباح كلمات .

فاللغة وعاءُ الحكمةِ ، التي يعيها الإنسان الذي يَفهَمُ ويَعتبِرُ ليتميّز من الجماد والحيوان ، وقد انطلـــق الفلاســـفة المـــسلمون مـــن موقـــف ابستمولوجي معرفي ، أساسه التصور الشامل للوجود ، يضعون الإنـــسان في حيّز منه ، ثم يعدّون وجود الإنسان الوظيفي ، مرتهنا بالموضع الـــذي يحتله ، وبالنظام الشامل الذي يحيط به ، وبالهدف الأسمى الذي وجد مـــن أجله ، وقد استمدّوا هذا من القرآن ، من مثل قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنسانَ علمه البيان ــ الرحمن ٤ ﴾ ، أو ينص على حقيقة أخرى : ﴿ وعلـــم آدم الأسماء كلّها – البقرة ٣١ ﴾ يكون قد حدّد المجال الذي علـــى الفكـــر أن يتحرك لملئه .

والمصطلح هو العرف الخاص ، أو هو ما اتفق عليه المختـــصون للتعبير عن معنى من المعاني العلمية .

وكان العرب قد اهتموا بالمصطلحات منذ عهد مبكر من نهـضتهم الفكرية والعلمية ليعبروا عما طرأ عليهم بعـد نـزول القـرآن الكـريم ، إذ أخذت الكلمات مدلولات جديدة وهو ما أطلـق عليـه اسـم (الحقيقـة الشرعية) وهي أسماء شرعية كالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وأسماء دينية كالمسلم ، والكافر ، والمؤمن ، والمنافق ، والفاسق .

ولهذا اهتم المعاصرون بالمصطلحات ، ونهد اللغويون والمختصون بوضعها ، وكانت المجامع العربية أكثر عناية بها ، لأن من أول مهامهـا وضع المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، وقد وفقت فيما سعت إليه ومنها المجمع العلمي العراقي الذي أصدر ثلاثة عـشر مجلـدا باسـم : (مصطلحات علمية) ، فضلا عن الكراسات الخاصة بعلم من العلوم .

والكتاب الصادر حديثا عن المجمع العلمي العراقـي يـدعو الـى تذكير الباحثين الجامعيين بضرورة إعادة اكتشاف لغتهم علميّا ، والالتفات إلى الأهميّة القصوى لموضوع تعريب العلوم ، الذي ما عاد شعارًا يتغزّل به المتحمسون من الوطنيين والقـوميين والإسـلاميين وغيـرهم ، بـل ضرورة علمية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، ولن يتحقق لهم ما يريدون إلا بـ :

١- التعرف على المصادر العلمية العربية القديمة والجديدة ، التي أُبعِدتْ عن المختصين لمصلحة اللغة الأجنبية .

٢- التفكير في أسس التعريب ، والنحت ، والتوليد ، والاشتقاق ، والتدرّب على التعامل مع اللغة العربية لغة العلم ، مفردات ،، وتراكيب ، ونصوص ، والاعتناء بالمصطلح العلمي العربي ، وتدقيق صلاحيته ، وإعادة التفكير في اختيار ما يناسب هذا العصر ، أو إيجاد ما يتفرع عن الموجود منه .

٣- المراجعة المستمرة للمصطلحات المعرّبة ، التي أقرتها المجامع العلمية العربية ، والدعوة إلى استعمالها ، أو السعي إلى تجديدها سنويًا إن لم تعُد صالحة ، وجعل هذا التوجه جزءً من اهتمام البحوث والرسائل والأطاريح مثلما يجري عند أهل اللغات الحية .

٤- التفكير الجدّي بالتعجيل بتعريب المستحدثات التي لامقابل لها في العربية ، واقتراح ما يناسبها ، واستشارة اللغويين والمترجمين وغيرهم لمعرفة الصحيح من الألفاظ ، والمعنى الأقرب إلى الدقة منها .

٥- اتّباع الأسس الصحيحة في التهيئة المستقبليّة لابتداع المصطلح الجديد وترصين النصوص العلميّة ، صوتيًا وصرفيًا ، ونحويًا ، ودلاليًا ، وترك الاستعانة بمواقع الشبكة غير المعتمدة من الجهات العلمية العربية .

٦- الرجوع إلى المجامع اللغوية العربية في التعريب ، ودعمها ، والتفاعل مع لجانها ، والسعي إلى توحيد جهودها .

٧- وعي المشكلة اللغويّة المستقبلية في ظل التحولات الكبرى ، المتوقعة وغير المتوقعة دوليًا ومحليًا ، والاستجابة لمتطلبات النهضة الحقيقية ، ولا سيما في ترصين التعليم العالي ، باللغة الوطنية التي هي الأكثر نفعا للمتخصص والمتعلم والمجتمع .